

العدد الرابع والثلاثون - غرة ربيع الثاني ١٤٢٧هـ

صوفية السودان

التراب بين خلل البداية وزلل النهاية

ولاء الشيعة لمن؟؟

شيعة العراق بين نفوذ ايران والتأثير على الخليج

مجلة الراصد الإسلامية

العدد الرابع و الثلاثون – غرة ربيع الثاني 1427 هـ

* متفرقات

فاتحة القول

الترابي بين خلل البداية وزلل النهاية

" من حسنت بدايته كملت نهايته " حكمة سلفية لخصت خبرات تربوية ضخمة مستقاة من مشكاة النبوة ، تصلح أن تكون مفتاح لدراسة كثير من الشخصيات والتجمعات الإسلامية المعاصرة .
و في المقابل فإن المضي قدماً في مسار منحرف عن خط الاستقامة يوصل لنتائج سيئة ولكن قد تكون ضخمة جداً في الحجم بحسب زاوية الميل عن الصراط المستقيم وطول المسار.
وهذا يدق ناقوس الخطر تجاه قضية تصدي بعض الطيبين لقيادة العمل الإسلامي مع وجود خلل في منهج فهم الإسلام وتطبيقه أو ضعف علمهم بالشريعة ،مما ينتج عنه سياسات واختيارات كارثية على الدين وأهله .
ولعل هذا ما حدث مع د. حسن الترابي ، فقد شكلت فتاواه الأخيرة حول جواز زواج المسلمة بالكافر وتحريف مفهوم الحجاب صدمة للكثير من المسلمين، لما فيها من تجاوزات واضحة على محكمات الشريعة ، وإن لم تكن في الحقيقة أكبر انحرافاته ، وذلك أن هذه الفتاوى هي تطبيق عملي لقواعده الشخصية في فهم الدين والتي عبر عنها في كتابه " تجديد أصول الفقه الإسلامي " الذي طبع عام 1981م .
والترابي يصلح أن يكون نموذجاً لنقد وتقويم الكثير من الشخصيات والتجمعات الإسلامية المعاصرة ، بهدف بيان خطر الانحراف في المنهج لفهم الدين وتطبيقه على مسار العمل في المستقبل ، و من هذه التجارب تجربة الجزائر وتركيا ، فهل ما وصلت له هاتان التجربتان هما منشود العاملين لهذا الدين ؟
بالطبع هذا لا ينفي وجود مساحات كبيرة من الخير والصلاح فيها وفي غيرها ، لكن هل هذا هو النموذج الذي نريد الوصول له ؟ ولماذا تنحرف المسيرة ؟ والأدهى لماذا تبرر بأن هذا هو الإسلام الصحيح ؟

مسيرة الترابي :

الترابي رجل يشهد له خصومه قبل أنصاره بالعقل والذكاء ، وقوة الشخصية وجاذبيتها ، كما أنه جمع العلم الشرعي والثقافة الغربية ، قائد محنك حركي مميز ، لكنه يسعى لنصرة ذاته مما يفقده دعم أقرانه ، وصفه د. محمد الأحمري بقوله : " ديمقراطي اللسان استبدادي الممارسة ، يولي عنه القريب هارباً ، ويخطف بريقه البعيد معجباً ، ولعله لم ير بين المسلمين السنة مثل نفسه "[1] .

---

[1] -1 مجلة المنار الجديد ، عدد 9 .

بدأ الترابي مسيرته مع جماعة الإخوان المسلمين في السودان ، حتى تسلم قيادتها عام 1964 م ، ومن ثم سماها الترابي " جبهة الميثاق الإسلامي " ومن ثم تحولت إلى " الجبهة القومية الإسلامية ".
وبعد حصول الطلاق بينه وبين قادة الإنقاذ الذين دبر معهم الاستيلاء على السلطة ، سعي من جديد لتكوين حزب جديد له ، والحقيقة أن كل حزب جديد يؤسسه يكون أفضل تنظيمياً من سابقه !
وقد سعى في التسعينيات إلى مد نفوذه الحركي لخارج السودان عبر " المؤتمر الشعبي العربي الإسلامي " .
والترابي تميز عبر هذه المسيرة الطويلة (1964- 2006) ، بالسعي إلى لسلطة بأي طريق ! ولذلك دخل في تحالفات غير منطقية عبر تاريخه الطويل فقط للوصول للسلطة ، مثل تحالفه مع النميري و قرنق .
كما أنه برر هذه التحالفات " بالضرورة والمصلحة لصالح الدين " ، ولذلك كان حريصاً على كسب أكبر قدر من الجمهور عبر " التماشي مع رغبات الجمهور و الأعداء " ولذلك يصدر الفتاوى العجيبة .
كما أن الترابي كان معارضاً للقيادات الإخوانية التي كانت تنادي بالتربية الإسلامية للكوادر ، وذلك أن " الكسب السياسي " بتعبير الترابي كان أولويته المطلقة .
ولا نغفل هنا دور الترابي في تقوية العمل الإسلامي بالعموم في السودان ودوره في التصدي للفكر الشيوعي ، لكنه بالمقابل كان له دور بارز جداً في نشر ضلالات كثيرة بين المسلمين في السودان وخارجه باسم الدين والاجتهاد !!
وأما حصيلة العمل الحركي للترابي فتتمثل في حكومة الإنقاذ، التي يشكر لها اعتزازها بالإسلام واتخاذه المرجعية ، ولكن لم يكن هذا التطبيق للإسلام هو النموذج الذي نفخر به على العالم ، بل لعله شوه جمال الحلم وأعطى خصوم الإسلام سلاحاً لضربه ، وذلك ثمرة طبيعية لانحرافات الفكر المنظر للإنقاذ وهو الترابي ، وإن خرج الترابي على الإنقاذ اليوم فإنهم لا يزالون يطبقون فكره ومنهجه الذي أرضعهم إياه ، وما انقلابهم عليه إلا من صميم منهجه " الكسب السياسي ، والوصول للسلطة بأي ثمن " !!
وتجربة دولة الإنقاذ تستحق دراسة موسعة في نجاحاتها وإخفاقاتها ، وسبب خلل المنهج في ذلك .

لماذا حدثت الضجة الأخيرة :

انحرافات الترابي وفتاواه أمر قديم وليس حادثاً ، ولكن بسبب انبهار المسلمين الخادع بكل شخص يحقق نجاحاً سياسياً باسم الإسلام ، تم تكتم كثير من المسلمين عن أخطائه ، بل كثير من الكتاب الإسلاميين إن لم يتمكن من تأييد فتاوى الترابي الأخيرة فقد تجاهل الضجة التي سببتها !!
وسبب آخر لعدم التعرض لخلل الترابي قديماً أنه كان في القواعد المنهجية ، والتي هي أخطر بكثير لكن لا تحظى باهتمام إعلامي شعبي ، ولذلك تصدى لها العلماء العارفون لأن " أهل العلم يعرفون الفتن وهي مقبلة ، وأهل الجهل يرونها إذا أدبرت " .

كما أن من أسباب الضجة الحالية على فتاوى الترابي ، التغطية الإعلامية الواسعة التي قصدت نشرها و ترويجها ، لحساب " تمييع التدين " عبر تشجيع التصوف و العقلانيين و الانحرافات الفكرية للزعماء الحركيين .

انحرافات الترابي :

شخصية الترابي شخصية سياسية وليست شخصية شرعية ، ولذلك لم يهتم بتقعيد مذهب وفكر محدد ، بقدر ما سعى لضرب بعض القواعد التي تكبل حركته السياسية ، فشنع على الفقهاء والأصولين لإسقاط مرجعيتهم ، وكسر باب الاجتهاد ليسع فتاواه العجيبة ، وحكم عقله الذي يفخر به على الناس في ما يقبله وما يرفضه من الدين .

يقول القرضاوي : " في الحقيقة إن فتوى الترابي هذه قديمة متجددة سمعتها منه وهو في الولايات المتحدة الأمريكية في عام 1975 ، ... وفسرها لي في ذلك الوقت ... يقصد المرأة غير المسلمة التي تعتنق الإسلام وهي متزوجة من رجل كتابي يجوز لها البقاء مع زوجها غير المسلم " الشرق الأوسط 15/4/2006 .

وهذه الفتاوى يعرفها عنه أهل السنة في السودان من سنوات طويلة ، وكانت لهم جهود مشكورة في فضحه وخاصة الدكتور جعفر شيخ إدريس .

نماذج من انحرافات الترابي :

1- إباحة الترابي للردة .
2- مساواة الترابي للأديان وعدم التفضيل بينها .
3- انتقاصه للأنبياء يونس ، وإبراهيم ، وموسي ، ومحمد عليهم الصلاة والسلام .
4- إنكار الترابي لجهاد الطلب .
5- زعمه أن حواء أول البشر : استناداً لقوله تعالى : (وخلق منها زوجها) فجعل الضمير عائداً على حواء !!
6- عدم تكفيره لليهود والنصارى : قال الترابي في مؤتمر (الحوار بين الأديان التحديات والآفاق) : " وهذه دعوتنا اليوم أن نقيم جبهة أهل الكتاب ، .... وقيام جبهة المؤمنين هو مطلوب الساعة " وقال لمجلة المجتمع :" إننا في الجبهة الإسلامية نتوصل إليها – الوحدة الوطنية – بالإسلام على أصول الملة الإبراهيمية) .
7- الطعن في عدالة الصحابة شأنه شأن الشيعة .
8- إنكار ردة سلمان رشدي .
9- تغييره لمصادر التشريع عند الترابي ، بزعم تجديده لأصول الفقه و قد اعتبرها: العقل و قرارات الحاكم و الاجتهاد والإجماع الشعبي الديمقراطي و القياس .

ويمكن التوسع في معرفة انحرافات الترابي بالرجوع لكتاب " الرد القويم لما جاء به الترابي والمجادلون عنه من الافتراء والكذب المهين " للشيخ الأمين الحاج محمد أحمد .

الخاتمة :

إن فساد البداية في فهم الدين سينتج عنه فساد كبير في النهاية التي يصل لها الشخص أو الحركة، فهل يراجع الجميع أنفسهم قبل فوات الأوان؟ ونجد أنفسنا أمام ترابي جديد ؟
وهل يقوم علماء أهل السنة بواجبهم من التصدي لقيادة العمل الإسلامي لحمايته من تهور الشباب وجهلهم ومن ضلال وانحراف بعض قادته ؟

فرق و مذاهب

الـزنـدقــة

الزندقة لفظ فارسي معــرّب، وقد كــانت تطلق في البداية على من يــؤمن بكتــاب المجــوس المقــدس (الزندافســت)، ثم ما لبثت الكلمة أن شاعت منذ العصر العباسي الأول، وتوسع في استعمالها على كل إنسان يتشكك في الدين، أو يجحد شيئاً مما ورد فيــه، أو يتهــاون في أداء عباداته أو يهزأ بها، أو يتجرأ على المعاصي والمنكرات ويعلن بهــا، أو يقــول بمقالة بعض الكفــار، ويــؤمن ببعض عقائــدهم، وعلى كل من يتــأثر بــالفرس في عاداتهم ويسرف في العبث والمجون[1].

ويعــرف د. مصــطفى الســباعي الزندقة بـــ "كراهية الإســلام دينا ودولة"[2].

وبــالرغم من أن ظهــور الزندقة في المجتمع الإســلامي، كــان في بدايات الدولة العباسية، إلاّ أن تناولها حالياً يكتسب أهمية لجملة أسباب منها:

1ـ أن الأفكــار الــتي جــاءت بها حركة الزندقة ما يــزال لها وجــود في الــوقت الحاضــر، في معظم المجتمعــات الإســلامية، فضــلاً عن بقية دول العالم، وتتمثل في الأفكار الإلحادية والإباحية التي تروجها الشيوعية، وأدب وأشعار الحداثة.

2ـ أن الزنادقة قاموا عبر العصور الإسلامية بثورات سياســية وأعمــال تخريبيــة، كما أنهم أثــروا على معتقــدات بعض الفــرق، وقد أشــار شــيخ

[1] ـ الموسوعة الميسرة ص 1075، وموسوعة الأديان ص 284.

[2] ـ السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص 83.

الإسلام ابن تيمية رحمه الله إلى أن الرفض ومذهب الشيعة بات مأوى للزندقة والزنادقة الذين لم يستطيعوا الجهر بأفكارهم وإلحادهم[1].

3ـ دفاع بعض الفئات كالمستشرقين والأدباء عن أفكار الزندقة والإلحاد، بحجة حرية الفكر والإبداع. وقد كتب بعض المستشرقين دراسات عن بعض الزنادقة فأثنوا عليهم خيراً، ودافعوا عن انحرافاتهم وباطلهم.

4ـ أن بعض الذين كتبوا عن الزندقة وانتقدوها، انطلقوا منطلقاً قوميّاً، دفاعاً عن القومية العربية، بسبب ارتباط حركة الزندقة بالشعوبية[2] الفارسية المناهضة للقومية العربية[3].

عقائد الزنادقة

يقول د. عبد العزيز العبد اللطيف: "إن عقائد الزنادقة قد تضمنت كمّاً هائلاً من صنوف الكفر البواح، والردّة الظاهرة: كقولهم بالحلول، وتأليه البشر، وتشبيه الله ـ تعالى ـ بخلقه، وإنكار النبوة أحياناً، وادّعاء النبوة أحياناً أخرى، والقول بالتناسخ، وإنكار القيامة والجنة والنار، واستحلال المحرمات، وجحد الواجبات"[4].

وقد أطلق العلماء لفظة الزندقة والزنديق على عقائد وأفكار مختلفة:

ـ فقد اعتبر مختار الصحاح للرازي (ص 276)، أن الزنديق من الثَّنَوِيّة[5].

ـ وأطلق الإمام ابن تيمية اسم الزنديق على "الذي تكلم الفقهاء في قبول توبته في الظاهر، فالمراد به عندهم المنافق الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر".

---

[1]) ـ منهاج السنة النبوية 7/219، ومواضع أخرى.

[2]) ـ الشعوبية: حركة ثقافية حضارية مناهضة للعرب، كان العراق مسرحها، لأنه كان ملتقى العنصر العربي الغالب بالعنصر الفارسي المغلوب. وعندما استطاع العباسيون تأسيس دولتهم، اعتمدوا على الموالي الفرس، واستعملوهم في المراكز الهامة، وأسندوا إلى بعضهم مسؤولية الحكم، وأطلقوا لهم الحرية، فأحسوا بذواتهم وتسلطت عليهم النزعة القومية، وتحولت إلى ما يشبه المنظمات التي كان يشرف عليها ويدبرها عدد من الوزراء والأدباء والكتاب والشعراء من الموالي الفرس.

ولم تشع الشعوبية بين الموالي الفرس فقط، بل امتدت إلى بعض المجتمعات التي فتحها المسلمون العرب مثل النبط والقبط والأندلسيين والزنج (الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأول للدكتور عطوان ص 149).

[3]) ـ مقالات في المذاهب والفرق ص 23ـ24، وموقف العقيدة الإسلامية من الزندقة ص 16ـ17.

[4]) ـ مقالات في المذاهب والفرق ص 28ـ 29.

[5]) ـ الثنوية: مذهب ديني فلسفي قديم يمثل أحد أطوار الديانة المجوسية، ويقوم على أساس أن العالم مركب من أصلين قديمين أزليين وممتزجين هما: النور والظلمة (الموسوعة الميسرة ص 1042).

ـ وأطلقه الإمـام ابن القيم الجوزية على: من لا يـؤمن بالله واليـوم الآخر.

ـ ويقول الحافظ ابن حجر العسـقلاني: "ثم أطلق الاسم على كل من أسـرّ الكفر وأظهر الإسـلام، حـتى قـال مالـك: الزندقة ما كـان عليه المنافقون، وكذا أطلق جماعة من الفقهاء الشافعية وغـيرهم أن الزنـديق هو الذي يظهر الإسلام ويخفي الكفر".

ـ وأطلقه الإمام الدارمي وغيره على الجهميـة، الـذين ينفـون صـفات الله سبحانه وتعالى.

ـ ووصف الإمام أحمد بن حنبل المعتزلة بالزنادقة.

ـ كما أن صاحب المجون والفحش يُرمى أحياناً بالزندقة[1].

وأيّا كانت العقائد والأفكار والممارسات التي تبناها الزنادقة، فـإن من الثـابت أن الزندقة أطلقت عند الفـرس في بـادئ الأمر على المانوية[2]، وفي الإسـلام ظل استعمالها يطـال المانويـة، ذلك أن أفكارها وعقائـدها عاشت إلى العصر العباسي، وتسربت إلى بعض الفرق الضالة [3].

"فالزندقة كـانت تعـني في أول الأمر المانويـة، ثم تطـورت دلالتهـا، وأصـبحت تسـتغرق كافة أصـحاب الـديانات الفارسـية، كالديصـانية، والمرقونية، والمزدكية، ثم اتسعت دلالتها، وصـارت تشـمل كل الملحـدين والمتشككين في الدين.

وهذه المعاني هي التي كان الخاصة يريدونها عندما كـانوا يسـتعملون كلمة زنـديق، أما العامة وأشـباههم، فكـانوا يسـمون المسـتهتر المـاجن زنديقاً"[4].

وقد عدّ الإمام عبد القاهر البغدادي (ت سنة 429هـ) عشـرين فرقـة، من الفرق الـتي انتسـبت للإسـلام، وليست منـه، ممن ينطبق عليها وصف الزندقة، فقال: "والفرق المنتسبة إلى الإسلام في الظاهر مع خروجها عن جملة الأمة عشرون فرقة هذه ترجمتها: سبئية، وبيانية، وحربية، ومغيريـة، ومنصورية، وجناحيـة، وخطّابيـة، وغرابيـة، ومفوضـية، وحلوليـة، وأصـحاب التناسـخ، وخابطيـة، وحماريـة، ومُقنعيّـة، ورزاميّـة، ويزيديـة، وميمونيـة، وباطنيـة، وحلاجيـة، وعذافريـة، وأصـحاب إباحـة. وربما انشـعبت الفرقة الواحدة من هذه الفرق أصنافاً كثيرة"[5].

---

[1] ـ مقالات في المذاهب والفرق ص 26ـ 28.

[2] ـ المانوية: أتباع ماني (المولود سنة 216م) والـذي ادّعى النبـوة، ظهر في بلاد فارس أيام حكم سـابور بن أردشـير. وقد كـان مـذهب المانوية ثـورة على الزرادشـتية التي تمثل دين الدولة الرسمي. وقد تبنى سابور مذهب ماني القائم على الثنوية، أو أن أصل العالم كونان أحدهما النور والآخر الظلمة (موسـوعة الأديـان ص 435، والزندقة والشعوبية ص 12).

[3] ـ موسوعة الأديان الميسرة ص 435.

[4] ـ الزندقة والشعوبية ص 15ـ 16.

[5] ـ الفرق بين الفرق ص 232ـ 233.

غاياتهم وأساليبهم

هدف الزنادقة إلى هدم الإسلام، وتـدمير دولتـه، واتبعـوا لتحقيق ذلك عدة وسائل:

1ـ بعث الديانات الفارسية القديمـة، والسـعي إلى نشـرها عن طريق ترجمتها إلى اللغة العربية[1] ذلك أن معظم الزنادقة كـانوا من الفـرس الذين هالهم أن يروا سقوط دولتهم على أيدي المسـلمين، إضـافة إلى أن الديانات الفارسية احتوت على صنوف الكفر والإلحاد والإباحية.

2ـ تشويه الـدين الإسـلامي بـالطعن فيـه، والـدسّ عليـه، ومكنهم من ذلك أنهم أجادوا العربية، وتفقهوا بعض التفقه في الدين[2].

"لقد كانت قوة الإسـلام السياسـية والعسـكرية غالبة قاضـية لم تبـق لدى أولئك الزعماء والأمراء والقواد (من الشعوب غـير المسـلمة) أملاً ما في استعادة سلطانهم الزائل ومجدهم المنهار، فلم يجـدوا أمـامهم مجـالاً للانتقام من الإسلام إلاّ إفساد عقائده، وتشـويه محاسـنه، وتفريق صـفوف أتباعه وجنوده"ـ[3].

وقد كانت السنة النبوية، أكثر المجالات الـتي امتـدت إليها يد الزنادقة بالتحريف والتشويه والدسّ والزيادة "وكان التزيد في السنة أوسع ميـادين الـدس والإفسـاد لـديهم، فجـالوا فيه وصـالوا، متسـترين بالتشـيع أحيانـاً، وبالزهد والتصـوف أحيانـاً، وبالفلسـفة والحكمة أحيانـاً، وفي كل ذلك إنما يتوخون إدخال الخلل في بناء ذلك الصرح الشامخ الذي أقامه محمد صـلى الله عليه وسلم"[4].

"ومن أمثلة ما وضعوه ليفسدوا به الدين: ... (إن الله اشـتكت عينـاه فعادته الملائكة)...و (النظر في الوجه الجميل عبادة)... و(الباذنجان شـفاء من كل داء)... وهكـذا دسّ هـؤلاء الزنادقة آلافـاً من الأحـاديث في العقائد والأخلاق والطب والحلال والحرام، وقد أقـرّ زنـديق أمـام الخليفة المهـدي بأنه وضع مائة حديث تجول في أيدي الناس، ولما قُدِّم عبد الكـريم بن أبي العوجـاء للقتـل، اعـترف بأنه وضع أربعة آلاف حـديث يحـرم فيها الحلال، ويحلل فيها الحرام"[5].

3ـ إغـراء الشـباب في المجتمع العـربي الإسـلامي بـالفجور والعهر وإدمان الخمر، وطلب اللهو واللذة، والاستهتار بـالتغزل بالمـذكر، واللـواط بالغلمان، واستباحة الحرمات، وانتهاك الأعراض. وقامت عصابات الزنادقة المجان بذلك كله[6].

---

[1] ـ الزندقة والشعوبية ص 23.

[2] ـ المصدر السابق ص 23.

[3] ـ السنة للسباعي ص 84.

[4] ـ المصدر السابق ص 84.

[5] ـ المصدر السابق ص 84ـ 85.

[6] ـ الزندقة والشعوبية ص 24.

ولعلنا نكتفي هنا بذكر بيتين للشاعر أبي نـواس، أحد أبـرز الزنادقة إذ يقول:

يا أحمدُ[1]المرتجى في كل نائبةٍ قُم سيدي نَعصِ جبّار السماوات

ويقول عن الخمر:

ألا فاسقني خمـراً وقل لي هي الخمر ولا تسـقني سـرّاً إذا أمكن الجهر

الزندقة والفرق المنحرفة

وجد الزنادقة في الفرق المنحرفة أرضاً خصبة لنشر أفكارهم، خاصة عنـدما كـانوا يجـدون صـعوبة في ذلك "متسـترين بالتشـيع أحيانـاً، وبالزهد والتصوف أحياناً، وبالفلسفة والحكمة أحيانا" [2].

وقد أشـار الإمـام عبد القـاهر البغـدادي إلى أوجه شـبه عديـدة بين المجوسـية وديانـات ما قبل الإسـلام من جهـة، وبين معتقـدات الفـرق المنحرفة التي انتسبت للإسلام، ويقول: "وذكر أصحاب التواريخ أن الـذين وضعوا أساس دين الباطنية[3] كانوا من أولاد المجوس، وكـانوا مـائلين إلى دين أسـلافهم، ولم يجسـروا على إظهـاره خوفـاً من سـيوف المسـلمين، فوضع الأغمـار* منهم أسُسـاً مَن قَبِلها منهم صـار في البـاطن إلى تفضـيل أديـان المجـوس، وتـأولوا آيـات القـرآن وسـنن النـبي عليه السـلام على موافقة أسســـهم. وبيـــان ذلك أن الثنوية[4] زعمت أن النـــور والظلمة صـانعان قـديمان، والنـور منهما فاعل الخـيرات والمنـافع، والظلام فاعل الشرور والمضـار... وذكر زعمـاء الباطنية في كتبهم أن الإله خلق النفس، فالإله هو الأول، والنفس هو الثـاني، وهما مـدبرا هـذا العـالم، وسـموهما الأول والثاني، وربما سموهما العقل والنفس، ثم قـالوا: إنهما يـدبران هـذا العالم بتدبير الكواكب السبعة والطبائع الأول"[5].

والبغـدادي يشـير في كلامه السـابق إلى اتفـاق المجـوس، والفـرق الباطنية في اعتقـادهم بالله والخلـق، ويقـول عن الباطنيـة: "وقـولهم إن الأول والثـاني (العقل والنفس) يـدبران العـالم، هو بعينه قـول المجـوس

---

1) ـ المقصود بأحمد في هذا البيت: أحمد بن أبي صالح، وهو غلام كـان أبو نـواس يعشقه.

2) ـ السنة للسباعي ص 84.

3) ـ الباطنيـة: تطلق على الفـرق الـتي ادّعت أن للإسـلام ظـاهراً وباطنـاً، وبـذلك صـرفوا آيـات القـرآن وأحكـام الشـريعة عن مرادهـاـ ويـأتي على رأس هـذه الفـرق: الإسماعيلية والنصيرية والدروز.

*) ـ جاء في مختار الصحاح، ص 480: "رجل غُمرٌ، بسكون الميم وضمها، أي لم يجرب الأمور".

4) ـ سبق التعريف بها.

5) ـ الفرق بين الفرق ص 284ـ 285.

بإضافة الحوادث لصانعين، أحدهما قديم والآخر محدث، إلاّ أن الباطنية عبّرت عن الصانعين بالأول والثاني، وعبرّ المجوس عنهما بيَزدان وأهرَمن"[1].

وبعد أن أورد الأمثلة الكثيرة لمشابهة عقائد الباطنية بالمجوس، ودخول عقائد الزندقة المجوسية في أفكار الفرق التي انتسبت إلى الإسلام، يقول البغدادي: "الذي يصح عندي من دين الباطنية أنهم دُهرية[2] زنادقة، يقولون بقدم العالم، وينكرون الرسل والشرائع كلها"[3].

والشواهد كلها تدل على تأسيس وانضمام الزنادقة المتأثرين بأفكار وعقائد المجوس، بالفرق الضالة التي انتسبت للإسلام، وعلى رأسها الإسماعيلية والرافضة والقرامطة والصوفية. وفي مقدمة هؤلاء الزنادقة، عبد الله بن سبأ، مؤسس مذهب الرافضة، "الذي غلا في علي رضي الله عنه، وزعم أنه كان نبيّا، ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله، ودعا إلى ذلك قوماً من غلاة الكوفة"[4].

ويقول البغدادي بعد أن أورد شيئاً من زندقة ابن سبأ: "وقال المحققون من أهل السنة: إن ابن السوداء كان على هوى دين اليهود، وأراد أن يفسد على المسلمين دينهم بتأويلاته في عليّ وأولاده، لكي يعتقدوا فيه ما اعتقدت النصارى في عيسى عليه السلام، فانتسب إلى الرافضة السبئية حين وجدهم أعرق أهل الأهواء في الكفر، ودلّس ضلالَتَه في تأويلاته"[5].

ويبين شيخ الإسلام ابن تيمية الخطر الذي أحدثه الزنادقة بدخولهم إلى مذهب الشيعة بقوله: "ومنهم من أدخل على الدين من الفساد ما لا يحصيه إلاّ رب العباد، فملاحدة الإسماعيلية والنصيرية، وغيرهم من الباطنية المنافقين من بابهم دخلوا، وأعداء المسلمين من المشركين وأهل الكتاب بطريقهم وصلوا، واستدلوا بهم على بلاد الإسلام، وسبوا الحريم، وأخذوا الأموال، وسفكوا الدم الحرام، وجرى على الأمة بمعاونتهم من فساد الدين والدنيا ما لا يعلمه إلاّ رب العالمين"[6].

ويقول: "وأكثر ما تجد الرافضة، إما في الزنادقة المنافقين الملحدين، وإما في جهّال ليس لهم علم، لا بالمنقولات ولا بالمعقولات"[7].

ويقول أيضاً: "والعلماء دائماً يذكرون أن الذي ابتدع الرفض كان زنديقاً ملحداً، مقصده إفساد دين الإسلام. ولهذا صار الرفض مأوى

---

1) ـ المصدر السابق ص 285.

2) ـ الدُّهري هو الملحد (مختار الصحاح للرازي ص 213).

3) ـ الفرق بين الفرق ص 294.

4) ـ المصدر السابق ص 233.

5) ـ المصدر السابق ص 235. ويلاحظ أن البغدادي جعل ابن سبأ، غير ابن السوداء. والمعروف عند العلماء والمؤرخين أنهما شخص واحد.

6) ـ منهاج السنة النبوية 1/10ـ11.

7) ـ المصدر السابق 2/81.

الزنادقة الملحـــدين من الغالية والمعطلـــة، كالنصـــيرية والإســـماعيلية ونحوهم"[1].

كما كـــان للزنادقة المجـــوس الـــدور الكبـــير في تأســـيس فرقة الإسماعيلية، التي انفصلت عن الشيعة بعد وفـاة إمـامهم السـادس، جعفر الصادق، يقول البغدادي: "وقد حكى أصحاب المقـالات أن الـذين أسسـوا دعوة الباطنية[2] جماعة: منهم ميمون بن ديصان، المعروف بالقداح، وكـان مــولىً لجعفر بن محمد الصــادق، وكــان من الأهــواز، ومنهم: محمد بن الحسين الملقب بدندان، اجتمعـوا كلهم مع ميمـون بن ديصـان في سـجن والي العـراق، فأسسـوا في ذلك السـجن مـذاهب الباطنيـة، ثم ظهـرت دعوتهم بعد خلاصهم من السجن"[3].

واســتطاع أحد أحفــاد ميمــون بن ديصــان، وهو عبيد الله المهــدي، تأســيس الدولة العبيدية الفاطمية ســنة 297هـــ الــتي تعتــبر الحركة الإســماعيلية الأصــلية، وينقل الشــيخ إحســان إلهي ظهــير عن المــؤرخ المقريزي قوله في هؤلاء: "فعبيد الله ــ الملقب بالمهـدي ــ هو سـعيد بن الحســين بن أحمد بن عبد الله بن ميمــون القــداح بن ديصــان الثنــوي الأهوازي، وأصلهم من المجوس"[4].

ولا يختلف الأمر عند الصوفية، فهذه الفرقة غدت هي الأخـرى مرتعـاً للزنادقة، الذين تظـاهروا بالزهد والتقشـف، ونشـروا الكفر والإلحـاد، ومن هؤلاء الزنادقة الذين بلغوا في التصوف شـأناً كـبيراً، الحلاّج[5] الـذي "كـان في بادئ أمره مشغولاً بكلام الصوفية... وكـان يـدّعي أنـواع العلـوم، على الخصوص والعموم... وقد اختلف فيه المتكلمون والفقهاء والصــوفية، فأما المتكلمون فأكثرهم على تكفـيره، وعلى أنه كـان على مـذهب الحلوليـة... وقال عمرو بن عثمان: كنت أماشيه يوماً فقرأت شيئاً من القرآن، فقـال: يمكنني أن أقول مثل هذا"[6].

"والذين نسبوه إلى الكفر وإلى دين الحلولية حكَوا عليه أنه قـال: من هذّب نفسه في الطاعة، وصبر على اللـذات والشـهوات، ارتقى إلى مقـام المقربين، ثم لا يزال يصفو ويرتقي في درجات المصافاة حـتى يصـفو عن البشرية، فإذا لم يبق فيه من البشرية حظ، حلّ فيه روح الإلـه، الـذي حـلّ في عيسى بن مـريم، ولم يـرد حينئذ شـيئاً إلاّ كـان كما أراد، وكـان جميع فعله فعل الله تعالى"[7] .

---

1) ـ المصدر السابق 7/ 219.

2) ـ المقصـود بالباطنية هنـا: الإسـماعيلية، كونها أولى الـدعوات الباطنية الـتي ظهرت في الإسلام.

3) ـ الفرق بين الفرق ص 282.

4) ـ الإسماعيلية، تاريخ وعقائد ص 89.

5) ـ أبو المغيث، الحسين بن منصـور الحلاج، أصـله من البيضـاء، من بلاد فـارس، ونشأ بواسط والعـراق. وفي سـنة 309هـ، أمر الخليفة المقتـدر العباسي بقتله بسـبب زندقته وآرائه الإلحادية.

6) ـ الفرق بين الفرق ص 260ـ 262.

أهم شخصياتهم

ظهر في بدايات العصر العباسي[1] عدد كبير من الزنادقة، الذين استخدموا الشعر والأدب، لنشر أفكارهم. وبالرغم من أن بعض أفكار الإلحاد والزندقة ظهرت قبل ذلك، إلاّ أن بدايات العصر العباسي شهد الزندقة، كحركة منظمة يدعمها عدد من الوزراء والكتاب والأدباء.

ومن أبرز الزنادقة في تلك الفترة:

1ـ أبو دلامة. ومن أشعاره في ذم شهر رمضان وليلة القدر:

جاء شهر الصوم يمشي   مشية ما أشتهيها

قائداً لي ليلة القد   رِ كأني أبتغيها

2ـ مطيع بن إياس. الذي يقول فيه الأصفهاني "كان ماجناً متهماً في دينه بالزندقة". ويروى المسعودي المؤرخ أنه كان يصنف الكتب مع رفاقه من الزنادقة في تأييد المذاهب المانية والديصانية والمرقونية.

كما أن ابن إياس "كان ميّالاً إلى غلاة الشيعة، فقد كان يكفر أبا بكر وعمر، ويخفي تكفيره لهما، إبقاءً على حياته"[2]. وكان مصاباً بالشذوذ الجنسي، يلاط به، ويلوط بالغلمان، ويدعو إلى ارتكاب الموبقات، ومن أشعاره:

نعم لنا نبيذ   وعندنا حماد

وكلنا من طرب   يطير أو يكاد

3ـ حمّاد عَجرد. يقول فيه ابن المعتز: "كان بالكوفة ثلاثة نفرٍ يقال لهم الحمادون: حماد عجرد، وحماد الراوية، وحماد الزبرقان، يتنادمون على الشراب، ويتناشدون الأشعار، ويتعاشرون معاشرة جميلة، وكانوا كأنهم نفس واحدة، يرمون بالزندقة جميعاً".

4ـ بشار بن برد. ومن أشعاره التي تظهر تقديسه للنار، وتفضيله إبليس على آدم:

الأرض مظلمة والنار مشرقة   والنار معبودة مذ كانتِ النار

إبليس خير من أبيكم آدم   فتنبهوا يا معشر الفجار

إبليس من نارٍ وآدم طينة   والأرض لا تسمو سُمُو النار

5ـ أبو نواس. وقد سبق ذكر شيء من شعره في الثناء على الخمر، والدعوة إلى الفاحشة.

---

[7] ـ المصدر السابق ص 263.

[1] ـ تأسست الدولة العباسية سنة 132هـ، بعد انتصارها على الدولة الأموية، وانتهت على يد المغول سنة 656هـ.

[2] ـ الزندقة والشعوبية ص 34.

ومن الزنادقة البارزين في تلك الفترة: صالح عبد القدوس، وعلي بن الخليل، وسَلمٌ الخاسر، وأبان بن عبد الحميد، والبَةُ بن الحُباب، وأبو العتاهية، وآدم بن عبد العزيز، ويحيى بن زياد[3].

دور الحكام في محاربة الزندقة

اجتهد حكام المسلمين في محاربة الزنادقة، حفاظاً على الدين وأهله، وللإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه السبق في ذلك عندما أحرق الذين غلوا فيه، وقالوا بألوهيته من دون الله، ونفيه لآخرين، وعلى رأسهم عبد الله بن سبأ[2].

وقد كان للمنصور، ثاني الخلفاء العباسيين الجهد الكبير في محاربتهم، ثم جاء بعده المهدي وجدّ في تعقبهم. ويروي الإمام ابن كثير شيئاً من ذلك فيقول في حوادث سنة 167هـ "وفيها تتبع المهدي جماعة من الزنادقة في سائر الآفاق فاستحضرهم وقتلهم صبراً بين يديه".

ووصّى المهدي ابنه موسى الهادي ـ الخليفة من بعده ـ بذلك، وقد أنفذ الهادي تلك الوصية، إذ يقول ابن كثير في حوادث سنة 169هـ: "وسعى الهادي في تطلب الزنادقة من الآفاق، فقتل منهم طائفة كثيرة واقتدى في ذلك بأبيه".

ومما أورده ابن كثير في أخبار الزنادقة، أنه في سنة 311هـ: "أحرق المقتدر بالنار مائتين وأربعة أعدال من كتب الزنادقة، منها ما كان صنفه الحلاّج وغيره، فسقط منها ذهب كثير كانت محلاّة به"[3].

وبالرغم من جهود الخلفاء من محاربة الزنادقة، إلاّ أن بعضهم كان يغض الطرف عنهم، بل ويقربهم، فقد كان أبو نواس نديماً للخليفة العباسي "الأمين"[4].

والمهدي، وبالرغم من تشدده مع الزنادقة، إلاّ أنه كان متساهلاً مع بعض الوضّاعين في الحديث[5].

وكانت مقاومة الحكام للزندقة تأخذ أحياناً الطابع السياسي. يقول د. السباعي: "وإذا كنا نذكر لهم فضل تعقبهم للزنادقة الذين أفسدوا دين الإسلام، فإننا لا ننكر أن من الدوافع التي حملتهم على تعقبهم بالقتل، هو أنهم كانوا خارجين على حكمهم بدليل أننا لم نرهم فعلوا بالكذابين والوضاعين الذين تقربوا إليهم بالكذب على رسول الله إرضاءً لأهوائهم، عُشر ما فعلوه مع الخارجين على حكمهم"[6].

---

3) ـ للمزيد عن سير هؤلاء الزنادقة وأشعارهم: الزندقة والشعوبية لعطوان.

2) ـ الفرق بين الفرق ص 233.

3) ـ مقالات في المذاهب والفرق ص 33، نقلاً عن البداية والنهاية للإمام ابن كثير.

4) ـ الزندقة والشعوبية ص 87.

5) ـ السنة للسباعي ص 88ـ89.

6) ـ المصدر السابق ص 89.

للاستزادة:

1ـ الفرق بين الفرق ـ الإمام عبد القاهر البغدادي.

2ـ منهاج السنة النبوية ـ شيخ الإسلام ابن تيمية.

3ـ السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ـ د. مصطفى السباعي.

4ـ الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأول ـ د. حسين عطوان.

5ـ مقـالات في المـذاهب والفـرق ـــ د. عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف.

6ـ موقف العقيدة الإسلامية من الزندقة ـ د. زيد بن محمد الرماني.

7ـ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصـرة ـــ إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

8ـ موسوعة الأديان (الميسرة) ـ إصدار دار النفائس.

9ـ الإسماعيلية تاريخ وعقائد ـ الشيخ إحسان إليه ظهير.

سطور من الذاكرة

مناظرة شيخ الإسلام ابن تيمية للرفاعية

كان لشيخ الإسلام ابن تيمية،رحمه الله، صولات وجولات مع أهل البدع والانحرافات، يناظرهم ويرد على باطلهم، ويتحداهم، وفي المقابل

يشرح عقيدة أهل السنة والجماعة التي ابتعد عنها أتباع الفرق والمذاهب المنحرفة.

ومن جملة الذين اهتم ابن تيمية ببيان بدعتهم: **الصوفية**، الذين كان لهم في زمنه الانتشار اللافت، كما هو الحال اليوم، إضافة إلى علاقاتهم الوطيدة ببعض السلاطين والأمراء. وما نشير إليه في هذا العدد، ليس مؤلفاً كتبه ابن تيمية في بيان عقائد الصوفية وانحرافها، إنما "مناظرة" حيّة دعا إليها شيخ الإسلام زعماء الطريقة الرفاعية في زمنه، المعروفين بالبطائحية، ثم دوّن شيخ الإسلام رحمه الله ما جرى بينه وبين الرفاعية، نصحاً للأمة وبياناً لباطل هؤلاء الذين دأبوا على تحدي الناس بالدخول إلى النار، واللعب بالحيّات زعماً أن هذا من كراماتهم.

والمناظرة التي دوّنها شيخ الإسلام رحمه الله في نحو عشرين صفحة، ونشرت بعد ذلك في كتابه "الفتاوى"جرت في التاسع من جمادى الأولى سنة 705هـ، في عهد السلطان المملوكي، الناصر محمد بن قلاوون، ذلك أن الإمام ابن تيمية رأى افتتان الناس ـ فضلاً عن بعض الأمراء ـ بالرفاعية الذين زعموا أن الله ألان لهم الحديد، وأزال لهم فاعلية السموم والنيران، وأخضع لهم طغاة الجن، فتحداهم وبين لهم ما يدعونه كذب ودجل، وليس من الولاية في شيء.

أما الذي دعا ابن تيمية إلى كتابة أمر هذه المناظرة، ، هو ما حظيت به من اهتمام آنذاك، وحرص الذين لم يشهدوها على معرفة تفاصيلها و "لِما حصل بها من عز الدين، وظهور كلمته العليا، وقهر الناس على متابعة الكتاب والسنة، وظهور زيف من خرج عن ذلك من أهل البدع المضلة والأحوال الفاسدة والتلبيس على المسلمين".

وقد أشار شيخ الإسلام قبل تلك المناظرة إلى نقاشات كانت تدور بينه وبين أتباع هذه الطريقة، فيقول: "وقد تقدمت لي معهم وقائع متعددة بيّنت فيها لمن خاطبته منهم ومن غيرهم بعض ما فيهم من حق وباطل، وأحوالهم التي يسمونها (الإشارات)، وتاب منهم جماعة، وأدب منهم جماعة من شيوخهم، وبينت صورة ما يظهرونه من المخاريق: مثل ملابسة النار والحيات، وإظهار الدم، واللاذن والزعفران وماء الورد والعسل والسكر وغير ذلك، وإن عامة ذلك عن حيل معروفة وأسباب مصنوعة".

وفي مجلس من المجالس، سأل البطائحيةُ الرفاعيةُ ابنَ تيمية إن كان يريد أن يرى كراماتهم المزعومة، فأجاب على ذلك قائلاً: "إن عملتموها بحضور من ليس من أهل الشأن، من الأعراب والفلاحين، أو الأتراك أو العامة أو جمهور المتفقهة والمتفقرة لم يحسب لكم ذلك.

فمَن معه ذَهَبٌ فليأتِ به إلى سوق الصرف، إلى عند الجهابذة الذين يعرفون الذهب الخالص... لا يذهب إلى عند أهل الجهل بذلك. فقالوا لي: لا نعمل هذا إلاّ أن تكون همتك معنا، فقلت: همتي ليست معكم، بل أنا معارض لكم مانع لكم، لأنكم تقصدون بذلك إبطال شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن كان لكم قدرة على إظهار ذلك فافعلوا. فانقلبوا صاغرين".

وكان لابن تيمية رحمه الله نقاشات عديدة مع هؤلاء، يبين فيها منهج أهل السنة، ويحذرهم من البدع، وخطورة الاستمرار على فعلها، فيعود أقوام منهم إلى الحق، ويصر آخرون على باطلهم. ولما رأى هؤلاء المبتدعة من الرفاعية، ما عليه ابن تيمية من قوة الحجة والمنطق، وثباته على الحق، وتحديهم بأن ما يقومون به من السحر والحِيل أمر باطل، تجمعوا "وخرجوا من المسجد الجامع في جموعهم إلى قصر الإمارة... مظهرين الضجيج والعجيج والإزباد والإرعاد، واضطراب الرؤوس والأعضاء، والتقلب في نهر بردى، ,إظهار التوله الذي يخيلوا به على الردى، وإبراز ما يدعونه من الحال والمحال، الذي يسلمه إليهم من أضلوا من الجهال".

ولما وصل هذا الجمع الحاشد إلى قصر الإمارة، ورآه الأمير، هاله ذلك المنظر، وسأل عنهم، فقيل له إنهم جاءوا يشتكون، فأدخل بعضهم عليه، وأخذ شيخهم يشتكي ابن تيمية، ويدّعي أنه اعتدى عليهم، وطلب شيخ الصوفية من الأمير أن يقف في صفهم، فرفض الأمير قائلاً أنه سيشهد من الحق سواء كان معهم أو مع ابن تيمية، وأرسل في طلب ابن تيمية بناءً على طلب شيوخ الصوفية.

يقول ابن تيمية عن الأمير: "فأرسل إلي بعض خوّاصه من أهل الصدق والدين ممن يعرف ضلالهم، وعرفني بصورة الحال، وأنه يريد كشف أمر هؤلاء. فلما علمت ذلك ألقي في قلبي أن ذلك لأمر يريده الله من إظهار الدين، وكشف حال أهل النفاق المبتدعين، لانتشارهم في أقطار الأرضين. وما أحببت البغي عليهم والعدوان".

وقبل الذهاب إلى اللقاء أو الاجتماع الموعود بحضرة الأمير، أخذ ابن تيمية بالتفكير بذلك اللقاء والفائدة المرجوة منه، ويقول: "فاستخرت الله تعالى تلك الليلة واستعنته، واستنصرته واستهديته، وسلكت سبيل عباد الله في مثل هذه المسالك، حتى ألقي في قلبي أن أدخل النار عند الحاجة إلى ذلك، وأنها تكون برداً وسلاماً على من اتبع ملة الخليل، وأنها تحرق أشباه الصابئة أهل الخروج عن هذه السبيل".

أما الرفاعية، فأخذوا يستعدون لتلك المناظرة، واتصلوا بعدد من القادة كي يقفوا في صفهم "وطافوا على عدد من أكابر الأمراء، وقالوا أنواعاً مما جرت به عادتهم من التلبيس والافتراء، الذي استحوذوا به على أكثر أهل الأرض من الأكابر والرؤساء، مثل زعمهم أن لهم أحوالاً لا يقاومهم فيها أحد من الأولياء، وأن لهم طريقاً لا يعرفه أحد من العلماء... وأن المنكر عليهم هو آخذ بالشرع الظاهر، غير واصل إلى الحقائق والأسرار".

وعند وصول ابن تيمية إلى مكان الاجتماع، وجد النفوس"في غاية الشوق من هذا الاجتماع، متطلعين إلى ما سيكون طالبين للاطلاع".

وبدأ ابن تيمية حديثه ببيان أن هؤلاء "كذابون مبتدعون قد أفسدوا من أمر دين المسلمين ودنياهم ما الله به عليم". ثم أخذ يذكر تلبيسهم على بعض الأمراء، "وأنهم لبّسوا على الأمير المعروف بالأيدمرى، وعلى قفجق نائب السلطنة، وعلى غيرهما. وقد لبسوا أيضاً على الملك العادل

كتبغا في ملكه، وفي حالة ولاية حماة، وعلى أمير السلاح ـ أجل أمير بديار مصر ـ وضاق المجلس عن حكاية جميع تلبيسهم.

فذكرت تلبيسهم على الأيدمري، وأنهم كانوا يرسلون من النساء من يستخبر عن أحوال بيته الباطنة، ثم يخبرونه بها عن طريق المكاشفة، ووعدوه بالملك، وأنهم وعدوه أن يروه رجال الغيب، فصنعوا خشباً طوالاً وجعلوا عليها من يمشي كهيئة الذي يلعب بأكر الزجاج، فجعلوا يمشون على جبل المزة، وذاك يرى من بعيد قوماً يطوفون على الجبل وهم يرتفعون على الأرض، وأخذوا منه مالاً كثيراً، ثم انكشف له أمرهم...

وأما قفجق، فإنهم أدخلوا رجلاً في القبر يتكلم، وأوهموه أن الموتى تتكلم، وأتوا به في مقابر باب الصغير إلى رجل زعموا أنه الرجل الشعراني الذي بجبل لبنان، ولم يقربوه منه، بل من بعيد لتعود عليه بركته وقالوا: إنه طلب منه جملة من المال، فقال قفجق: الشيخ يكاشف وهو يعلم أن خزانتي ليس فيها هذا كله، وتقرب قفجق منه وجذب الشعر فانقلع الجلد الذي ألصقوه على جلده من جلد الماعز".

وبعد أن ذكر ابن تيمية شيئاً من أكاذيبهم وحيلهم التي احتالوا بها على عدد من كبار الأمراء مثل الأيدمري، وقفجق الذي كان حينها نائب السلطنة بحماة، وغيرهما تحداهم بدخول النار معهم، ويوجه كلامه للأمير قائلاً:

"هم يزعمون أن لهم أحوالاً يدخلون بها النار، وأن أهل الشريعة لا يقدرون على ذلك، ويقولون لنا: هذه الأحوال التي يعجز عنها أهل الشرع، ليس لهم أن يعترضوا علينا، بل يسلم إلينا ما نحن عليه، سواء وافق الشرع أو خالفه.

وأنا قد استخرت الله سبحانه أنهم إن دخلوا النار أدخل أنا وهم، ومن احترق منا ومنهم فعليه لعنة الله. وكان مغلوباً، وذلك بعد أن نغسل جسومنا بالخل والماء الحار.

فقال الأمير: ولم ذلك. قلت: لأنهم يطلون جسومهم بأدوية يصنعونها من دهن الضفادع وباطن قشر النارنج وحجر الطلق، وغير ذلك من الحيل المعروفة لهم، وأنا لا أطلي جلدي بشيء، فإذا اغتسلت أنا وهم بالخل والماء الحار بطلت الحيلة وظهر الحق.

فاستعظم الأمير هجومي على النار، وقال: أتفعل ذلك؟ فقلت له: نعم، قد استخرت الله في ذلك، وألقي في قلبي أن أفعله. ونحن لا نرى هذا وأمثاله ابتداءً، فإن خوارق العادات إنما تكون لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، المتبعين له باطناً وظاهراً، لحجة أو حاجة، فالحجة لإقامة دين الله، والحاجة لما لا بد منه من النصر والرزق الذي به يقوم دين الله".

ولما رأى بعض الرفاعية قوة حجة ابن تيمية "جعلوا يطلبون من الأمير الإصلاح وإطفاء هذه القضية، ويترفقون. فقال الأمير: إنما يكون الصلح بعد ظهور الحق".

ومع تكرار ابن تيمية تحديه للرفاعية بدخول النار هم وهو، ومن احترق فهو مغلوب، يذكرهم بأن ما يصنعونه من الحيل والأباطيل التي

زعموا أنها كرامات، ليست دليلاً على صواب منهجهم ومسلكهم، ويخاطبهم قائلاً:

"ومع هذا فلو دخلتم النار وخرجتم منها سالمين حقيقة، ولو طرتم في الهواء، ومشيتم على الماء، ولو فعلتم ما فعلتم، لم يكن في ذلك ما يدل على صحة ما تدعونه من مخالفة الشرع ولا على إبطال الشرع، فإن الدجال الأكبر يقول للسماء أمطري فتمطر، وللأرض أنبتي فتنبت، وللخربة أخرجي كنوزك فتخرج كنوزها تتبعه، ويقتل رجلاً ثم يمشي بين شقيه، ثم يقول له قم فيقوم، ومع هذا فهو دجال كذاب ملعون، لعنه الله، ورفعت صوتي بذلك، فكان لذلك وقع عظيم في القلوب".

وحاول شيوخ الرفاعية التنصل من التحدي الذي أراده ابن تيمية لإثبات باطلهم "ومشايخهم الكبار يتضرعون عند الأمير في طلب الصلح، وجعلت ألح عليه في إظهار ما ادّعوه من النار مرة بعد مرة وهم لا يجيبون".

وقد كان لدعوة شيخ الإسلام رحمه الله ،هؤلاء المبتدعة للمناظرة، وتحديهم الأثر الكبير على الناس وعلى الأمراء وعلية القوم، إذا بادر هؤلاء الرفاعية إلى طلب الصفح، والإقرار بالتزام الكتاب والسنة، وهو ما كان يصر عليه ابن تيمية، ذلك أنه لم يكن يسعى من وراء مناظرتهم إلى مكسب شخصي، أو طموح فردي. يقول رحمه الله: "فلما ظهر للحاضرين عجزهم وكذبهم وتلبيسهم، وتبين للأمراء الذين كانوا يشدون منهم أنهم مبطلون رجعوا.

وتخاطب الحاج بهادر، ونائب السلطان وغيرهما بصورة الحال، وعرفوا حقيقة المحال، وقمنا إلى داخل ودخلنا وقد طلبوا التوبة عمّا مضى.

وسألني الأمير عمّا تطلب منهم، فقلت: متابعة الكتاب والسنة، مثل أن لا يعتقد أنه لا يجب عليه اتباعهما، أو أنه يسوغ لأحد الخروج من حكمهما ونحو ذلك....

قالوا: نحن ملتزمون الكتاب والسنة. أتنكر علينا غير الأطواق؟ نحن نخلعها. فقلت: الأطواق وغير الأطواق، ليس المقصود شيئاً معينا، ,إنما المقصود أن يكون جميع المسلمين تحت طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. فقال الأمير: فأي شيء الذي يلزمهم من الكتاب والسنة؟ فقلت: حكم الكتاب والسنة كثير لا يمكن ذكره في هذا المجلس، لكن المقصود أن يلتزموا هذا التزاماً عاماً، ومن خرج عنه ضربت عنقه...".

ومن جملة ما طلبه ابن تيمية من هؤلاء، إقامة الصلوات الخمس في أوقاتها "فإن من هؤلاء من لا يصلي، ومنهم من يتكلم في صلاته،...".

كما يشير رحمه الله إلى أهمية دور السلطان في محاربة البدع، فعندما سأله هؤلاء المبتدعة عمّا يبطل هذه "الأحوال" وادّعاء الكرامات، قال: "بهذه السياط الشرعية".

فأعجب الأمير وضحك وقال: أي والله، بالسياط الشرعية تبطل هذه الأحوال الشيطانية، كما قد جرى مثل ذلك لغير واحد، ومن لم يجب إلى الدين بالسياط الشرعية فبالسيوف المحمدية.

وأمسكت سيف الأمير وقلت: هذا نائب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وغلامه، وهذا السيف، سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن خرج عن كتاب الله وسنة رسوله ضربناه بسيف الله".

ومن الذين كان لهم الجهد الكبير في بيان أباطيل الصوفية وغيرها من الفرق، الشيخ إحسان إلهي ظهير رحمه الله.

وفي كتابه "دراسات في التصوف" يخصص فصلاً للرفاعية، ويتحدث عن عقائدهم وخرافاتهم التي أسموها كرامات، ويشير إلى مناظرة ابن تيمية للرفاعية، وإلى أن شيئاً قريباً مما حصل لابن تيمية، حصل له هو، إذ يقول رحمه الله: "وقد حدث لنا شخصياً سنة 1965 في مدينة سامراء المليئة بالرفاعيين، في بيت أحد السادة الأشراف مثل ما حدث لشيخ الإسلام بعدما كان سؤالي على أحد زعمائهم في تلك المدينة: "إن كان السلاح والرماح والسكاكين لا تؤثر فيكم، فلماذا لا تذهبون إلى جبهة القتال؟ والعراق في أشد الحاجة وأمسّها إلى أمثال هؤلاء الذين لا يؤثر فيهم الرصاص وغيرها من الأشياء.

كما نازلته وتحديته بأنه لو أعطاني المسدس، وأطلق الرصاص بنفسي، فأرى بأنه يؤثر أو لا يؤثر، فلم يسعه إلاّ الفرار والإنكار. وذلك القول الذي قالوه أمام شيخ الإسلام بأن هذه الكرامات لا تظهر أمام المنكرين"[1] .

للاستزادة

1ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، مجلد (التصوف) .

2ـ الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ـ الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق.

3ـ دراسات في التصوف ـ الشيخ إحسان إلهي ظهير.

---

[1]) ـ دراسات في التصوف ص 232.

مواقف المفكرين والعلماء من الشيعة - 19-

رشـــيـــد الخـيـون

هذه سلسلة من البحوث كتبها مجموعة من المفكرين والباحثين عن عقيدة وحقيقة مذهب الشيعة من خلفيات متنوعة ومتعددة ، نهدف منها بيان أن عقائد الشيعة التي تنكرها ثابتة عند كل الباحثين ، ومقصد آخر هو هدم زعم الشيعة أن السلفيين أو الوهابيين هم فقط الذين يزعمون مخالفة الشيعة للإسلام . وهذا البحث مستل من كتاب الأديان والمذاهب بالعراق ص 225 – 235، للكاتب الصحفي رشيد الخيون ، وهو شيعي عراقي غير متعصب لمذهبه ، وبحثه هذا سطر فيه تجربته الشخصية في التعرف على مذهبه الشيعي من خلال بيئته المحلية ، ويكشف فيها عن حقيقة المعتقدات السائدة لدى عوام الشيعة بفضل الدعاية الشيعية .

الراصد

الشـيعة

" العيش بمنطقة مغلقة لملة واحدة، ليس فيها ما يختلف معها في مقالة أو ممارسة، يوحي بالشعور بتفردها، ويعمق فكرة الفرقة الناجية المتداولة في كتب الملل والنحل، لها الجنة وللآخرين الجحيم. هذا ما حصل معي وأنا أدلف، في أول زيارة لبغداد وكنت صبياً، إلى جامع الحيدر خانة على ضفة شارع الرشيد اليسرى، وأنت متجه من الشمال إلى الجنوب، وتضع خلفك ضريحي إمامي المذهبين، الشيعي والسني، وهما موسى الكاظم وأبو حنيفة النعمان، يتوسدان ضفتي دجلة، ويربط بينهما جسر يعرف، نسبة إليهما، بجسر الأئمة، والاثنان قتلتهما السلطة نفسها بفاكهة وشراب مسمومين.

لمحني خادم الجامع أبحث عن شيء ما، فسألني إن كان يستطيع مساعدتي، فقلت له: أبحث عن تربة ، قال لي الرجل بحدة: "ليس في هذا الجامع ترب، ولا يجوز الصلاة على تربة"! حينها فهمت أنني دخلت المكان الخطأ. وما زاد استغرابي رأيت المصلين يضمون اليدين إلى الصدور! فالفارق، حسب المشهد، كبير بين الصلاة في الجامع الشيعي عنها في الجامع السنّي.

طرح هذا المشهد أمامي أسئلة عديدة منها أن للصلاة طرقاً أخرى غير الطريقة الشيعية، فعبارتي "أشهد أن علياً ولي الله" و "حي على خير العمل" واستخدام التربة وسبل اليدين هي تعاليم خاصة بنا وليس بالمسلمين عامة، ومذهبنا ليس الوحيد بالكون، وفي هذه الزيارة عرفت أن أمثال طبيب منطقتنا اليهودي (أبو كاتي) ومعلمة مدرستنا، الخاصة بالبنات، انطوانيت وزوجها إسكندر، يملأون بغداد، وهما من أقدم أقوام العراق، ولم يأتوا من أرض أخرى، والكل بشر مثلنا ...، وليس وحدنا سنكون في بطن الجنة، لأن الإمام علي بن أبي طالب يقف على السراط المستقيم، يأخذ بأيدينا.

.....كان البحث عن التربة في جامع سنّي، بعفوية الذي لا يفقه بواطن الأمور وعمق الخلاف بين الطائفتين، بداية مراجعة لأمور وممارسات عديدة، كنت أعيشها تلقائياً دون مناقشة أو سؤال، منها الاختلاف في تعيين يوم العيد ما بيننا وبين الحكومة. كان يشعرنا هذا التفاوت أن إسلامنا غير إسلامها، وكثيراً ما كان تأخير إعلان العيد يسبب إحراجاً للموظفين الغرباء في منطقتنا بسبب تبادل التهاني، فهم على الغالب من أهل السنة والجماعة، وكثيراً ما يتأخر وصول برقية من النجف، معلنة انتهاء شهر الصوم، إلى الظهيرة فيضطر الناس إلى قطع صومهم وتبادل التهاني، وسط اندهاش موظفي الدولة.

يسهر الشيخ محمد علي الحموزي، وكيل مرجعية النجف وهو الوحيد يعتمر العمامة بمنطقتنا، طوال الليل بدائرة البريد والبرق والهاتف منتظراً إشارة من النجف، فرؤية الهلال لا تكفي الشيخ لإعلان العيد. أما العائلة الدينية الأخرى وهم آل شيخ لطيف فرغم تاريخهم في إحياء المجالس الحسينية، وقيادة الموكب الحسيني إلى كربلاء، وتغسيل وتكفين الموتى وإبرام عقود الزواج غير الرسمية، وكتابة التعاويذ إلا أنهم لا يتدخلون في تحديد الصيام أو الإفطار ولا يحق لهم البت بأمور شرعية، ولا يحق لهم التعمم فاكتفوا بالعقال والكوفية، ذلك لأن صلتهم بالنجف تكاد تكون معدومة، فهم فقهاء المجلس الحسيني بالوراثة لا بالدراسة.

تستدعي هذه الحال التأمل في صلة منطقتنا ومناطق الشيعة العراقية الأخرى بالدولة، التي أشار الاختلاف في إعلان العيد إلى سنيتّها، وما يترتب على ذلك من موقف منها ومن دوائرها بين ربوعنا الشيعية، منها تحديها بشعور له خلفيته التاريخية.

كانت هذه الممارسة دليلاً صارخاً أمام جيلنا على تعقيد الحالة المذهبية بالعراق، وكشف خصومتنا، الظاهرة المخفية، مع الدولة، يتبع ذلك ممارسات غير مفسرة لطفولتنا، منها: ثأرنا لفاطمة الزهراء بإقامة مشاهد ساخرة من الخليفة عمر بن الخطاب، في يوم معروف عندنا، وربما عند الشيعة كافة، بفرحة الزهراء، أو حسب تسميتنا له "فرحة الزهراء".

كان عبد الأمير جعاز، وهو أكبرنا سناً، يلبس طربوشاً ملوناً وثياباً فضفاضة ومزركشة، تعرف بثياب الشهارة، ويلصق بوجهه قطناً، نسير خلفه ونردد عبارة مهينة وساخرة هي: "يعمير (تصغير عمر) هيته هيته...".

كانت هذه الممارسة مقتصرة على الصبيان، بينما يشير سكوت الكبار إلى الموافقة المستترة على التنكيل بشخصية عمر، فلا بد أنهم لعبوا هذا الدور في صباهم.

كان لثوب الشهارة صيت سيئ بين أهل المنطقة، فقيل إن الإنكليز ألبسوه للشيخ سالم الخيُّون عندما قبضوا عليه ودكوا مضيفه بالطائرات دكاً (1925) بفتنة طائفية من وزير الداخلية آنذاك عبد المحسن السعدون، يذكرون ذلك بألم وشعور خفي بالإهانة! وتذكر هذه الممارسة بطائفية عتيقة كان يمارسها عبادة المخنث بلبس ثياب مشهورة بفقاعة ألوانها ليسخر من شخصية الإمام علي بن أبي طالب أمام الخليفة جعفر المتوكل، ومباركة شاعره علي بن الجهم.

كان لهذا المشهد صلة بروايات تاريخية مختلفة، اختلقها إخباريون شيعة مثلما اختلق إخباريون سنّة روايات شيعية عن خبر كسر عمر بن الخطاب لضلع فاطمة الزهراء، ابنة الرسول، وإسقاط جنينها المفترض أن يكون ولدها الثالث المحسن بعد الحسن والحسين، وقد تصدى رجال دين شيعة لهذه الرواية التي أفرزت تلك الممارسة، وفي مقدمتهم آية الله اللبناني محمد حسين فضل الله، ولا زال يواجه بقوة من قبل الخصوم، وليس بعيداً أن يكون الإيرانيون مصدراً لمثل هذه الرواية.

فالشعوب الإيرانية، خارج التأثير المذهبي، تنظر إلى عمر بن الخطاب من زاوية أوجاع الفتوحات، وأن اغتياله لم يكن بعيداً عن آلام الأسرى من الشعوب الإيرانية من الذين أوصلتهم فتوحاته إلى يثرب، وأصبحوا ضمن ما فيها من الموالي، فالذي قتله هو أبو لؤلؤة فيروز الفارسي، بخنجر مسموم، وظل عبيد الله بن عمر مطلوباً بقتل أبي لؤلؤة وزوجته وابنتهما وشخصاً آخر يدعى الهرمزان[1].

جاء في المصادر، أن الهرمزان كان قائداً في الجيش الفارسي، وخاض الحرب ضد العرب المسلمين بالعراق، وأُسر مع من أسر، واستشاره عمر بن الخطاب في غزو بلاد فارس وأصبهان وأذربيجان، ثم كلفه بقيادة الجيش الغازي بصحبة الزبير بن العوام[2]. وقبل ذلك، قاد الهرمزان الجيش الفارسي في قتال العرب يوم ذي قار، جنوب العراق، "وكانت هذه الوقعة بين بكر بن وائل والهرمزان صاحب كسرى أبرويز"[3].

وقيل الذي دفع خادم المغيرة بن شعبة، أبا لؤلؤة فيروز، لقتل الخليفة هو إذلال أسرى قومه، من نساء وأطفال بالمدينة، جاء في الرواية: "لما قدم سبي نهاوند المدينة جعل أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة لا يلقى منهم صغيراً إلا مسح رأسه وبكى، وقال له: أكل عمر كبدي! وكان من نهاوند، فأسرته الروم، وأسره المسلمون من الروم،

---

1) ـ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 2/ 160.

2) ـ المسعودي، مروج الذهب وجواهر المعدن، 3/ 66.

3) ـ المصدر نفسه، 1/ 320.

فُنسب حيث سُبي، وكان المسلمون يسمون فتح نهاوند فتح الفتوح، لأنه لم يكن للفرس بعده اجتماع، وملك المسلمون بلادهم"[1].

ظل علي بن أبي طالب يلاحق عبيد الله بن عمر بدم الهرمزان، حتى بعد فراره إلى جيش معاوية، وعند المواجهة في معركة صفين، وكان مع جيش معاوية، رد على علي وهو يسأله عن سبب قتاله له "أطلب بدم عثمان" فقال له علي: "أنت تطلب بدم عثمان والله يطلب بدم الهرمزان"[2]. ولما قتل عبيد الله بن عمر طلبت نساؤه جثته من معاوية، فتقدم الأخير لشرائها، فقال علي: "إنما جيفته جيفة كلب ولا يحل بيعها"[3]. (وهذا من الكذب الشيعي المجوسي الواضح ، الذي اشتهر به المسعودي . الراصد)

نعرف جيداً أن أهل السنّة لا يستثنون من التكريم صحابياً من صحابة النبي، وإن كان معاوية ووالده أبا سفيان صخر بن حرب، ومع عدم واقعية هذا التشريف إلا أنه قد يستر كثيراً من إيقاظ النعرات بين الأتباع، وإن اكتفى مدرسنا في التربية الدينية والقادم من النجف الشيخ محمد النويني باستثناء الخلفاء الثلاثة وهم: أبو بكر وعمر وعثمان مما جاء في المقرر الدراسي، فمنطقتنا أطلقت اسمي أبي سفيان ومعاوية على الكلاب، وأتذكر أن عراكاً عنيفاً جرى بين كلب أخوالي ويدعى أبا سفيان وبين كلب جيرانهم ويدعى معاوية، ولم يخطر على بالي أن شيعياً سمى ولده بهذه الأسماء.

هناك ممارستان ما زالتا حاضرتين في المخيلة الشيعية هما السقيفة التي بسط عمر بن الخطاب فيها يده لأبي بكر، ليكون خليفة رغم عمق المعارضة، كاستلاب لحق آل الرسول بخلافته، والثانية حروب معاوية مع علي بن أبي طالب ثم قتل الحسين بكربلاء، وهي الأعمق، ففي طقوس كربلاء السنوية لا يجد الشيعة حرجاً في ربط الاسم الأموي بالعطش والدم والخداع، لهذا كان أهلنا يجدون في تسمية كلابهم بأبي سفيان أو معاوية نوعاً من الثأر للإمام الحسين، وكل من قُتل من العلويين.

ومن المفارقة، أن ظهرت أسماء في الأسرة العلوية، في جيل قريب من الحدث، مثل معاوية بن عبد الله بن جعفر بن علي بن أبي طالب (والده من الأطفال الذين بقوا على قيد الحياة بعد الطف بكربلاء)[4]. وهنا يفترق المذهبان في مفهوم الصحابة وحول مَن عُرف بالمبشرين بالجنة.

إن امتزاج الحدث التاريخي في مخيلتنا الشعبية لا زال يوجه ميولنا المذهبية بعيداً عن وقائع التاريخ، فالوقائع حصلت بأرض قصية عن بيئتنا المائية التي لم تعرف صهيل الخيل ولا غبار المعارك، لهاذا أوقف عتبة بن غزوان فتوحاته على مشارفها، بعد أن استكمل اجتياح البصرة، فهي

---

1) ـ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 3/ 16.

2) ـ مروج الذهب، 3/ 133.

3) ـ المصدر نفسه، 3/ 133.

4) ـ الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص 152.

حسب عبارته: ليست من ديار العرب. فنحن نعتبر زواج عثمان بن عفان من ابنتي الرسول لينال لقب ذي النورين، وزواج الرسول من بنات أبي بكر وعمر بن الخطاب وأبي سفيان، عائشة وحفصة وأم حبيبة أكاذيب لا صحة لها، والثلاث الأخيرات كن مذمومات، ولا زلن عند أغلب الشيعة، "وهن قال الله فيهن: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن، مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً"[1]. ونسب للسيد الحميري في عائشة وحفصة القول:

إحداهما نمت عليه حديثها ... وبغت عليه بغية إحداهما

ونسب له القول في عائشة وحالها مع المؤمنين في معركة الجمل:

كأنها في فعلها حيّة ... تريد أن تأكل أولادها[2]

والفاضلات، حسب مصدر شيعي، من زوجات الرسول هن: خديجة، وأم أيمن (وقيل أنها جارية)، وأم سلمة، وميمونة الهلالية، ومارية القبطية، وصفية وزينب بنت جحش[3] والأخيرة زوجة ربيب النبي زيد بن حارثة، ويكذب أيضاً واقعة تزويج الإمام علي بن أبي طالب ابنته من عمر بن الخطاب، وأن يكون معاوية بن أبي سفيان أحد كتبة الوحي، ووالده أبو سفيان والياً من قبل النبي محمد على نجران، يؤيد ذلك شهادته في العهد الذي كتبه الرسول لأهلها[4]، وأن يكتب الوحي أيضاً المختص بعثمان بن عفان ورضيعه وطريد النبي محمد عبد الله بن سرح (ت 37هـ) لأنه ارتد ولحق بالمشركين بعد أن قال: "إن محمداً ليكتب بما شئتُ"[5]، وأن يكون الحسن والحسين ولدا علي بن أبي طالب ومعهم عبد الله بن عباس ضمن جيشه وتحت قيادته خلال الزحف نحو أفريقية[6]. أبعدنا هذه الأخبار لأنها تفصل التاريخ عن مخيلتنا، وبالتالي تقلل من شأن خلافنا مع الآخر.

كان بين مخيلتنا الموروثة وبين ما تلقيناه في المناهج المدرسية بوناً شاسعاً أيضاً، فقد جرت العادة أن ندرس سيرة الخلفاء الراشدين حسب الأهمية والأسبقية بالخلافة وآخرهم علي بن أبي طالب، بينما ما عندنا هو الأول والموصى في إمامته من الله، ومثلما اعتبر إخباريو السنّة رأي عمر بن الخطاب حافزاً في نزول العديد من الآيات القرآنية، أعتبر إخباريو الشيعة علياً مرموزاً إليه وإلى ولايته بآيات قرآنية. وكان الماء يُسقى في عاشوراء للمعزين بقتل الحسين مع عبارة: "اشرب الماء وألعن يزيد"، ويزيد هذا كان خليفة المسلمين رسمياً! و "لعن الله أمة حرمتك من الماء"، وهذه الأمة كانت أمة مسلمة في انتمائها الديني، بينما نقرأ في درس التاريخ حول إنجازات معاوية وفتوحاته وانتصاراته التي غلبت الروم.

---

1) ـ الخصيبي، الهداية الكبرى، ص40، (التحريم، آية 5).

2) ـ أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، 2/24.

3) ـ الهداية الكبرى، ص40.

4) ـ المصدر نفسه.

5) ـ أبو يوسف، الخراج، ص 73.

6) ـ الجهشياري، الكتاب والوزراء، ص13، الزركلي، الأعلام، 4/ 88ـ 89.

مع أن معاوية بن أبي سفيان افتتح عصراً إسلامياً يُشتم فيه الإمام علي بن أبي طالب على المنابر لعشرات السنين، ويطارد شيعته وآل بيته من جيل إلى جيل، وأن يمدح التاريخ الرسمي عائشة والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله، وأن الأخيرين من المبشرين بالجنة، حسب حديث نبوي يؤكده محدثو السنّة بقوة، مع أنهم خرجوا قاصدين قتل علي بن أبي طالب.

خلقت هذه الازدواجية عند الشيعي العراقي، على وجه الخصوص، نوعاً من عدم الجدية في تناول موضوعات التاريخ الرسمي، وعمق ذلك من التمييز بين الطائفة أو المذهب وبين الدولة، يظهر ذلك في ممارسات عديدة منها، كما أسلفنا، الاستقلال بيوم الفرح، وهو تأخير إعلان العيد، فمثلما لا تشاركهم السنّة في حزنهم السنوي لا يود الشيعة المشاركة في الفرح أيضاً.

وحسب ما تقدم، كم تبدو خارطتنا المذهبية معقدة، فالأحداث متداخلة وموزعة بين إسلامين، إسلام سنّي تعددت مذاهبه رغم تقاربها، وإسلام شيعي تعددت مذاهبه أيضاً واختلفت أزمنته، لم يبق منه بالعراق غير المذهب الجعفري أو الإثنى عشري أو الإمامي،

يصعب وضع اليد على بداية تاريخية، سواء كان بالعراق أو في غيره من البلدان. وقد لا يقود البحث في تاريخه إلى مؤسس بعينه، كبقية المذاهب. فمن السهولة بمكان وضع اليد على بدايات المذهب الحنفي، أو المالكي. أو الشافعي، أو الحنبلي لأن هذه المذاهب ارتبطت بشخص معين، وليس لها خلفية سياسية معقدة. أما الشيعة فمن الصعوبة بمكان الإشارة إلى مؤسس، فالأحداث السياسية بداية من السقيفة متداخلة ومعقدة.

نسب مؤرخو الشيعة تأسيس مذهبهم إلى النبي، وأنه بذرة الإسلام الأولى، حالهم في ذلك حال المذاهب الأخرى، واجدة أحاديث نبوية مبشرة بأبي حنيفة أو الشافعي أو ابن حنبل. قال محمد حسين كاشف الغطاء: "إن أول من وضع بذرة التشيع في حقل الإسلام هو نفسه صاحب الشريعة الإسلامية، يعني أن بذرة التشيع وصفت مع بذرة الإسلام جنباً إلى جنب، سواء بسواء، ولم يزل غارسها يتعاهدها بالسقي والعناية"[1]. وينصح كاشف الغطاء، وهو من المراجع الدينية البارزة بالنجف في النصف الأول من القرن العشرين، بمراجعة الآية "أولئك هم خير البرية"[2]، ويفسرها بأنهم علي وشيعته، داعماً تفسيره بآراء فقهاء سنّيين، مثل: ابن عساكر والسيوطي والدارقطني[3].

وعلى المنوال نفسه، يذهب آية الله محمد باقر الصدر إلى القول إنه "نتيجة طبيعية للإسلام، وممثلاً لأطروحة كان من المفروض للدعوة الإسلامية أن تتوصل إليها حفاظاً على نموها السليم، ويمكننا أن نستنتج

---

[1]) ـ كاشف الغطاء، أصل الشيعة وأصولها، ص44.

[2]) ـ البينة، 7.

[3]) ـ أصل الشيعة وأصولها، ص45.

هذه الأطروحة استنتاجاً منطقياً من الدعوة التي كان الرسول الأعظم يتزعم قيادتها بحكم طبيعة تكوينها، والظروف التي عاشتها"[1].

وبما أن الوصية في الإمامة هي عماد التشيع لذا اعتبر الصدر ترك الأمر بلا وصية "سلبية لا يمكن افتراضها في النبي"[2]. ويدلل الصدر منطقياً على إثبات الوصية، أنه كيف يوصي أبو بكر لعمر، وعمر لستة من أهل الحل والعقد "والرسول لم يعهد لأحد"؟ ويترك الصدر الباب مفتوحاً للاختلاف لا في وجود الوصية بل في "لمن كانت الوصية". وهذا صحيح، فالذين يتحدثون عن ترك الرسول الوصية يحاولون التشبث بمبدأ الشورى، الذي منه يحاولون تكريس الديمقراطية تاريخياً، والأمر وفق هذه المحاولة لا يتعدى الدعاية الفكرية والسياسية، أما الواقع فغير ذلك تماماً، فإذا كان أمر المرتد لم يحسم بعد بين المسلمين فيكف التحدث عن الديمقراطية التي لا يمكن أن تستقيم دون حرية فكرية وعقائدية.

وهذا الرأي هو رأي الشيعة عامة، ولم يدع إخبارية المذهب وحدهم جذوراً لمذهبهم تتصل بالرسول مباشرة، بل ادعى هذه الصلة، كما قلنا، معظم المذاهب إن لم يكن كافة، وطبقات المذاهب تؤكد ذلك، مع أن بذرة الإسلام الأولى لم تكن شيعية ولا سنّية ولا معتزلية، غير أن الرسول وخميرة الإسلام، كما يُقال، لا زالت حاضرة في المذاهب الإسلامية كافة، وإن كانت بدرجات متفاوتة، لا سيما أن جميع المذاهب تتخذ من الرسول حجة لوجودها وشرعيتها، وتأكيداً لفضل بعضها على بعض، والشيعة ربما الأقرب إلى النسب النبوي، فوصية غدير خم، وهي حجتهم في ولاية علي بن أبي طالب، معترف بها من قبل السنّة أيضاً، لكنهم يختلفون في تفسيرها.

ولنأخذ رأياً سنّياً حول بذرة التشيع الأولى نقتبسه من محمد بن عبد الكريم الشهرستاني الشافعي، قال: "إن الشيعة هم الذين شايعوا علياً، رضي الله عنه، على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، إما جلياً وإما خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده، وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحية تُناط باختيار العامة وبتنصيب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين، لا يجوز للرسل عليهم الصلاة والسلام إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله"[3].

اعترف الشهرستاني، حسب ما ورد، بمشايعة الشيعة لعلي بن أبي طالب، وبالتالي بنسبة الشيعة إلى العهد النبوي، فالمشايعة تمت على أساس وصية النبي. والسؤال هل الوصية، في وقت إعلانها، أصبحت تاريخاً لقيام المذهب الشيعي؟ وهل تعتبر علي بن أبي طالب مؤسساً للشيعة؟ إن ما يعيق التسليم بهذا الرأي هو أن الإمام علياً كان يمثل الإسلام عموماً، واختلافات تلك المرحلة لم تؤدِ إلى انفلاق مذهبي على أساس سنّي وشيعي، فمن السابق لأوانه أن نتحدث عن افتراق الإسلام

---

1) ـ حسن الأمين، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، 1/7.

2) ـ المصدر نفسه، 1/8.

3) ـ الشهرستاني، الملل والنحل، 1/ 146.

إلى طائفتين على أسس مذهبية في الفترة النبوية، أو الفترة الراشدية، بل اختلافات تلك الأيام كانت اختلافات سياسية مباشرة، تداخل فيها العلاقات العشائرية والأسرية.

فنصيحة رجل أموي الهوى، لعب دوراً في شد عضد معاوية بن أبي سفيان، لعلي بن أبي طالب توحي بتداخل الاتجاهات آنذاك، وإشارة إلى التفاف الناس حول خليفة أتته الخلافة بالبيعة البائنة، والاختلاف كان مع أمير شق عصا الطاعة واستقل بالشام، فأراد تحقيق حلم أبيه صخر بن حرب (ت 31هـ)، الذي أفصح عنه وهو يقف شامتاً فوق قبر حمزة بن عبد المطلب، عم الرسول والمقتول في معركة أُحد، والذي أكلت كبده حقداً عليه زوجته هند.

قال أبو سفيان: "رحمك الله يا أبا عمارة، لقد قاتلتنا على أمرٍ صار إلينا"[1]، ربما شمت أبو سفيان بقتيل أُحد يوم كان والياً من قبل النبي على نجران، كما سلفت الإشارة. والعبارة قد لا تتعدى قراءة ناقل الخبر أبي حيان التوحيدي الخاصة بتغيرات المشهد السياسي.

نأخذ نصيحة المغيرة بن شعبة (ت 50هـ)، الذي أشرنا إليه بأموي الهوى، لعلي بن أبي طالب من مصدر قريب على التشيع، هو أبو الحسن المسعودي (ت 347هـ)، فقد عدَّ من أعلام الشيعة ونُسب له كتاب "الوصية"، مع أنه بعيد عن أجواء أسلوبه في الكتابة. جاء في الرواية: "أتى المغيرة بن شعبة علياً، فقال له: إن لك حق الطاعة والنصيحة، وأن الرأي اليوم تحوز به ما في غد، وأن المضاع اليوم تضيع فيه ما في غد، أقرر معاوية على عمله، وأقرر ابن عامر (والي البصرة) على عمله، وأقرر العمال على أعمالهم، حتى إذا أتتك طاعتهم وطاعة الجنود استبدلت أو تركت، قال: أنظر".

لكن المغيرة، ربما بتأثير أموي، سرعان ما تراجع عن نصيحته لعلي "وعاد إليه من الغد، فقال: إني أشرت عليك بالأمس برأي وتعقبه برأي، وإنما الرأي أن تعاجلهم بالنزع، فتعرف السامع من غيره، وتستقيل أمرك"[2]. فقال عبد الله بن عباس لعلي: "أما أمس فقد نصحك، وأما اليوم فقد غشك"[3].

ورغم أن كتباً مثل "الهداية الكبرى" للحسين بن حمدان الخصيبي (ت 334هـ)، و"بحار الأنوار" لمحمد باقر المجلسي (ت 1111هـ) وغيرها من كتب الشيعة العامة مملوءة بالخيالات الجامحة، إلا أنها شاركت بطريقتها في نسبة التشيع للفترة النبوية، ذلك برواية حديث مرفوع إلى الإمام أبي عبد الله جعفر الصادق، ملخصه أن النبي خرج يوماً يطلب طعاماً من بيت علي بن أبي طالب، فاعتذر الأخير عن توفير الطعام، فهو لم يذقه منذ ثلاثة أيام، فأخذه الرسول والمقداد بن الأسود الكندي وأبا ذر الغفاري وعمار بن ياسر، وقال لهم: "أبشروا فإن الله عز وجل أمر الجنة

---

1) ـ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، 2/ 75.

2) ـ مروج الذهب، 4/ 643.

3) ـ المصدر نفسه، 4/ 644.

أن تتهيأ بأحسن هيئتها فتهيأت، وقال لها: إني جعلت سكانك محمداً رسولي وأهل بيته، وأنتم أصحابي وشيعتي وشيعة أهل بيتي وعترتي..."[1].

إن نسبة بدايات التشيع إلى هؤلاء الأصحاب وسلمان الفارسي أمر شائع في كتب الشيعة، وأخبار صلاتهم بالتشيع مؤكدة في مختلف المصادر التاريخية، فالمقداد رد على معاوية بعد أن سأله ما هو فاعل لو كان محل أبي موسى الأشعري في الحكومة بصفين، قال: "أجمع ألفاً من المهاجرين وأبنائهم، وألفاً من الأنصار وأبنائهم ثم أقول: يا معشر من حضر أرجل من المهاجرين السابقين (ويعني علياً) أحق بالخلافة أم رجل من الطلقاء (يعني معاوية، والطلقاء هم الذين أسلموا يوم فتح مكة)[2].

وأن أبا ذر الغفاري مات منفياً بالربذة (منطقة صحراوية على مسافة من المدينة) بعد أن ضاق عثمان بن عفان ومعاوية بن أبي سفيان من تحريضاته، واعترض علي بن أبي طالب بشدة على نفيه، وعمار بن ياسر قتل وهو أحد قادة جيش علي في معركة صفين ضد الشاميين بقيادة معاوية، وسلمان الفارسي عُرف بباب علي، وكل إمام من أئمة الشيعة له بابه. لكن أي من هؤلاء كان شيعياً بالمعنى المعروف، غير التفافه حول علي بن أبي طالب بداية من أيام عثمان ثم في خروج معاوية عليه؟ ففي تلك الأيام لم يتبلور التشيع في مقالات فقهية وليس هناك إشكاليات مذهبية، غير إشكاليات السياسة وفي مقدمتها الإمامة، والتي هي أول افتراق بين المسلمين.

عموماً، إن الشيعة فرقة نشأت بالتدرج، وأن الإمامية، وهي مذهب أهل العراق الشيعة اليوم، التي نحن بصددها، ظهرت متأخرة على فترة الإسلام الأولى، والبداية كانت بمفهوم الشيعة العام كأصحاب وجماعة التفت حول علي بن أبي طالب، ثم تحولت إلى تجمعات سياسية ظلت تعترض على الحكم الأموي، مرة بالتنظيم السري، كتنظيم أولاد محمد بن الحنفية، ومرة بإعلان الثورة المسلحة كحركة التوابين بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي، والمختار بن أبي عبيد الله الثقفي، وزيد بن علي بن الحسين.

ولم يحظ التشيع بتمييز مذهبي فقهي وكلامي إلا بجهود الإمام جعفر الصادق الفقهية، لذا جاءت تسمية المذهب الشيعي بالمذهب الجعفري مطابقة للواقع، لاسيما وأن معظم الأحاديث أو السنّة التي يهتدي بها الشيعة قد جاءت مروية على لسان الصادق، هذا ما تشير إليه كتب الحديث الأربعة المعتبرة عند الشيعة، وهي: "الكافي" لمحمد بن يعقوب الكليني (ت 292هـ)، وتضمن (16.199) حديثاً، و "مَن لا يحضره الفقيه" لمحمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت 381هـ) وتضمن (5.964) حديثاً، و "الاستبصار" و "التهذيب" لشيخ الطائفة الطوسي (ت 460هـ) وتضمنا معاً (19.101) حديثاً[3].

---

1) ـ الهداية الكبرى، ص41ـ 42.

2) ـ المرزباني، شعراء الشيعة، ص31.

3) ـ الطالقاني، الشيخية نشأتها وتطورها ومصادر دراستها، ص34، الهامش.

تقابل الكتب الأربعة الشيعية كتب الحديث الستة السنّية، أبرز رواتها الصحابي أبا هريرة، الذي تكذبه الشيعة، مثلما كذب كُتاب السنّة الشيخ الصدوق، فدعوه بالكذوب، لذا رد الشيعة عليهم ودعوه بالصدوق، وكذلك كذبوا الإخباري الشيعي عبد الله الجعفي، غير أنهم لا يتعدون أو يجازفون إلى تكذيب جعفر الصادق مع أنه تقريباً مصدر حديث الشيعة الأهم، فاعتبروا أحاديث هذه الكتب أكاذيب على جعفر الصادق من قبل رجال الشيعة.

حجم شيعة الخليج والعراق و لبنان بين الحقيقة والخيال[1]

لقيت التصريحات القوية الأخيرة للرئيس المصري حسنى مبارك حول ولاء الشيعة لإيران وليس لدولهم موجات هائلة من التنديد الشيعي، كما أن كثيراً من الكتاب اليساريين والقوميين رفضوا هذه التصريحات ، ولكن لم يقف أحد من هؤلاء المستنكرين لهذه التصريحات هذا الموقف من نسبة شيعة العراق التي قال الرئيس المصري أنها 65% من الشعب العراقي ، وهذه النسبة غير صحيحة بتاتاً.

و الجانب الأكثر خطورة في هذا الموضوع هو الأرقام التي تنشر دون تصحيح وتشكل فيما بعد حقائق على الأرض كما يحدث في العراق حيث عجزنا عن إقناع السنة ودولهم فضلاً عن غيرهم بأكثرية سنة العراق فضاعت حقوق سنة العراق في بلدهم رغم أن وزارة التخطيط و التعاون الإنمائي العراقي أصدرت تقريراً في شهر 7 لعام 2004 ذكرت فيه أن نسبة السنة في العراق تبلغ 52.95 % مقابل 44.04 % للشيعة (جريدة العرب اليوم 28/4/2005) ، وقد تم التعتيم إعلامياً بطريقة عجيبة ، والأعجب من ذلك تخاذل السنة في العراق وخارجه عن تناول هذا التقرير إعلامياً ! فهل وصل العجز إلى هذا الحد ؟ أم أن أجهزتنا الإعلامية لا تعمل لصالحنا ؟؟؟؟

وللعلم هناك عدة دراسات تناولت حقيقة حجم شيعة العراق كدراسة الدكتور سليمان الظفيري، ودراسة الدكتور طه الدليمي ، ودراسة لوكالة قدس برس ، نشرت في المجلات وشبكة الإنترنت .

وهذا يكشف بوضوح عن الخلل الكبير في بنية صناعة القرار السياسي العربي ، فمصر أكبر دولة عربية والتي تعد مليئة بالباحثين و الدارسين والمراكز العلمية ، لا تقدم صورة صحيحة عن حجم شيعة العراق للرئيس !!؟

---

[1] - كان هذا المقال نشر في الراصد عدد 23 زاوية فاتحة القول ، ونعيد نشره بسبب تصريحات مبارك مع إضافات . الراصد

كما أن هذا يكشف عن الدور الخطير الذي يقوم به الإعلام، الذي يروج عمداً لمعلومات مضللة لتكون نقطة انطلاق في المستقبل لمكاسب غير شرعية .

للأسف لم تنتبه الحكومات ومراكز البحث للآن للمعلومات المضللة التي تروج عن أعداد الشيعة في المنطقة مع أن موضوع الشيعة وحقوقهم ودورهم من أهم القضايا على الساحة السياسية منذ سنوات عدة ، ففي غياب الإحصاءات الدقيقة ، و غفلة الأكثرية السنية و جهل الأنظمة العربية تنتشر أرقام خيالية عن حجم هذه الأقليات في المنطقة العربية ، تقوم بنشرها مراكز مشبوهه ، مثل مركز ابن خلدون الذي يرأسه سعد الدين إبراهيم في القاهرة ، أو صحافة يهودية عالمية وأتباعها من اليسار العربي أو كتاب منتمون لهذه الأقليات.

كما تشكل الدعاية المكثفة لنشر الديمقراطية في المنطقة العربية تحدياً حقيقياً لكثير من الأنظمة العربية ومن أهم هذه التحديات في نظرنا : التغيير في مفهوم الديمقراطية من مفهوم حرية الانتخاب لكل المواطنين إلى مفهوم إعطاء الأقليات حرياتها ! و تتضح الخطورة إذا تعرفنا على هذه الأقليات التي يراد لها أن تنال مطلق الحرية في المنطقة العربية وهي أقليات دينية (يهودية ، نصرانية ،صابئة ، هندوسية ...) أو إسلامية (شيعة ، إسماعيلية ، بهائية ، قاديانية ،...) أو أقليات فكرية (عبدة الشيطان ، ملحدون ، مثليون جنسيون ، ...) إلى غير ذلك من الأقليات .

وحتى تتضح خطورة الموضوع أكثر نورد جدولاً يحتوى على حجم الشيعة في الخليج والعراق كما تعرضها المراجع المختصة : "المجموعات العرقية والمذهبية في العالم العربي" و "أطلس العالم العربي" و" تقارير مركز ابن خلدون " و" موقعCIA على الانترنت " ، ويكشف لنا هذا الجدول مدى التخبط والتناقض ، مما يزيد من أهمية دراسة الموضوع بشكل صحيح وعادل :

السنة	1990	1990	1993	1999	2000	2003	2005	2005
المصدر الدولة	المجموعات العرقية والمذهبية في العالم العربي	أطلس العالم العربي – البعثة الفرنسية	تقرير ابن خلدون	تقرير ابن خلدون	تقرير ابن خلدون	المجتمع المدني، اصدار مركز ابن خلدون	تقرير ابن خلدون	موقع CIA
السعودية	5%	2.5%	10%	-	-	14%	10%	-
البحرين	45%	40%	52%	70	67	70%	67%	70%

ن				%	%			
الكويت	25%	21%	20%	-	25 %	25% 40%	30%	30%
الإمارات	25%	13%	20%	-	-	16%	-	16%
قطر	-	10%	-	-	-		-	-
العراق	52%	مع يزيديين وغيرهم 51%	48%	52 %	50 %	60-65%	60%	60-65%
لبنان	عام 1982 20،27 %	25%	19،6 %	28 %	29 %	-	29%	-

والمتأمل في هذه الأرقام يجد تناقضات عجيبة وقفزات غريبة خاصة فيما يتعلق بالبحرين والعراق لا تتفق مع المنطق و نسبة النمو السكاني و الهجرات الطارئة !!

والسبب الذي برر به مركز ابن خلدون زيادة نسبة شيعة البحرين من 52 % عام 1993 إلى 70 % عام 1999 هو أنهم قرويون يكثر عندهم الإنجاب !!

وهذا غير صحيح فإن الشيعة في البحرين يكثر فيهم المتعلمون بعكس السنة الذين يتوجهون إلى قطاعات الجيش، و لا يهتمون بمواصلة الدراسة التي تؤخر سن الزواج .

كما أن هذا المركز عمد إلى زيادة حجم الشيعة في الكويت والإمارات .

فهذه الأرقام تعطينا دلالة على حقيقة علمية ومهنية تقارير مركز ابن خلدون الذي يرأسه اليساري المصري سعد الدين إبراهيم ، وهو رئيس مجلة اليسار الجديد وتمويله من المؤسسات اليسارية الأمريكية ، وكان الدكتور محمد عمارة قد بين تلاعب سعد الدين بالأرقام حول الأقليات في كتاب عمارة " الأقليات الدينية والقومية تنوع ووحدة ؟ أم تفتيت و اختراق ؟ " فقال ص 68: " قفزت تقديراته لأعداد هذه " الأقليات " قفزات لا يتصورها عقل و لا يقول بها إحصاء " .

والمشكلة الأهم هي غياب الإحصائيات الدقيقة وعدم الاهتمام السني بما يروج في الخفاء من تمكين الأقليات استناداً إلي إحصائيات مغلوطة .

فشيعة البحرين لا يتجاوز حجمهم 45% من السكان لكن من يثبت ذلك ويقنع العالم به؟

كذلك الكويت لمصلحة من يروج أنهم 40% ؟

السعودية لماذا يدعي الشيعة بأنهم 25% من السكان المضطهدين ؟؟

كيف زادت نسبة شيعة لبنان في ستة سنوات لدى مركز ابن خلدون 6% ؟؟

هل يقوم المعنيون بدورهم بكشف الحقائق بشكل عادل ، قبل أن يفرض عليهم ما لا يرغبون بشكل ظالم كالعراق ؟

وهذا ينطبق أيضاً على شيعة لبنان الذين يجرى تضخيم حجمهم للحصول على مكاسب معلومة للجميع ، لا يمكن الوصول لها سوى بزيادة حجمها عن الحقيقة !!

ولاء الشيعة لمن ؟

لا تزال ردود الفعل تتوالى على تصريحات الرئيس المصري حسني مبارك الأخيرة بخصوص " ولاء الشيعة " هل هو لأوطانهم أم لإيران ؟
فقد استنكر أغلب قيادات الشيعة الدينية والسياسية في المنطقة هذه التصريحات، كما شنت المنابر الإعلامية الشيعية حملة إعلامية منظمة ضد مبارك، تذكر بالحملات اليهودية التي تشن على كل من يقترب من التابوهات اليهودية "المقدسة" ! وهذا أسلوب سبق للشيعة استخدامه ضد العاهل الأردني الملك عبد الله الثاني عندما حذر من " الهلال الشيعي " ، وهذه الحملات ضد الزعماء العرب لا تتورع عن سبهم ولعنهم بكل قوة ، **وذلك لخلق حالة من الخوف من مجرد التفكير بالاقتراب من الشيعة !!!**

وبالفعل فإن هذا هو ما حصل، فقد اضطر الأردن للقيام بسلسلة من الخطوات الدبلوماسية للتخفيف من الغضب الشيعي عليه ، كما أن الرئيس المصري اضطر لتوضيح مراده من التصريحات السابقة بأنه لم يكن يقصد سوى ارتباط الشيعة بالأماكن المقدسة شيعياً في إيران !!!

وبغض النظر عن تصريحات مبارك وتوضيحها يبقى السؤال : " ولاء الشيعة لمن ؟ " قائماً يبحث عن إجابة .

بداية من المقرر أن التعميم في الأحكام خطأ كبير ، و ذلك أن الشيعة مثل غيرهم من الطوائف فيهم المتعصب وفيهم الموالي للطائفة والمرتبط بالمرجعية وفيهم المعتدل وفيهم المنشغل بدنياه وفيهم العلماني ، وهناك صراعات بين هذه التيارات وإن كان المعتدلون والعلمانيون من الشيعة يحاربون بضراوة من قبل قادة الشيعة عموماً بسبب التعصب الطائفي، لذلك ما سنصل إليه من إجابة على هذا السؤال ليس بالضرورة عاماً لكل الشيعة ، وإن كان قد يشمل قطاعاً كبيراً منهم بحسب الحقائق التي سنعتمد عليها للوصول إلى الإجابة الصحيحة بإذن الله .
وستكون الإجابة من ثلاثة محاور :
1- العقيدة والفكر الشيعي .
2- السلوك السياسي للشيعة في التاريخ .
3- الواقع السياسي المعاصر للشيعة .

المحور الأول : العقيدة والفكر الشيعي

- **التقية بوابة الفهم الشيعي :**

التقية هي أهم المفاتيح لفهم العقلية والسلوك الشيعي بعامة والسياسي بخاصة ، والمراد بالتقية كما يشرحها الشيخ المفيد: (التقية كتمان الحق وستر الاعتقاد فيه ومكاتمة المخالفين وترك مظاهرتهم بما يعقب ضررا في الدين أو الدنيا) ،شرح عقائد الصدوق، فصل التقية ص 241 .
ويبين لنا الخمينى ضرورة التقية وأهميتها في السلوك الشيعي فيقول : (ثم إنه لا يتوقف جواز هذه التقية بل وجوبها على الخوف على نفسه أو غيره، بل الظاهر أن المصالح النوعية صارت سببا لإيجاب التقية من المخالفين فتجب التقية وكتمان السر لو كان مأمونا وغير خائف على نفسه) كتاب الرسائل 2/201 .
وهذا حسن الصفار أحد زعماء شيعة السعودية يقول في مقابلة صحفية : (القرآن الكريم فيه آيات عديدة تؤكد أن الإنسان إذا كان في موقع يخاف على نفسه الضرر، أو يكون في موقع يسبب له مشكلة من إظهار رأيه وعقيدته فإن له أن يلجأ إلى التكتم على رأيه وعقيدته حفاظاً على حياته **ومصلحته**). في مكاشفة مع عبد العزيز القاسم **في** ملحق الرسالة التابع لجريدة المدينة الجمعة (17 شعبان 1425هـ الموافق1 أكتوبر 2004م) .
فما هو الفرق بين الكتمان لأجل المصلحة والخيانة ؟؟؟

إذا كانت التقية القائمة على الكتمان لأجل المصلحة هي أسلوب الشيعة في التعامل مع الآخرين فكيف سنعرف الولاء الحقيقي لهم ؟؟ سؤال يبحث عن إجابة .

- **ما هو الموقف الشيعي من الحكومات والدول قديماً وحديثاً ؟**

الدول تنقسم بحسب الشيعة لقسمين : قسم يؤمن بالإمامة الشيعية كدولة البويهيين، و دولة الفاطميين، و دولة الحمدانيين، و دولة الصفويين .
وقسم لا يؤمن بالإمامة الشيعية كدولة الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين والعثمانيين والدول القطرية المعاصرة فضلاً عن الدول غير الإسلامية .
وحين ننظر في التراث الشيعي تجاه الدول والحكومات نجد الروايات التالية :

1- **"كل رايةٍ ترفع قبل راية القائم صاحبها طاغوت"**. و يضيف المازندراني شارحاً : **"و إن كان رافعها يدعو إلى الحق"!!** (شرح المازندراني 12/371).
2- **" سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى سلطان وإلى القضاة أيحل ذلك ؟ قال : من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت "** (الكافي للكلينى) .

وأما عن فهم هذه الروايات سنجد الخميني يقرر: "على الشعب المسلم ألا يرجع في أموره إلى سلاطين و حكام الجور و القضاة العاملين لديهم حتى لو كان حق الشخص المراجع ثابتاً ". (كتاب الحكومة الإسلامية ص 136) .

أما موقف حسن الصفار من البويهيين، و الفاطميين، و الحمدانيين، و الصفويين فهو عدم الشرعية حيث يقول : "الفكر الشيعي لا يسبغ على هذه الدول الشرعية، لأن للحكم الشرعي مواصفات لم تتحقق عند أغلب هذه الحكومات المنتمية للشيعة" ، بل "و كان الحكم الشاهنشاهي في إيران محسوباً على الشيعة، لكن علماءهم لم يسبغوا عليه الشرعية و أخيراً أسقطوه" !! (في مكاشفة مع عبد العزيز القاسم) .

أما حول سبب عدم شرعية هذه الحكومات عموماً والحكومات والدول الشيعية خصوصاً ، فيوضحه الأستاذ بندر الشويقي في رده على مقابلة الصفار هذه بقوله : (معضلة الفقه الشيعي أنه لا يمكن أن يسبغ الشرعية إلا على دولة يقودها الإمام المعصوم!!

أو على الأقل فقيه شيعي إمامي ينوب عن هذا الإمام!!

و هذا القول الأخير يقول به قلة من علماء الشيعة ممن أيدوا زعامة الخميني و ثورته باعتباره فقيهاً ينوب عن المعصوم في الإمامة. و أما

الأكثرون فلا يسبغون الشرعية إلا على دولة الإمام المعصوم وحده دون سواه.

و على كلا الحالتين فلا يمكن أن يثبت الفقه الشيعي الولاء لدولة يحكمها غير فقهائهم) .

و بهذا الموقف الرافض لشرعية جميع الحكومات سوى حكومة الإمام أو من ينوب عنه نتساءل لمن سيكون ولاء الشيعة ؟

- **ما هي مهمة كل شيعي في زمن غيبة الإمام ؟**

يقول الشيخ الصفار في رسالته " الإمام المهدي أمل الشعوب": "المؤمن الذي يعيش في عصر الغيبة، منتظراً لخروج الإمام القائد وظهوره، لابدّ وأن يهيئ نفسه لاستقبال الإمام، والانضمام إلى جبهته، والعمل تحت لوائه. وهذا لا يتأتى للإنسان إذا لم يرب نفسه ويهيئها من الآن للساعة المنتظرة قبل أن تأتي تلك الساعة وهو يفقد زمام نفسه وتخونه إرادته. ولأن موعد الظهور مجهول لدى الإنسان المؤمن فيجب أن يكون على أهبة الاستعداد دائماً وأبداً، ويتوقع الأمر في كل لحظة".

لكن إذا تعارضت مواقف الإمام المهدي مع موقف الدولة التي ينتمي لها الشيعي فمع من سيكون ولاؤه ؟

يقول الأستاذ بندر الشويقي : (و قد رأيت الشيخ الصفار في رسالته التبشيرية عن إمام الزمان (المهدي المنتظر) يوصي الشيعة بجملة من الأدعية، و يرغبهم في ملازمتها. و في تلك الأدعية إعلان تجديد البيعة و الولاء للإمام الحق الغائب في سردابه !!

و هذا أحد نصوص تلك الأدعية و التراتيل، أنقلها للقراء الأكارم من كتاب الشيخ الصفار : "اللهم بلّغ مولانا الإمام الهادي المهدي القائم بأمرك (صلوات اللّه عليه وعلى جميع آبائه الطاهرين) عن جميع المؤمنين والمؤمنات في مشارق الأرض ومغاربها.... **اللهم إني أجدد في صبيحة يومي هذا، وما عشت من أيامي عهداً وعقداً وبيعة له في عنقي، لا أحول عنها ولا أزول أبداً".**

(بيعة) و (عقد) و (عهد) في صبيحة يومه، وفيما عاش من أيامه!

بيعة في عنق الشيخ لا يحول عنها و لا يزول أبداً!

فماذا بقي من ولاء و انتماء ؟!

و إذا استثنينا الجمهورية الإيرانية، فهل توجد اليوم دولة أو بلد تسير على تعاليم ذاك الإمام المنتظر، بحيث يكون لها نصيب من هذا الولاء، و الانتماء، و البيعة، و العقد، و العهد، الذي لا يزول و لا يحول أبداً؟!

نرجع مرةً أخرى لرسالة الشيخ الصفار، فنراه يقول مخاطباً إمامه الحق : "متى ترانا ونراك وقد نشرت لواء النصر؟ أترانا نحف بك وأنت تؤم الملأ، وقد ملأت الأرض عدلاً **وأذقت أعداءك هواناً وعقاباً، وأبدت العتاة وجحدة الحق وقطعت دابر المتكبرين واجتثثت أصول الظالمين**، ونحن نقول الحمد للّه رب العالمين".

ثم يسرد الشيخ الصفار دعاءً آخر يقترح قراءته كل ليلة من ليالي رمضان المبارك، يقول فيه:

"اللهم إنا نرغب إليك في دولةٍ كريمةٍ تعز بها الإسلام و أهله، و تذل بها النفاق و أهله، و تجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك والقادة في سبيلك و ترزقنا كرامة الدنيا و الآخرة.... اللهم إنا نشكو إليك فقد نبينا، و غيبة ولينا، و كثرة عدونا، و قلة عددنا...".

و يزيد الصفار على هذا، فيدق طبول الحرب، و يتمثل قول الشاعر مخاطباً مهدي سامراء:

فهاك قلِّبها قلوب الورى ... أذابها الوجد من الانتظار.

متى تسل البيض من غمدها... و تشرع السمر و تحمى الذمار.

لن أسأل لأي شيء يستعجل الشيخ الصفار سلَّ السيوف البيض، و إشراع الرماح السُّمر.

و لن أسأل من هم أعداء المهدي المنتظر، و من هم جحدة الحق الذين سوف يسل عليهم صاحب الحق سيوفه البيض ؟ و من هم أهل النفاق الذين سوف يذيقهم الهوان و العذاب؟) .أ.هـ كلام الأستاذ بندر الشويقي .

- **إذا خرج المهدي ماذا يصنع ؟**

وننبه القارئ الكريم لضرورة معرفة أعمال المهدي الشيعي إذا خرج ، لأن هذه المعرفة قد تعطينا فكرة عن حقيقة " ولاء الشيعة لمن ؟ " ولذلك سأذكر بعض الأعمال التي يقوم بها المهدي إذا خرج :

1- بماذ يحكم المهدي ؟ " إذا قام قائم آل محمد حكم بحكم داود وسليمان ولا يسأل بينة "، (الكافي 1/462) . مع أن شريعة محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ناسخة لما قبلها من الشرائع .

2-المهدي عنده القرآن الحقيقي : " إذا قام قائم آل محمد ضرب فساطيط يعلم فيها القرآن على ما أنزل فأصعب ما يكون على من حفظه اليوم لأنه يخالف فيه التأليف " (كتاب الإرشاد للمفيد ص 365) .

3-موقفه من الحرمين الشريفين: " القائم يهدم المسجد الحرام حتى يرده إلى أساسه ، ومسجد الرسول صلى الله عليه وآله إلى أساسه " (كتاب الغيبة للطوسي ص282) . وذلك أنهم يكفرون سائر المسلمين فلا داعي لمسجد كبير !

4-موقفه من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما : يقوم " بكسر الحائط الذي على القبر .. ثم يخرجهما (الشيخين) غضين رطبين فيلعنهما ويتبرأ منهما ويصلبهما ثم ينزلهما ويحرقهما ثم يذريهما في الريح " (بحار الأنوار للمجلسي 52/386) .

5- موقفه من أهل السنة : " فإذا قام القائم عرضوا كل ناصب (سني) عليه فإن أقر بالإسلام وهي الولاية وإلا ضربت عنقه أو أقر بالجزية فأداها كما يؤدي أهل الذمة " (بحار الأنوار 52/373) . وفي رواية أخرى " لو يعلم الناس (أهل السنة) ما يصنع القائم إذا خرج لأحب

أكثرهم ألا يروه مما يقتل من الناس .. حتى يقول كثير من الناس : ليس هذا من آل محمد ، لو كان من آل محمد لرحم " !! (بحار الأنوار 52/354).

6-جنود المهدي ! : " إذا قام قائم آل محمد استخرج من ظهر الكعبة سبعة وعشرين رجلاً ، خمسة عشر من قوم موسى الذين يقضون بالحق وبه يعدلون ، وسبعة من أصحاب الكهف ، ويوشع وصي موسي ، ومؤمن آل فرعون ، وسلمان الفارسي ، وأبا دجانة الأنصاري ومالك الأشتر " (بحار الأنوار 52/346) .

ويبقي السؤال " لمن ولاء الشيعة ؟ " .

- **المرجعية وقيادة الشيعة :**

ويقصد بالمرجعية " الجهة المتولية لشؤون الأمة أو الفرقة أو الطائفة بأجمعها ، وبيدها الإدارة لتدبير أحوالها وأوضاعها الدينية ، ويسمى المتقمص بها بالمرجع " (الحوزة العلمية في النجف للبهادلي ص 182) .

وهذه الجهة هي فقهاء الشيعة الجامعون للشرائط ، ويكون الأعلم هو المرجع الأعلى ، و تكمن خطورة هذه المرجعية في طبيعة العلاقة بين المرجع و الفرد الشيعي ، حيث أن الشيعي لابد له من تقليد مرجع في أحكام الدين ، كما أن الشيعي لا بد له من مرجع للقيام ببعض العبادات والشعائر كالخمس .....

وأخطر من هذا كله أن المرجع لا تقتصر مرجعيته على دولته فحسب بل هي عابرة للحدود والقارات !!

ولذلك تم اعتماد وكلاء للمراجع في المحافظات والدول الأخرى ، يقومون بربط الناس بمرجعهم البعيد في الفتيا وقبض الأخماس وقضاء الحوائج .

وهنا نتساءل لو تعارض رأي المرجع مع رأي الدولة التي ينتمي لها الشيعي لمن سيكون ولاء الشيعي ؟

- **ولاية الفقيه :**

ولايو الفقيه هي النظرية التي بلورها الخميني بشكلها المعاصر، والتي استقرت على أن الفقيه(المرجع) كما أنه ينوب عن الإمام الغائب في أمور الفتيا والقضاء، فإنه يمكن أن ينوب عنه في أمور الحكم و إدارة الدولة .

وقد زاد الخميني من صلاحيات الولي الفقيه حتى أوصلها إلى : " أن الحكومة شعبة من ولاية رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المطلقة ، وواحدة من الأحكام الأولية للإسلام ، ومقدمة على جميع الأحكام الفرعية حتى الصلاة والصوم و الحج .... إن الحكومة تستطيع أن تمنع مؤقتاً وفي ظروف التناقض مع مصالح البلد الإسلامي إذا رأت ذلك أن تمنع من الحج الذي يعتبر من الفرائض المهمة الإلهية " . (تطور الفكر السياسي لأحمد الكاتب ص 331) .

وهذه الولاية للفقيه على الدولة تعطي للدولة الشرعية عند الشيعة ، وذلك لأنها ترفع رايته نيابة عنه ! وبذلك تحصل الدولة على التأييد الشيعي ، ولكن هل هذا التأييد محصور فقط في داخل الحدود السياسية الحادثة ؟

يجيب عن هذا السؤال الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي وهو من كبار مراجع إيران وأحد المرشحين لمنصب المرشد الأعلى حالياً في بحثه " سلطة الولي الفقيه خارج حدود بلده " والمنشور على شبكة الإنترنت ، والذي أورد فيه السؤال التالي:

(س ـ إذا كان هناك بلدان إسلاميان تبنى أحدهما نظام ولاية الفقيه و بايع الفقيه الجامع للشرائط، فيما يدار البلد الثاني بنظام حكومي آخر، هل يجب على شعب البلد الثاني اتباع الولي الفقيه للبلد الأول أم لا؟)

فكان خلاصة الجواب : (يحق لمثل هذا الشخص الولاية على الناس، **و يكون أمره نافذا على كل مسلم و يجب عليه تنفيذه .... سواء بايع أم لم يبايع ...**- مع - إمكان افتراض صورة نادرة أخرى و هي أن مسلمي البلد الآخر، إذا كانوا يرون حكومتهم ـ اجتهادا أو تقليدا ـ شرعية و واجبة الطاعة(حتى و إن كانت تدار بنمط آخر يختلف عن ولاية الفقيه)، يكون **واجبهم الظاهري** هنا طاعة حكومتهم، و ليس طاعة الولي الفقيه الذي يحكم في بلد آخر) .

و كان يزدي قد قرر في بحثه وحدة بلاد المسلمين و لذلك فإن ولاية الفقيه تمتد لتغطيها ، وإن كان **الواجب الظاهري** طاعة الحكومة المحلية !!

ويبقي السؤال لمن ولاء الشيعة ؟

المحور الثاني : السلوك السياسي للشيعة في التاريخ

حين نعود للتاريخ نطالعه لنستفيد من عبره ودروسه ، تستوقفنا بعض المحطات والتي تستحق وقفة تأمل لفهم مدلولاتها وأبعادها علها تساعدنا في الإجابة عن السؤال **" لمن ولاء الشيعة ؟ "**

1- أرسل بدر الجمالي وزير المستعلي – الفاطمي الشيعي – سنة 490هـ سفارة من قبله إلى قادة الحملة الصليبية الأولى **تحمل عرضًا خلاصته أن يتعاون الطرفان للقضاء على السلاجقة السنة في بلاد الشام**، وأن تقسم البلاد بينهما بحيث يكون القسم الشمالي من الشام للصليبيين في حين يحتفظ الفاطميون بفلسطين.
ويبقى السؤال " لمن ولاء الشيعة ؟ "

2- وقد كان سقوط بيت المقدس بيد الصليبيين بسبب خيانات الشيعة وما يحدثونه من قلاقل واضطراب تشغل الخليفة والسلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه عن التفرغ لحرب الفرنج ؛ اسمع ما يقوله ابن كثير رحمه الله تعالى:

في سنة 494هـ عظم خطب الباطنية – الشيعة – بأصبهان ونواحيها فقتل السلطان منهم خلقًا كثيرًا وأبيحت ديارهم للعامة، ونودي فيهم أن كل من قدرتم عليه فاقتلوه وخذوا ماله، وكانوا قد استحوذوا على قلاع كثيرة، وأول قلعة ملكوها في سنة 483هـ، وكان الذي ملكها الحسن بن صباح أحد دعاتهم.. ، وفي سنة 500هـ حاصر السلطان محمد بن ملكشاه قلاعًا كثيرة من حصون الباطنية فافتتح منها أماكن كثيرة، وقتل منهم خلقًا، واشتد القتال معهم في قلعة حصينة في رأس جبل منيع بأصبهان كان قد بناها السلطان ملكشاه ثم استحوذ عليها رجل من الباطنية يقال له أحمد بن عبد الله بن عطاء، فتعب المسلمون بسبب ذلك، فحاصرها ابنه السلطان محمد سنة حتى افتتحها وسلخ هذا الرجل وحشى جلده تبنًا وقطع رأسه وطاف به في الأقاليم" .

وهكذا كان حصار قلعة من قلاع الباطنية يستهلك من جهد المسلمين سنة كاملة والمسجد الأقصى أسير في أيدي الفرنجة؟ إنهم كالخنجر في الظهر.

ويبقى السؤال " لمن ولاء الشيعة ؟ "

3- ذكر ابن كثير في أحداث سنة 564 هـ: طغت الفرنج بالديار المصرية وذلك أنهم جعلوا شاور(الوزير الفاطمي الشيعي) شحنة لهم بها (حامية عسكرية) ، وتحكموا في أموالها ومساكنها أفواجًا أفواجًا، ولم يبق شيء من أن يستحوذوا عليها ويخرجوا منها أهلها من المسلمين وقد سكنها أكثر شجعانهم فلما سمع الفرنج بذلك أتوا من كل فج وناحية في صحبة ملك عسقلان في جحافل هائلة، فأول ما أخذوا مدينة بلبيس وقتلوا من أهلها خلقًا وأسروا آخرين ونزلوا بها وتركوا أثقالهم موئلاً لهم، ثم تحركوا نحو القاهرة.. فأمر الوزير شاور رجاله بإشعال النار فيها على أن يخرج منها أهلها؛ فهلكت للناس أموال كثيرة، وأنفس، وشاعت الفوضى، واستمرت النيران أربعة وخمسين يومًا، **عندئذ بعث العاضد الفاطمي إلى نور الدين بشعور نسائه يقول:** أدركني واستنقذ نسائي من الفرنج، والتزم له بثلث خراج مصر، فشرع نور الدين في تجهيز الجيوش لتسييرها إلى مصر، **فلما أحس شاور بوصول جيوش نور الدين، أرسل إلى ملك الفرنج يقول: قد عرفت محبتي ومودتي لكم، ولكن العاضد لا يوافقني** على تسليم البلد، فاعتذر لهم وصالحهم على ألف ألف دينار وعجل لهم من ذلك ثمانمائة ألف ليرجعوا؛ فانتشروا راجعين خوفًا من عساكر نور الدين وطمعًا في العودة إليها مرة أخرى، وشرع شاور في مطالبة الناس بالذهب الذي صالح به الفرنج وتحصيله وضيق على الناس .

ويبقى السؤال " ولاء الشيعة لمن ؟ "

4- ذكر المقريزي في الخطط والآثار (2/2) أن صلاح الدين الأيوبي لما تولى وزارة العاضد الفاطمي وقوى نفوذه في مصر ، حنق عليه رجال القصر ودبروا له المكائد، وقد **اتفق رأيهم على مكاتبة الفرنجة ودعوتهم إلى مصر** فإذا ما خرج صلاح الدين إلى لقائهم قبضوا على من بقي من أصحابه بالقاهرة، وانضموا إلى الفرنجة في محاربتهم والقضاء عليه.
وفعلاً جاء الفرنجة إلى مصر وحاصروا دمياط في سنة 565هـ، وضيقوا على أهلها وقتلوا أمما كثيرة، وكان من فضل الله أن فشلت هذه الحملة، وانصرف الفرنجة عن دمياط .
ويبقى السؤال " ولاء الشيعة لمن ؟ "

5- ويذكر ابن كثير في أخبار سنة 656هـ **،** دور الوزير الشيعي **مؤيد الدين أبي طالب محمد بن أحمد العلقمي** في استيلاء التتار على بغداد ، فيقول : (وجيوش بغداد في غاية الضعف ونهاية الذلة، لا يبلغون عشرة آلاف فارس وهم بقية الجيش، **فكلهم كانوا قد صرفوا** عن إقطاعاتهم حتى استعطى كثير منهم في الأسواق وأبواب المساجد، وأنشد فيهم الشعراء قصائد يرثون لهم ويحزنون على الإسلام وأهله، **وذلك كله من آراء الوزير ابن العلقمي الرافضي**، وذلك أنه لما كان في السنة الماضية كان بين أهل السنة والرافضة حرب عظيمة نهبت فيها الكرخ ومحلة الرافضة، حتى نهبت دور قرابات الوزير، فاشتد حنقه على ذلك، فكان هذا مما أهاجه على أن دبر على الإسلام وأهله ما وقع من الأمر الفظيع الذي لم يؤرخ أبشع منه منذ بنيت بغداد وإلى هذه الأوقات، **ولهذا كان أول من برز إلى التتار – أي ابن العلقمي – فخرج بأهله وأصحابه وخدمه وحشمه، فاجتمع به السلطان هولاكو خان لعنه الله،** ثم عاد فأشار على الخليفة بالخروج إليه والمثول بين يديه لتقع المصالحة على أن يكون نصف خراج العراق لهم ونصفه للخليفة،.... **ثم عاد إلى بغداد وفي صحبته خوجة نصير الدين الطوسي والوزير ابن العلقمي وغيرهما**، والخليفة تحت الحوطة والمصادرة، فأحضر من دار الخلافة شيئًا كثيرًا من الذهب والحلي والمصاغ والجواهر والأشياء النفسية، **وقد أشار أولئك الملأ من الرافضة وغيرهم من المنافقين على هولاكو أن لا يصالح الخليفة**، وقال الوزير متى وقع الصلح على المناصفة لا يستمر هذا إلا عامًا أو عامين ثم يعود الأمر إلى ما كان عليه قبل ذلك، وحسنوا له قتل الخليفة.
فلما عاد الخليفة إلى السلطان هولاكو أمر بقتله، **ويقال: إن الذي أشار بقتله هو الوزير ابن العلقمي والمولى نصير الدين الطوسي**، وكان النصير عند هولاكو قد استصحبه في خدمته لما فتح قلاع الألموت وانتزعها من أيدي الإسماعيلية، وكان النصير وزيرًا لشمس الشموس ولأبيه قبله علاء الدين بن جلال الدين، وانتخب هولاكو النصير ليكون في خدمته كالوزير المشير، **فلما قدم هولاكو وتهيب من قتل الخليفة هون عليه الوزير ذلك**، فقتلوه رفسًا وهو في جوالق لئلا يقع على الأرض شيء من دمه.... ومالوا على البلد فقتلوا جميع من

قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ، والكهول والشبان .... **ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى ومن التجأ إليهم وإلى دار الوزير ابن العلقمي الرافضي** وطائفة من التجار أخذوا لهم أمانًا بذلوا عليه أموالاً جزيلة حتى سلموا وسلمت أموالهم . **وكان الوزير ابن العلقمي قبل هذه الحادثة يجتهد في صرف الجيوش، وإسقاط اسمهم من الديوان،** فكانت العساكر في آخر أيام المستنصر قريبًا من مائة ألف مقاتل منهم من الأمراء من هو كالملوك الأكابر والأكاسر، فلم يزل يجتهد في تقليلهم إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف، ثم كاتب التتار وطمعهم في البلاد وسهل عليهم ذلك وحكى لهم حقيقة الحال، وكشف لهم ضعف الرجال، وذلك كله طمعًا منه أن يزيل السنة بالكلية، وأن يظهر البدعة الرافضة، وأن يقيم خليفة من الفاطميين، وأن يبيد العلماء والمفتين والله غالب على أمره) . **والعجيب أن شيعة اليوم ينظرون بعين التعظيم والإجلال لهذا الوزير الشيعي الخائن و زميله الطوسي !** يقول الخميني في كتابه (الحكومة الإسلامية ص 128) : (ويشعر الناس بالخسارة أيضاً بفقدان الخواجة نصير الدين الطوسي و أمثاله ممن قدموا خدمات جليلة للإسلام) وهنا نتساءل هل كان الخميني يجهل دوره في تدمير بغداد ؟ ويقول الخميني أيضاً (ص 142) : (وإذا كانت ظروف التقية تلزم أحدًا منا بالدخول في ركب السلاطين فهنا يجب الامتناع عن ذلك حتى لو أدى الامتناع إلى قتله إلا أن يكون في دخوله الشكلي نصر حقيقي للإسلام والمسلمين مثل دخول علي بن يقطين، ونصير الدين الطوسي رحمهما الله) . وهنا نسأل الخميني ما هو النصر الذي حققه الطوسي للمسلمين ؟؟

وإذا تساءلت من هو ابن يقطين ؟

يأتيك الجواب من رواة الشيعة أنفسهم، كالعالم الشيعي الملقب بصدر الحكماء ورئيس العلماء نعمة الله الجزائري في كتابه المعروف (الأنوار النعمانية 2/308 طبعة تبريز بإيران)، ومحسن المعلم في كتابه "النصب والنواصب ص622 ط دار الهادي – بيروت" ونصها:

"وفي الروايات **أن علي بن يقطين ، وهو وزير هارون الرشيد قد اجتمع في حبسه جماعة من المخالفين، وكان من خواص الشيعة، فأمر غلمانه وهدموا سقف الحبس على المحبوسين فماتوا كلهم وكانوا خمسمائة رجل تقريبًا**، فأرادوا الخلاص من تبعات دمائهم فأرسل إلى الإمام مولانا الكاظم فكتب عليه السلام : بأنك لو كنت تقدمت إلي قبل قتلهم لما كان عليك شيء من دمائهم، **وحيث إنك لم تتقدم إليَّ فَكَفِر عن كل رجل قتلته منهم بتيس والتيس خير منه** " .

ويبقى السؤال " لمن ولاء الشيعة ؟ "

6- وفي الوقت الذي كان فيه العثمانيون يركزون نشاطهم في شرقي أوروبا والبلقان، ويبذل المماليك في السنوات الأخيرة من عمر دولتهم محاولات مستميتة من أجل التصدي للخطر البرتغالي في البحر الأحمر والمحيط الهندي، كان الشاه إسماعيل الصفوي يسعى إلى استغلال

الأوضاع القائمة لتحقيق أطماعه متجاهلاً المصالح الإسلامية، فرسم سياسته التوسعية على أساس التحالف مع البرتغاليين في الخليج العربي والتنسيق مع القوى المعادية للدولة العثمانية ودولة المماليك في مصر والشام، وبعث وفوده إلى أوروبا مفاوضاً ملوكها للتحالف ضد سلطان مصر واقتسام ممتلكاته على أن تكون مصر وفلسطين من نصيبهم، بينما يستحوذ هو على بقية بلاد الشام، وقد تزامنت مشاريع الشاه هذه مع سعيه إلى انتزاع الأناضول وإنهاء الدولة العثمانية([1]) .

ويبقى السؤال " لمن ولاء الشيعة ؟ "

(تنبيه : النقاط 1-5 مستلة من كتاب " خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية " للدكتور عماد علي عبد السميع حسين ، ونقطة 6 من بحث " تاريخ الرافضة " ليونس العلي) .

المحور الثالث : الواقع السياسي المعاصر للشيعة

نستعرض في هذا المحور محطات من السلوك السياسي لدى الشيعة علها تفيدنا للإجابة على السؤال " ولاء الشيعة لمن ؟ " مستعرضين الدول العربية التي يتواجد فيها الشيعة .

ونستذكر هنا وصية الشيخ محمد مهدي شمس الدين، رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان، لكافة أفراد الشيعة بضرورة الاندماج الوطني، وعلى حد عبارته : «أوصي أبنائي وإخواني الشيعة الإمامية في كل وطن من أوطانهم، وفي كل مجتمع من مجتمعاتهم أن يدمجوا أنفسهم في أقوامهم وفي مجتمعاتهم وفي أوطانهم» (الوصايا).

أولاً : العراق :

1- هرب قسم كبير من الشيعة العراقيين لإيران بعد قيام دولة الخميني و أنشأوا هناك " المجلس الأعلى للثورة الإسلامية " بقيادة محمد باقر الحكيم ، وشاركوا في الحرب ضد بلدهم ، وتعذيب الأسرى العراقيين !!
2- عاش هؤلاء في إيران لمدة ربع قرن تحت رعاية المخابرات الإيرانية ، وقد تزوج الكثير منهم بإيرانيات ، ولما عادوا مؤخراً للعراق لم يعرف بدقة ولاؤهم لمن ؟ فقد طالب زعيم المجلس الحالي عبد العزيز الحكيم (العراقي) العراق بدفع تعويضات ضخمة لإيران عن الحرب العراقية الإيرانية ، مع رفضه لدفع تعويضات مماثلة للكويت المعتدى عليها أيضاً من قبل صدام ؟؟؟
3- دعا عبد العزيز الحكيم إيران للتفاوض مع أمريكا حول العراق ! ولا يعرف بأي صفة يدعو الحكيم إيران لذلك ، فهل هو مزدوج الجنسية ؟ أم هي العمالة فقط ؟ أم البحث عن مكاسب خاصة ؟
4- ما هي دلالة سكوت مراجع الشيعة وقياداتهم السياسية عن جرائم الاحتلال ضد المواطنين السنة ؟

[1] (?) "العراق في التاريخ"، بغداد، دار الحرية، 1982م، (564 ـ 568).

5- التغلغل الإيراني في أوساط المنظمات الشيعية العراقية والمؤسسات الرسمية التي تسيطر عليها ، حتى أصبح من الدارج التحدث باللغة الفارسية في الوزارات ؟
6- على ماذا تدل وصية المرجع محمد صادق الصدر (والد مقتدى) لأتباعه باعتماد مرجعية كاظم الحائرى في إيران بعد وفاته ؟
7- كيف يكون المرجع الكبير السيستانى إيراني الجنسية وهو الذي ينتظر الجميع رأيه في الوضع السياسي في العراق ؟ علماً أنه يرفض الجنسية العراقية للآن !!!
8- الشيعة ذوو الأصول الإيرانية في العراق مع من سيكون ولاؤهم ؟
9- رفض الشيعة تدخل الدول العربية في شؤون العراق مع الترحيب بالتدخل الإيراني إلى ماذا يرمي ؟
10- لقد تم تعديل قانون الجنسية العراقي فحظر على مزدوجي الجنسية شغل مناصب سيادية، وذلك بسبب الحيرة في ولائهم، وأغلبهم يحملون الجنسية الإيرانية !!
11- يقول الكاتب " رشيد الخيون " - وهو صحفي عراقي شيعي- في كتابه " الأديان والمذاهب في العراق " في فصل الشيعة : (تستدعي هذه الحال التأمل في صلة منطقتنا ومناطق الشيعة العراقية الأخرى بالدولة، التي أشار الاختلاف في إعلان العيد إلى سنيتّها، وما يترتب على ذلك من موقف منها ومن دوائرها بين ربوعنا الشيعية، منها تحديها بشعور له خلفيته التاريخية) ص 226 . وذلك تعليقاً على اختلاف بداية الصوم والعيد بين الشيعة والسنة في العراق ، لارتباط الشيعة بإعلان النجف لذلك !! ويقول أيضاً ص 230 : (وعمق ذلك من التمييز بين الطائفة أو المذهب وبين الدولة، يظهر ذلك في ممارسات عديدة منها، كما أسلفنا، الاستقلال بيوم الفرح، وهو تأخير إعلان العيد، فمثلما لا تشاركهم السنّة في حزنهم السنوي لا يود الشيعة المشاركة في الفرح أيضاً) .

ويبقي السؤال " لمن ولاء الشيعة ؟ "

ثانياً : لبنان :

1- نشأ حزب الله في إيران بتأثير ولاية الخمينى على الشيعة كافة ، يقول نائب الأمين العام لحزب الله قاسم نعيم : (كان هناك مجموعة من المؤمنين ... تفتحت أذهانهم على قاعدة عملية تركز على مسألة الولي الفقيه والانقياد له كقائد للأمة الإسلامية جمعاء ، لا يفصل بين مجموعاتها و بلدانها أي فاصل ، ... وذهبت هذه المجموعة المؤلفة من تسعة أشخاص إلى إيران ولقاء الإمام الخميني (قدس) وعرضت عليه وجهة نظرها في تأسيس و تكوين الحزب اللبناني ، فأيد هذا الأمر وبارك هذه الخطوات) كتاب المقاومة في لبنان ،أمين مصطفي ، دار الهادي ص 425 .
2- ذكرت مجلة الشراع بتاريخ 14/8/1995 (نقلاً عن حزب الله ، د. غسان عزي ص 34) وجود عضوين إيرانيين في قيادة حزب الله !

3- كيف يستقيم أن يكون حسن نصر الله ، (وهو زعيم حزب لبناني وأحد زعماء الطائفة الشيعية في لبنان) وكيلاً لمرشد إيران الأعلى علي خامنئي ، وقد نشرت له عدة صور يقبل فيها يد خامنئي ، بالرغم من وجود مرجعيات لبنانية مثل محمد حسين فضل الله !! فلو تنازعت لبنان مع إيران كما يبدو في الأفق الآن فلمن سيكون ولاء نصر الله ومن

ورائه الحزب و الطائفة ؟

4- لقد سبق في تاريخ أمل وحزب الله التحاكم إلى القيادة الإيرانية عند الاختلاف فيما بينهم ، (دولة حزب الله ، وضاح شرارة ، ص 119) .

5- أعلنت حركة أمل في المؤتمر الرابع في آذار 1982 أنها جزء لا يتجزأ من الثورة الإسلامية في إيران . (دولة حزب الله ، وضاح شرارة ، ص 119) .

6- وبسبب تبعية حزب الله لولاية الفقيه، يقرر الباحث الإيراني د. مسعود أسد اللهي في كتابه " الإسلاميون في مجتمع تعددي " ص 321 ما يلي : بما أن حاكمية الخميني كولي فقيه لا تنحصر بأرض أو حدود معينة فإن أي حدود مصطنعة وغير طبيعية تمنع عمل هذه الولاية ، تعد غير شرعية . لذا فإن حزب الله في لبنان يعمل كفرع من فروع حزب الله الواسعة الانتشار ...الآراء المذكورة آنفاً توضح أن حزب الله كان مستعداً لإنجاز أي مهمة يأمر بها الولي الفقيه) .

ويبقى السؤال " لمن ولاء الشيعة ؟ "

ثالثاً : السعودية :

1- لا يزال الناس يذكرون دعوة الخميني لشيعة المنطقة الشرقية عام 1979 للثورة على النظام السعودي والثورات التي اندلعت إثر هذا التحريض .

2- نشرت " منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية " ، والتي رأسها حسن الصفار في عام 1986 كتاب"دماء في الكعبة حقائق عن أحداث المسجد الحرام سنة 1979" تمجد فيه جريمة جهيمان في الحرم ، وجاء في الصفحة الأولى منه : (ست سنوات كافية لدراسة الإنتفاضة العظيمة التي فجرها المؤمنون في مكة) .

3- جاء في تقرير مجموعة الأزمات الدولية المعنون بـ " المسألة الشيعية في السعودية " ونشره موقع راصد (الشيعي)عن تكوين القيادات السياسية لشيعة السعودية ما يلي : (أما القيادة الشيعية السياسية النشطة والتي التي تدير دفة الوسط السياسي الشيعي فقد تبلورت في الخارج بالتزامن مع اتجاهات أكثر انفتاحا في المشهد الشيعي في الستينات والسبعينات. وأبرزها الدعوة إلى قوة سياسية أعظم تحت سلطة ولاية الفقيه الصادرة عن الإيراني آية الله روح الله الخميني، ....وأمضى نشطاء عراقيون شيعة ومناضلون من حزب الدعوة تحديدا بعض الوقت في الكويت

ومارسوا تأثيرهم على نظرائهم السعوديين .....فظهرت في 1987 أعداد قليلة من حزب الله في العربية السعودية؛ وبمساعدة إيرانية كما أشيع، سافر مناضلون كما قيل إلى إيران ولبنان، حيث يزعم أنهم تلقوا تدريبات في معسكرات حزب الله.....) وعن تطلعاتهم السياسية قال التقرير : (وسواء أقنع ذلك بقية السعوديين أم لا، يبقى هنالك وبقوة قناعات ملتبسة في أوساط السنة، من أن الشيعة يصارعون الوقت للحصول على الدعم الخارجي -من الولايات المتحدة أو غيرها - لإقامة دولتهم المستقلة).

4- سُئل الصَّفار عن فترة إقامته بإيران، وهل تمكن نظام الخميني من استغلاله ضد وطنه، أجاب قائلاً: "لم يبدِ الإيرانيون اهتماماً بالوضع في المملكة إلا بعد ما حصل في مكة)) للإيرانيين)) في حج عام 1408هـ". في مكاشفته مع عبد العزيز القاسم . ومعلوم أن الإيرانيين هم الذين اعتدوا على حرمة بيت الله الحرام والمحرمين من الحجاج !!

5- نشر منتدى " واسم " التابع لشيعة السعودية ، كتابات عديدة تعبر عن فرحها بوفاة الملك فهد بن عبد العزيز ، ويظهر منها الشماتة بهذا المصاب و الدعاء على الملك فهد بالعذاب والنار !! ويقال أن حسن الصفار هو مستشار للموقع ، و من كتاب هذا المنتدى الصحفي الشيعي بجريدة الرياض محمد رضا نصر الله .

6- أعلنت مكتبة مسجد الزهراء بقرية الشعبة عن نيتها إقامة حفل تأبين للخمينى في ذكرى وفاته وذلك عام 2005 !!

7- كما أعلن في جزيرة تاروت - إحدى نواحي القطيف - عن إقامة مهرجان أنوار العروج بمناسبة ذكرى رحيل الخميني ، مع أن الخميني يصرح بلعن وكفر الدولة السعودية !!

8- نشرت مجلة الجسور (21/05/2004م) مقابلة مع حسن الصفار جاء فيها قوله عن إيران : (في البداية ليس الشيعة هم الذين يسألون: لماذا لديهم تدفق عاطفي نحو إيران؟ وإنما الأخوة المعترضون يسألون: لماذا هم لا تتدفق عواطفهم نحو إيران؟) وعن تصدير الثورة قال : (تصدير الثورة هذا موضوع سياسي وخاطىء، وإيران تراجعت عنه. ثم هو لم يكن سياسة عامة، كان مجرّد تصريحات خاطئة تراجعت عنها إيران، فلا يلام الشيعة على عواطفهم نحو إيران وإنما يلام الذين لا يبدون تعاطفاً مع إيران هم يجب أن يسألوا هل هذا من منطلق طائفي؟ إذن هم طائفيون لأنهم لم يتعاطفوا مع إيران، أما الشيعة عندما تعاطفوا مع إيران فهم منسجمون مع وجدانهم ومع عواطفهم الدينية والإنسانية . هناك أخطاء حصلت عند الإيرانيين نحن لا ننزه الإيرانيين عن الأخطاء، وهم يعترفون بأنهم حينما جاءوا إلى الحكم لم تكن لديهم خبرة سياسية، ولم توجد لديهم كذلك تجربة سابقة) .

9- شهدت مدينة العوامية بالقطيف تعليق صور قيادات شيعية إيرانية ولبنانية في الشوارع العامة على اللوحات المرورية بشكل غريب !!

10- ذكرت مجلة المراقب العربي (عدد أكتوبر 2005) عن نية المعارضة الشيعية السعودية إنشاء قناة فضائية ، وسيكون التمويل من شخصية دينية إيرانية كبيرة !!

11- نشرت وكالة الأنباء الشيعية تصريحات زعماء الشيعة التي تشير لقرب تحسن أوضاع شيعة السعودية وذلك بعد الصعود السياسي لشيعة العراق !! (الوكالة الشيعية 25/4 ، 12/5 ، 14/5 /2005) .

12- أصدرت رابطة عموم الشيعة في السعودية في عام 1991 كتاب " الشيعة في السعودية الواقع الصعب و التطلعات المشروعة " ، تغافلت فيه عن مواقف الشيعة تجاه اعتداءات إيران على الحجاج والحرم المكي في فصل " المواقف الوطنية للشيعة " فعددت مواقف الشيعة من زمن القرامطة حتى عام 1980 فقط ؟؟؟؟ ومن ثم قفزت لاستنكار غزو العراق للكويت ؟؟؟

ويبقى السؤال " لمن ولاء الشيعة ؟ "

رابعاً : البحرين :

1- من المقرر لدى كافة الباحثين أن نجاح ثورة الخميني كان سبباً في ظهور حركات سياسية شيعية في البحرين ، تدين بالولاء لإيران وتعمل لنقل الثورة الإيرانية إليها ، ولجأت إلى أساليب العنف والإرهاب المسلح ، و لا زالت هذه الحركات موجودة على الساحة السياسية لكن بواجهات جديدة ، بسبب الإصلاحات السياسية التي أنجزها الملك حمد آل خليفة .

2- ومن الحركات التي تبنت العنف المسلح " الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين " لإسقاط سلطة آل خليفة ، بدعم من إيران ، وحين أعلن ملك البحرين الجديد الشيخ حمد عن مشروعه الإصلاحي في عام 2000 ، رفضت هذه الجبهة في البداية هذا المشروع وحرضت الشعب على رفضه والاستمرار في نهج المقاومة ، ومن ثم عادت و شكلت جمعية العمل الإسلامي . (الحركات والجماعات السياسية في البحرين ، د. فلاح المديرس ص 99) والغريب أن الاسم الجديد هو نفس اسم التنظيم الذي يتبع للمرجع الشيعي العراقي هادي مدرسي في العراق " منظمة العمل الإسلامي " ، والمدرسي هو من مؤسسي " الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين ".

ويبقى السؤال " لمن ولاء الشيعة ؟ "

3- من الحركات التي ظهرت بعد ثورة الخميني " حركة أحرار البحرين الإسلامية " ، وكان مركزها لندن ، وقد اتخذت موقفاً رافضاً لإصلاحات ملك البحرين و أطلقت عليها تسمية " الميثاق الخليفي " ، ولكنها عادت وأعطت أعضاءها الحرية في التصويت على الميثاق ، وكونت جمعية الوفاق الوطني الإسلامية (الحركات والجماعات السياسية في البحرين ، د. فلاح المديرس ص 105) .

4- كشفت السلطات البحرينية عام 1996 عن القبض على أعضاء " حزب الله البحريني" و أنهم وراء أعمال العنف أثناء الانتفاضة الدستورية ، و " حزب الله البحريني" أحد فروع حزب الله الإيراني العالمي (الحركات والجماعات السياسية في البحرين ، د. فلاح المديرس ص 107) .

5- من الشعارات التي رددها الشيعة في تاريخهم السياسي " بالعلم والعدد سنحكم البلد " ، ولذلك شهدت البحرين في الستينات من القرن الماضي حركة هجرة إيرانية للبحرين مع تجنيسهم . (وجاء دور المجوس ص 316 ، مجلة الوطن العربي عدد 1462 ص 39) .

ويبقى السؤال " لمن ولاء الشيعة ؟ "

6- ما هي الدلالات التي يفهمها الجميع من رفع صور قيادات إيران في مسيرات شيعة البحرين ؟؟

7- ما هو المقصود من تصريحات الشيخ البحريني " خالد منصور سند" وهو مدرس بالحوزة في مدينة قم والتي أطلقها من إيران بتاريخ 26/12/2005 والتي طالب فيها : **الأمم المتحدة إلى إصدار تقرير حول مستقبل البحرين** ، وحين أوقفته السلطات في مطار البحرين ، قام أتباعه بأعمال شغب و تكسير لقاعة الاستقبال في المطار ؟؟

ويبقى السؤال " لمن ولاء الشيعة ؟ "

8- ما هي دلالات المطالبة بأن يضاف للدستور البحريني مادة تنص على الرجوع للمرجعية الشيعية العليا ، وذلك في موضوع قانون الأحوال الشخصية ، كأحد حلين للنزاع ، ولن يتم تحديد اسم المرجعية في الدستور لغرض عدم تقييد الاتفاق بمرجعية زمانية ومكانية محددة في حال تغير المرجعية مستقبلا . وطبعاً لن يكون المرجع بحرينياً !!!!

ويبقى السؤال " لمن ولاء الشيعة ؟ "

9- قال وزير الدفاع البحريني رداً على سؤال حول العلاقات مع إيران : " ... عن أي إيران تتكلم ... إيران التي ترغب في مد يد التعاون ... فإننا نرحب بذلك ، أما إذا كان الحديث عن النظرة الإيرانية القديمة المعروفة فإننا دون شك ضد هذا .... إن أصحاب التوجه

الثاني في إيران لديهم برامجهم لمساعدة المجموعات الموجودة في لبنان والبحرين ...." الشرق الأوسط 17/7/2002 .

10- كيف يسوغ رفض المشاركة في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية البحريني استناداً إلى فتاوى صادرة من " قم والنجف " تحرم التعامل مع المجلس ؟ (العربي عدد 1448) . وذلك لبقاء مؤسسات الطائفة بمعزل عن سلطة الدولة .

ويبقى السؤال " لمن ولاء الشيعة ؟ "

خامساً : الكويت :

1- أصدر شيعة الكويت بياناً بسبب منع الكويت دخول الخميني إليها تحت عنوان "حين تكون الكويت محمية إيرانية " مليء بالشتم والتحقير لأمير الكويت ، وجاء دور المجوس ص 340 .

2- شهدت الكويت العديد من أعمال العنف والإرهاب التي نفذها " حزب الله – الكويت " تحت مسميات عديدة شملت تفجيرات للمنشآت النفطية والحكومية ومحاولة اغتيال للأمير ، وبعد التحرير سمحت الحكومة بعودة بعض رموز هذا الحزب ، وبقي قسم من هذا الحزب على مواقفه من الكويت ونقل مركزه الإعلامي من طهران إلى لندن، والغريب أن القوى السياسية الشيعية لم تشجب أعمال هذا الحزب ومواقفه ! (الحركة الشيعية في الكويت ، د فلاح المديرس ، ص 29، 64 .

3- لقد شارك بعض شيعة الكويت في أحداث العنف والإرهاب ضد الحجاج في مكة في الثمانينات والتي نظمتها الاستخبارات الإيرانية ، ولا تزال بعض المجموعات الشيعية تمجد هذه المجموعة وتعتبرها " شهداء " !!

4- استدعت الخارجية الكويتية القائم بالأعمال في السفارة الإيرانية احتجاجاً على عقد اجتماعات سرية بين مسؤلين إيرانيين و مندوبين عن التحالف الوطني الإسلامي (الذراع السياسي لحزب الله – الكويت) لبحث نتائج مرشحي الحزب في الانتخابات النيابية وكيفية الوصول للبرلمان ، و تناولت الاجتماعات تحسين العلاقات مع بعض المجموعات الشيعية الكويتية الأخرى . جريدة الوطن ، الوكالة الشيعية للأنباء 13/5/2004 .

ويبقى السؤال " لمن ولاء الشيعة ؟ "

5- رفض شيعة الكويت رقابة وإشراف الدولة على الأوقاف الشيعية أسوةً بالأوقاف السنية ، بحجة أن الوقف من صلاحية المتولي أو الحاكم الشرعي وهو مرجع التقليد ، حسب فتوى السيستاني .

ويبقى السؤال " لمن ولاء الشيعة ؟ "

وخــتـامـاً

من المعلوم للباحثين أن إيران في سياستها الخارجية تنطلق من منطلقات شيعية فارسية ، ويتجلى ذلك بتمسكها بكل المظالم

السياسية لنظام الشاه ، كما في موضوع الجزر الإماراتية واضطهاد عرب الأحواز غيرها ، وتذكر الباحثة نيفين مسعد أن اتفاقاً بين مختلف الأجنحة والتيارات في إيران مفاده (ما حصل عليه الشاه لا تتنازل عنه الجمهورية الإسلامية) !!!

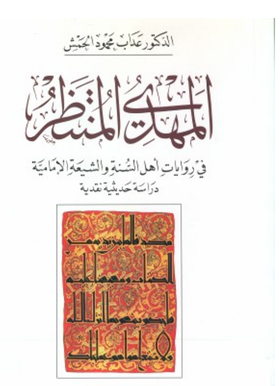
ولكن السؤال ما هو مواقف الشيعة العرب تجاه هذه المظالم الشيعية ؟؟ والاحتلال الإيراني الشيعي لأرض عربية ؟؟؟

وبعد كل هذا هل وصلنا لجواب على السؤال " لمن ولاء الشيعة ؟ "

كتاب الشهر

المهدي المنتظر في روايات أهل السنة والشيعة الإمامية

دراسة حديثيه نقدية



صدر هذا الكتاب لمؤلفه الدكتور عداب محمود الحمش عن (دار الرازي/ عمان، عام 1422هـ ـ الطبعة الأولى)، وهو يقع في 553 صفحة من القطع الكبير، ويتكون من ستة فصول تناولت استعراضاً عاماً لأغلب ما كتب في موضوع المهدي ـ مفرداً أو ضمن مواضيع أخرى ـ عند السنة والشيعة، وعرض للتصورات المتعددة عند السنة والشيعة للمهدي، ثم مناقشة الروايات الواردة فيها عند الفريقين المثبتة والمنكرة، وبعض المباحث الأخرى المتعلقة بالموضوع ، وأيضاً وجهة نظر المؤلف في القضية المطروحة . والدراسة الحديثية للروايات وقعت في 145 صفحة من الكتاب.

ونقف عدة وقفات مع هذا الكتاب لنعرض ما فيه على وجه الإجمال:

أولاً: الدافع لتأليفه:

من الواضح جداً في ثنايا الكتاب أن الغرض المحرك للمؤلف لطرق هذا الموضوع ـ ألف فيه ما يربو على 744 كتاب (ص12) ـ هو إنكار المؤلف للآثار السلبية لهذه العقيدة على تطورات وسلوك المسلمين (ص 532)، سنة أم شيعة، وهو في جانب التشيع أشنع. وذلك أن عدم الاقتصار

على النصوص الصحيحة ولد تضخيماً لهذه العقيدة عند السنة بأن المهدي هو المخلص والمنقذ؛ فلا داعي للعمل والجهاد، وأن ثمرة ظهور المهدي هو بضع سنين من السعادة والرخاء ثم الشقاء، مع تصوير المهدي عند الصوفية بإمام العابد الصوفي الذي يهيئ الله له الأشياء ولا شأن له بشيء، والمهدي عند آخرين مجاهد لا يشق له غبار يقاتل الكفار والمنافقين.

والمهدي عند الشيعة جزء من أركان الدين؛ لأنه متصل بالإمامة، لكنه مختلف عن مهدي أهل السنة حيث إن مهدي أهل السنة هو من نسل الحسن بن علي رضي الله عنه، لكنه عند الشيعة من نسل الحسين بن علي رضي الله عنه، ثم مهدي السنة سيأتي في آخر الزمان، لكن مهدي الشيعة ظهر ما بين عام 252ـ 260 هجري، لكنه اختفى من ذلك الزمان في غيبة صغرى ثم كبرى، وسيظهر في آخر الزمان، وطوال هذه المدة هو من الأحياء على الأرض لكنه غائب عن الأنظار!!

وبسبب هذه التصورات المتناقضة والآثار السلبية على المعتقدين بها قام المؤلف بتأليف الكتاب لبيان خطأ هذه الفكرة من أصولها ، وأنه لا مهدي منتظر!

ثانياً: وجهة نظر المؤلف:

بناءً على الآثار السلبية لعقيدة المهدي المذكورة آنفاً؛ قام المؤلف بدراسة أسانيد الأحاديث المتعلقة بالمهدي؛ فتوصل إلى أن هذه الأحاديث لا تصح، وما يصح منها ليس صريحاً في موضوع المهدي؛ فلا داعي لربطه بالمهدي لأن المهدي لم يصح أصلاً!

ولذلك هو يرى أن المهدي والمخلص هو رسول الله صلى الله عليه وسلم (ص212، ص525) وأن فهم منهجه صلى الله عليه وسلم في الدعوة لالتزام دين الله تعالى هو السبيل الوحيد لتحقيق السعادة للمسلمين على طول الزمان، وليس فترة محدودة كما هو الشأن في المهدي. وأما الأحاديث الصحيحة التي يوافق عليها المؤلف التي تنص على خليفة عادل ورجل من آل بيت النبي عليه الصلاة والسلام يعيد للدين بشاشته؛ فهذا يجوز الاعتقاد به ولا يجب! وهذا من المبشرات وليس من العقائد.

ثالثاً: النتائج التي توصل إليها المؤلف مقارنة بالمحققين من أهل السنة:

لقد أفرد المؤلف المبحث الرابع من الفصل الثاني لعرض (التصور العام لعقيدة المهدي المنتظر في فكر أهل السنة) وعرض فيه تصور الشيخ محمد الحامد (صوفي فقيه)، والشيخ سعيد حوى (مفكر حركي)، والشيخ الألباني (سلفي)، وكانت تصوراتهم حول المهدي خالية من المبالغات والأساطير، ناهية عن التواكل والعجز، دون أن يضعفوا الأحاديث الواردة في المهدي، ودن أن يقعوا في التضخيم!

فهل يبطل هذا جهد المؤلف؟! بأنه يمكن إثبات الأحاديث الواردة في المهدي دون الوقوع في التواكل والأساطير؟!

الجواب عند المؤلف هو أن الفرق بين الفريقين؛ أن هؤلاء العلماء (الحامد/ حوى/ الألباني) يقولون بوجوب اعتقاد ظهور المهدي، وأن المؤلف يقول: يجوز اعتقاد ذلك فقط!

وسوف أنقل لك جزءاً من تصور المؤلف ثم أذكر كلام الألباني الذى ذكره المؤلف بالرغم أنه قد غمز من قناته في أكثر من موضع من كتابه، لكن تكاد تكون النتائج واحدة.

قال المؤلف (ص201): "ولهذا فإنني أفهم المهدي إذا كان سيظهر فعلاً واحداً من الحكام المعاصرين أو الآتين بعد عون ممن ينسب إلى آل البيت الكرام، يهتم بقضية الإسلام أكثر من اهتماماته الدنيوية، ويفرغ من أوقاته ويجند من أعوانه من "يقنن" العقائد الإسلامية...".

ونقل المؤلف عن الألباني (ص236): "اعلم يا أخي المسلم أن كثير من المسلمين اليوم قد انحرفوا عن الصواب في هذا الموضوع؛ فمنهم من استقر في نفسه أن دولة الإسلام لن تقوم إلا بخروج المهدي، وهذه ضلالة ألقاها الشيطان في قلوب كثير من العامة وبخاصة الصوفية منهم، وليس في شيء من أحاديث المهدي ما يشعر بذلك مطلقاً، بل هي كلها لا تخرج عن أن النبي صلى الله عليه وسلم بشر المسلمين برجل من أهل بيته، ووصفه بصفات بارزة؛ أهمها: أنه يحكم بالإسلام، وينشر العدل بين الأنام؛ فهو من المجددين الذين يبعثهم الله في رأس كل مائة سنة كما صح عنه صلى الله عليه وسلم...".

وأقول بعد هذا التوافق دون تضعيف للأحاديث: هل ينطبق على صنيع المؤلف قول الألباني الذي ذكره المؤلف نفسه في الصفحة التالية: "ومنهم ـ فهيم بعض الخاصة ـ من علم أن ما حكيناه عن العامة أنه خرافة، ولكنه توهم أنها لازم لعقيدة خروج المهدي فبادر إلى إنكارها... وما مثل هؤلاء إلا كمثل من ينكر عقيدة نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان التي تواتر ذكرها في الأحاديث الصحيحة؛ لأن بعض الدجاجلة ادعاها "!!

رابعاً: استعراض المؤلف لما كتب في الموضوع:

إن الفصل الأول من الكتاب يقرب للقارئ كثيراً من الكتب التي تناولت الموضوع، وقد لا تتيسر أو لا يتوفر الوقت للاطلاع عليها، فقد ذكر أنها 744 كتاباً تناول منها المؤلف بالعرض والتعليق السريع 113 كتاباً سنياً وشيعياً؛ سواء كان كتاباً مفرداً في الموضوع، أو جزءاً من كتاب، وسواء كان مقراً بهذه العقيدة أو منكراً لها.

وكان عرض المؤلف لها جيداً، لكنه وهم في إيراد كتاب "المسيح الدجال... قراءة سياسية في أصول الديانات الكبرى" لسعيد أيوب ضمن الكتب السنية (ص59)، والصحيح أنه من كتب الشيعة. والعجيب أن المؤلف أورد له (سعيد أيوب) كتاباً آخر في قسم الكتب الشيعية (ص 157) بعنوان: "الطريق إلى المهدي المنتظر".

ويعد هذا القسم من أمتع فصول الكتاب.

خامساً: دراسة المؤلف للأحاديث الواردة في المهدي عند أهل السنة:

للمؤلف طريقة خاصة في التخريج عرضها (ص 275) وأسماها (العملية الاختزالية)، تقوم على تحديد مدار الحديث، ثم استعراض الرواة عن المدار على تقريب التهذيب، فإن كانوا في حيز المقبول احتجاجاً أو اعتباراً نظر في إسنادين أو أكثر في الرواة النقلة ما بين المضعفين إلى الرواة عن المدار ليسلم له صلاحيتهم للاعتبار بعد انتفاء الوهم والغلط في نقل الرواية.

أما حكمه على الأسانيد؛ فالمؤلف من الذين لا يقبلون التصحيح بالشواهد، ويطلق عليه؛ (الترقيع)، وتبين له ذلك بعد أن اتخذ طريقة النقد التطبيقي! (ص265)، وكان غالب الدراسة الحديثية منصب على كتاب "المهدي المنتظر في فكر أهل السنة" للدكتور عبد العليم البستوي، وذلك أن البستوي من أشد المدافعين عن عقيدة المهدي، وهو قد جمع ما صححه الألباني وشعيب الأرناؤوط. وكثيرٌ ممن كتب في الموضوع أحال على البستوي.

والخلاصة التي خرج بها المؤلف من هذا الفصل:

1ـ الأحاديث الموضوعة التي ذكر فيها المهدي صراحة عشرة أحاديث لم يبلغ درجة

الاحتجاج منها شيء.

2ـ الأحاديث المرفوعة غير المصرحة بالمهدي لا يصح حملها على المهدي.

3ـ الآثار الموقوفة على الصحابة المصرحة بالمهدي لم يصح منها شيء.

4ـ ضعف المؤلف حديث المجددين وحكم عليه بضعف الإسناد ونكارة المتن!

سادساً: دراسة المؤلف للأحاديث الواردة في المهدي عند الشيعة:

وهذا الفصل من أهم الفصول في الكتاب لعدة أسباب:

1ـ المؤلف من آل البيت كما بين في (ص408،539).

2ـ المؤلف يروي كتب الشيعة بالسند.

3ـ المؤلف عالج الموضوع على منهج الشيعة في الحديث، ولم يحتج بشيء من كتب

السنة.

4ـ المؤلف من دعاة التقارب والتعاون بين السنة والشيعة مع التبرؤ من الكفريات.

أما عن أهمية موضوع المهدي عند الشيعة فلأنه من أصول الدين، ومن أنكره يعد كافراً عندهم، وهذا فيه تكفير الشيعة لكل المسلمين عداهم!! (ص411، 531).

ولذلك ناقش المؤلف الشيعة فيما يزعمون أنه من أصول الدين؛ فوجد أنهم يحتجون بـ (5303) حديث (ص412)، وهذه الروايات تتعلق بكل شيء عن المهدي.

ولاستحالة مناقشة هذا العدد من الروايات اقتصر المؤلف على مناقشة روايات ولادته بحيث إذا ثبت ضعف وبطلان روايات ولادته ووجوده؛ فما قيمة روايات من رآه، أو كلّمه، أو...؟!(ص412).

وناقش المؤلف الشيعة في كيفية ثبوت الخبر التاريخي عندهم؛ فتبين أنهم لا يقيمون للموضوعية والعلمية وزناً، بل العاطفة هي التي تحكم على الأحداث والتاريخ! ونقل كلام صاحب موسوعة "تاريخ الغيبة الصغرى" التي تقع في عشرة مجلدات للسيد محمد محمد صادق الصدر (والد مقتدى الصدر) الذي يقول عن منهج كتابه: "إن المؤرخ مزيج من عواطف وغرائز ومشبعات ذهنية وعادات، ولا يمثل العقل والفكر منه إلا بعض هذا المزيج، وهو لا يكتب تاريخه بعقله وفكره وإنما يكتبه بمجموع عواطفه وسائر مرتكزاته" (ص414). فهذا هو المنهج التاريخ العواطفي!!

وبين المؤلف في هذا الفصل موقف الشيعة من الروايات؛ وأنهم على قسمين: إخباري يقبل كل ما نُقل من روايات ولو كانت من الخيال. وأصولي، وهو ينظر في الروايات. وبين أنهم لم يكون لهم وجود قبل ابن طاووس (ت673 هـ)، أو تلميذه الحلي (ت 726هـ).

ولكن عند عرض ونقد الروايات التي صححها الأصوليون في ولادة المهدي ظهر أن الأصوليين أيضاً لا شأن لهم في علم الحديث، ولكنه رماد يذر في العيون، وسيأتي تفصيل ذلك.

وطريقة المؤلف في نقد روايات ولادة المهدي كانت في خمس خطوات:

الخطوة الأولى: نقد روايات إمامة الحسن العسكري؛ لأن الإمام السابق لا بد أن ينص على الإمام من بعده، فإن لم يصح إمامة الحسن العسكري لم تصح إمامة المهدي!!

وهنا ناقش ما أورده الكليني في كتابه "الكافي" أهم كتب الشيعة الذي أورد فيه ثلاث عشرة رواية (853 ـ 865) وتبين أنه لم يصح منها رواية واحدة لا في ميزان الخوئي مرجع الشيعة الراحل وصاحب موسوعة "رجال الحديث" ولا في ميزان الشيخ المظفر الشيعي محقق الكافي!فإذا لم يصح الأصل وهو إمامة الحسن العسكري؛ فكيف تصح إمامة المهدي!!

الخطوة الثانية: مناقشة قصة أم المهدي:

وهذه قضية مضحكة؛ لأن المهدي لا بد له من أم، فمن هي؟

هذا ما بحثه المؤلف في المبحث الثاني من الفصل الخامس، فأظهر كذب قصة نرجس أم المهدي المخالفة للعقل والواقع، والتي تحتوي على

فجوات عديدة جداً، والإشكال أن هذه القصة العجيبة والطويلة ليس لها سند تاريخي ثابت؛ فهل يعقل أن أم المهدي أحد أصول الإيمان لا تثبت بسند واضح صحيح!! إلا إذا كان معدوماً؛ فيعقل.

ويعلق المؤلف في ختام المبحث على هذا فيقول: "المؤسف أن يبني عالم مثلك ـ السيد صادق الصدر ـ موسوعة في عشرة مجلدات عن الإمام المهدي من غير أن يكون بين يديه رواية تاريخية صحيحة واحدة تثبت ولادته أو مشاهدة أحد الثقات له" (ص470).

الخطوة الثالثة: هل نص الحسن العسكري على المهدي إماماً بعده؟

ذكر المؤلف أن روايات الباب التي أوردها الكليني في "الكافي" ليس فيه تصريح بالنص أو الإشارة إلى إمامة المهدي .

وقد أورد الكليني فيها ستة أحاديث ضعف المحقق الشيعي لـ " الكافي " واحداً منها، وبين أن اثنين منها فيهما مجهولان، وناقش المؤلف الروايات الثلاث المتبقية، وكانت النتيجة أنه لا يصح شيء منها في ميزان كتب رجال الشيعة!

الخطوة الرابعة: هل رأى المهدي إنسانٌ؟

بين المؤلف أن الكليني أورد خمسة عشر حديثاً (872 ـ 886)، ضعف محقق الكافي الشيعي حديثاً واحداً منها، وحكم على آخر بأنه مختلف فيه، وعلى أحد عشر حديثاً بالجهالة، وصحح حديثين فقط! وراجع المؤلف الحديثين المصححين والحديث المختلف فيه، وكانت النتيجة عدم صحة شيء منها.

الخطوة الخامسة: هل ولد المهدي؟

ذكر أن الكليني أخرج تحت هذا الباب 31 حديثاً (1362 ـ 1392) حكم المحقق الشيعي المظفر على عشرين منها بالجهالة، وضعف حديثين، وسكت عن واحد، وقال عن آخر: حسن كالصحيح، وصحح سبعة أحاديث، وعند استعراض هذه الثمانية الباقية لم يسلم شيء منها، وذلك كله بالاعتماد على موسوعة رجال الحديث للخوئي بالرغم من أنه كان ينقد ما هو أقل خطأ منه من كتب الحديث والمصطلح، وبيان أن الأصوليين الشيعة مع اعترافهم بأن كتب الأصول عندهم تحتوي على الضعيف والمكذوب، إلا أنهم أيضاً يصححون هذه الروايات الباطلة دون مستند علمي.

وعلق المؤلف على هذه الروايات في المهدي عند الشيعة فقال: "وكم كنت أتمنى أن تصح رواية واحدة أو عدة روايات من هذه الجمع الهائل الضعيف والمجهول حتى أعذر علماء الإمامية في بناء عقيدة إسلامية على خبر الواحد" (ص496).

وبعد بطلان هذه العقيدة الشيعية وهي ولادة المهدي، وأن من لا يؤمن به كافر؛ فالواجب على الشيعة مراجعة أصولهم وكتبهم، وعدم محاولة دعوة السنة للدخول في مذهبهم ونشر الكتب الدعائية بين السنة

مثل كتب التيجاني والمومسوي الذي يتقنون الإيهام والخداع للمسلمين (ص535 ـ537).

الخاتمة:

بعد هذه الوقفات مع كتاب "المهدي المنتظر" للدكتور عداب الحمش، ينبغي التأكد على:

ـ أن عقيدة ظهور المهدي عقيدة نص عليها جمع من أهل العلم الكبار، وصرح كثير من العلماء أن الأحاديث الواردة في شأن المهدي متواترة تواتراً معنوياً.

ـ أن تضخيم بعض الناس لجوانب من هذه العقيدة دون سند شرعي لا يجوز، لكنه لا يبطل الاعتقاد بها.

ـ الاعتقاد بالمهدي ليس سبباً للتواكل والقعود عن العمل.

ـ اعتقاد الشيعة بالمهدي باطل لا يصح، وعليهم الرجوع عنه وعن تكفير المسلمين كافة، وعلى أهل السنة معرفة حقيقة نظرة الشيعة لهم في الموضوع.

ـ الشيعة ليس لهم دراية بعلم الحديث، وكتبهم طافحة بالموضوعات والأكاذيب والخرافات، وذلك في أصول الدين وليس في الفروع فقط.

ـ عدم موافقة المؤلف على ما ذهب إليه من تضعيف الأحاديث الواردة في المهدي، وبعض الآراء التي ذكرها في كتابه، وطريقته في نقد الأحاديث.

قــالــوا

ماذا تريد سوريا من الأحزاب الإسلامية؟

قالوا: "... إن مؤتمرا للأحزاب الإسلامية، يجري الإعداد لاستضافته خلال الفترة المقبلة في دمشق في بادرة غير مسبوقة. يشار إلى أن السياسة السورية تمنع تشكيل أحزاب على أساس ديني أو مذهبي أو عرقي".

السبيل 11/4/2006

قلنا: ما الذي يدفع الأحزاب "الإسلامية" إلى الارتماء في أحضان نظام نصيري بعثي يعادي الإسلام ويحارب أهله، وينشر الإلحاد والفساد والانحلال. أليس هذا دليل آخر على غياب الرؤية الشرعية والسياسية لبعض التيارات السنيّة.

قتلوا القتيل ومشوا في جنازته

قالوا: "تظاهر المئات من أتباع الزعيم الشيعي مقتدى الصدر أمس احتجاجاً على مقتل عراقي سني عثر على جثته بعد اختطافه في ضواحي مدينة البصرة".

وكالة الأنباء الألمانية 21/4/2006

قلنا: ليت وكالة الأنباء التي بثت هذا الخبر تتحدث عن عشرات السنة الذين قتلهم جيش المهدي التابع للصدر، إضافة إلى عدد من الفلسطينيين السنة في منطقة البلديات في بغداد.

متى يدعو السيستاني أتباعه لوقف قتل الفلسطينيين؟

قالوا: "ناشدت وزارة شؤون اللاجئين في الحكومة الفلسطينية آية الله علي السيستاني المرجع الديني الأعلى للشيعة في العراق إصدار فتوى أو تصريح يمنع التعرض للفلسطينيين المقيمين في العراق، ويضمن حماية أرواحهم وممتلكاتهم".

وكالة الأنباء الألمانية 21/4/2006

قلنا: متى يتكرم السيستاني، ويفتي لأتباعه وأنصاره من عناصر لواء بدر، وجيش المهدي وحزب الدعوة، بوقف قتل الفلسطينيين، الذين لا ناقة لهم ولا جمل في صراع العراق، وإن كان تجاهله لمذبحة الفلوجة يكشف عن حقيقة موقفه لمن يعقل .

حماس ووعود إيران

قالوا: "كل الوعود التي سمعتها وفود "حماس" في العواصم التي زارتها بحاجة إلى تدقيق،... فالشعب الفلسطيني لا يستطيع انتظار وعد إيران، التي كانت وعدت (أبو عمار) ذات يوم بمثله، وبقي الوعد وعداً بدون تنفيذ، إلى الأبد".

صالح القلاب الرأي 6/4/2006

قلنا: ومع ذلك يكيل بعض قادة حماس الثناء والمديح لإيران التي دأبت على منح الشعوب الإسلامية الخطابات الرنانة والكلام الفارغ.

دروز الجولان ينتخبون الأحزاب الصهيونية اليمينية

قالوا: "دلت نتائج الانتخابات الإسرائيلية أن حَمَلة الهوية الإسرائيلية من سكان هضبة الجولان السورية المحتلة الذين شاركوا في التصويت، انتخبوا الأحزاب الصهيونية اليمينية... بما في ذلك حزب (إسرائيل بيتنا) بزعامة أفيغدور ليبرمان، الذي يدعو إلى تطهير إسرائيل من العرب".

الشرق الأوسط 31/3/2006

قلنا: فضيحة جديدة تضاف إلى فضائح الدروز، وسكان الجولان المحتل، الذين ذهبوا بملء إرادتهم لاختيار الأحزاب اليهودية الأكثر تطرفاً وعداءً للعرب والفلسطينيين.

الإخوان المسلمون والسلاح الإيراني

قالوا: "حتى لو أن إيران كان لديها سلاح نووي، فيبقى أن هذا في مواجهة الترسانة النووية التي لدى إسرائيل".

محمد حبيب -نائب المرشد العام للإخوان المسلمين

رويترز 16/4/2006

قلنا: ألم تكفِ كل هذه السنين للتدليل على أن إيران لا يهمها إلاّ مصلحتها، والعراق وأفغانستان خير دليل.

لمصلحة من جعل الجيش العراقي كله شيعة؟

قالوا: "... من دخل في أجنابهم من الشرطة والجيش مقابل دولارات معدودة، يكون بذلك قد حكم على نفسه بالردة عن دين الله وإعلان الحرب على أوليائه... ومالكم عندنا إلا السيوف استجابة لأمر الله"!

المحكمة الشرعية للمجلس الاستشاري للمجاهدين -ا.ف.ب 20/4/2006

قلنا: تفريغ المؤسسات العسكرية من أهل السنة مطلب شيعي ، فلماذا يساعدهم البعض منا على مقصدهم ؟؟؟ هل هو الغباء أم الاختراق ؟

الشعائر الحسينية تمزيق للعراق

قالوا: "هناك من يحاول استغلال عواطف الناس لدوافع سياسية. ونحن منذ وقت بعيد حذّرنا من خطورة التمادي في بعض الممارسات الحسينية المبالغ فيها... ولعلّ الطامة الكبرى أن النخب السياسية، وبينهم من يدّعي العلمانية، هم من يركبون هذه الموجة.. ونحن بحاجة ماسّة لخطاب إسلامي وإعلامي لفضح هذه الممارسات ولتعميق عناصر الوحدة الوطنية".

المرجع الشيعي جواد الخالصي - الوطن العربي 17/3/2006

قلنا: دأب الشيعة منذ قرون طويلة على استغلال حادثة استشهاد الحسين وغيرها للتأليب على أهل السنة، واتهامهم ـ زوراً ـ بقتل الحسين، ونحن كذلك نطالب بفضح هذه الممارسات.

المسلمون في الهند لا بواكي لهم

قالوا: "بعد سنوات من المأساة التي وقعت للمسلمين في ولاية قوجارات في الهند، واتهام المسلمين ظلماً بإحراق قطار فيه ركاب هندوس، وإثبات التحقيق الرسمي أن الحريق حادث عادي، ما زالت عشرة آلاف أسرة مسلمة مشردة، ووصلت نسبة ترك الطلاب المسلمين للتعليم إلى 40%، وما زال 300 مسجد بحاجة إلى ترميم بعد تخريبها على أيدي الهندوس".

الوطن العربي 7/4/2006

قلنا: كان الله في عون هؤلاء المسلمين المظلومين الذين لا بواكي لهم.

وماذا عن "العرانيين"

قالوا: حظرت تعديلات مهمة أدخلت على قانون الجنسية العراقي على المتجنسين قبل عشر سنوات من اكتسابهم الجنسية العراقية من

شغل المناصب السيادية. ومنع قانون الجنسية العراقي على مزدوجي الجنسية تبوء منصب رئيس الجمهورية أو نائبيه بشكل نهائي".

العدد 18/4/2006

قلنا: وماذا سيفعل الحكيم والجعفري وغيرهما من الغارقين بالعمالة لإيران، حتماً هؤلاء لن يتأثروا ، فهم فوق القانون والدستور.

القذافي يدعو اليهود والنصارى إلى الطواف حول الكعبة

قالوا: دعا الزعيم الليبي معمر القذافي، في مالي، اليهود والنصارى إلى الطواف حول الكعبة ما دام الله بعث بمحمد نبيّاً لكل النـاس، والكعبة هي بيت الله".

أ. ف. ب 11/4/2006

قلنا: هذه مصيبة جديدة من مصائب هذا الرئيس المتسلط على ليبيا، الذي يخرج لنا كل يوم بفتوى وقضية جديدة، تخالف ما عليه المسلمون وإجماعهم. آخر فتاواه المصائبية، هي أن تفتح أبواب الحرمين الشريفين، والكعبة لليهود والنصارى، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله.

الاحتلال والهيمنة

قالوا: أثبتت التجربة التاريخية في المنطقة وفقه السياسة العملية البراجماتية أن الاحتلال الأجنبي المؤقت ذا الأغراض المحددة والمفهومة، والذي يمكن إخراجه بالقوة الناعمة أو الصلبة، يقع في مرتبة أفضل من الهيمنة الإقليمية، سواءً كانت مذهبية أو عرقية".

د. سليمان البدور- الرأي 19/4/2006

قلنا: لذلك، فإننا مع رفضنا للاحتلال الأمريكي للعراق، نرفض أيضاً التدخل الإيراني في العراق، ودول المنطقة، فالاحتلال الأجنبي، والهيمنة الإقليمية كلاهما دمار في دمار.

السعودية وأنشطة إيران في العراق

قالوا: "حان الوقت الآن... لبدء حوار مع طهران، وتوضيح أن المملكة على وعي بأنشطتهم السرية في العراق".

نواف عبيد -المستشار الأمني للحكومة السعودية

رويترز 10/4/2006

قلنا: لماذا تتحرج الدول السنيّة، ومنها السعودية من أن تقول (لا) للأنشطة الإيرانية المريبة في العراق.

العراق مثلما هو جار لإيران، هو جار لمجموعة كبيرة من الدول السنيّة التي يجب عليها التواصل مع سنة العراق، وإنقاذهم من الهيمنة الإيرانية.

الاعتراف بالبهائية في مصر

قالوا: "رحبت منظمة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية بالحكم الصادر عن محكمة القضاء الإداري الذي يقضي بحق المصريين البهائيين في الاعتراف بديانتهم، وإثباتها في أوراقهم الرسمية، وذلك تأكيداً لحكم مماثل صدر منذ ثلاثة وعشرين عاماً".

وكالة الأنباء الألمانية 6/4/2006

قلنا: نصر جديد يحققه دعاة البهائية في أكبر دولة عربية، وبلد الأزهر، فبدلاً من أن يتنبه المسؤولون لمخططات البهائيين وعقائدهم الباطلة، يمنحونهم "الاعتراف" وما خفي كان أعظم!

ائتلاف غير متآلف

قالوا: "إذا دعم المجلس الأعلى عادل عبد المهدي، عارض حزب الدعوة وجماعة الصدر ذلك، وإذا دعمت هذه المجموعات إبراهيم الجعفري، تحركت جماعة المجلس الأعلى لإفشال هذا الترشيح... وعلى بقية القوى السياسية، وعلى العراقيين كلهم أن يدفعوا ثمن هذه الصراعات المدمرة داخل الائتلاف".

أحمد الربعي -الشرق الأوسط 4/4/2006

قلنا: "تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى" والعراق هو الذي يدفع ثمن الصراع الدائر في "الائتلاف الشيعي غير الموحد".

سلاح إيران ضد من؟

قالوا: "أعلنت إيران بأنها أتمت بنجاح إنتاج كمية محدودة من اليورانيوم المخصب... فهل يشكل هذا النجاح الإيراني تهديداً لأمريكا أو لإسرائيل؟

الجواب هو أنه ليس هناك خبير حيادي وموضوعي يعتقد ذلك، حتى ولا الوكالة الدولية للطاقة النووية".

باتريك سيل - الحياة 14/4/2006

قلنا: إن استمرار احتلال إيران للجزر الإماراتية، واضطهادها للسنة، ولعرب الأهواز، وتأليب شيعة الخليج على دولهم، والتدخل السافر في العراق، يكشف أن سلاح إيران النووي لن يكون مسخراً لخدمة المسلمين.

قتل للتجار السنة في العراق

قالوا: "يقتل يوميّاً ما لا يقل عن 50 شخصاً في بغداد وحدها، جلّهم من أهل السنة، وفي اليومين الماضيين، تركز الاعتقال والخطف على التجار منهم، في منطقة المنصور والكرادة، حيث تداهم الشركات ويعتقل أصحابها دون مذكرات توقيف".

عدنان الدليمي - رئيس جبهة التوافق السنيّة
أ. ف. ب 30/3/2006

قلنا: بعد أن كان مغاوير وزارة الداخلية وفرق الموت فيها، وعناصر لواء بدر وجيش المهدي، يستهدفون علماء السنة وشيوخ عشائرهم ونخبهم، جاء الدور على تجارهم، لجعل السنة في ذيل العراق علميّاً وماديّاً.

محنة فلسطينيي العراق

قالوا: طالما أن جميع الفصائل والأحزاب العراقية الشيعية تحتفظ بعلاقات أكثر من وثيقة مع إيران، ما مكّنها من أن تكون لها اليد الطولى في شؤون العراق، وهي بالتالي، ومن دون أي مبالغة من يستطيع إيقاف معاناة فلسطينيي العراق، أو أن تتحمل المسؤولية مباشرة عن صمتها باعتباره رضى عما يحدث".

منار الرشواني - الغد 6/4/2006

قلنا: ومسؤولية الاعتداءات التي يتعرض لها فلسطينيو العراق السنة من قبل قوات باقر صولاغ والحكيم والجعفري، ومن قبل قوات لواء بدر التابع لإيران، لا تقع على هؤلاء وحدهم، بل إن التنظيمات الفلسطينية التي يدين بعضها بالولاء لإيران مطالبة أيضاً بأن تقول كلمة حق حتى لو كانت ضد إيران وعملائها.

عراقيون يغيرون أسماءهم

قالوا: "قال عمر سامي، وهو طالب جامعي من العرب السنة: غيّرت إسمي إلى عبد الله لأنه اسم محايد. قد يكون لسنّي أو لشيعي. حياتي أغلى من اسمي".

رويترز 13/4/2006

قلنا: إذا كان عشرات العراقيين السنة قد قتلوا في الفترة الماضية بسبب أن اسمهم "عمر" الذي يبغضه الشيعة، ويترحمون على قاتله "أبي لؤلؤة المجوسي"، فلا عجب أن يلجأ طالب جامعي اسمه عمر، إلى تغيير اسمه، هو وآخرون مثله كثير، طالما أن القتل في العراق يتم على الهوية، وعلى الاسم.

أسلحة جديدة لجيش المهدي

قالوا: "شهدت مناطق بغداد، خاصة ذات التواجد الكثيف لعناصر جيش المهدي مثل مدينة الصدر الشيعية والشعلة... عمليات واسعة النطاق لتوزيع أسلحة حديثة غير مستعملة بينها الآلاف من الرشاشات الخفيفة والمتوسطة، ومدافع هاون وأعتدة وأجهزة اتصال وقاذفات صاروخية وصواريخ ضد الطائرات... مما أثار مشاعر الخوف في المدن العراقية عن الخطط الحربية، التي ينوي أن يقوم بها هذا الجيش المخترق من أطراف متعددة، وقيامه بانتهاكات خطيرة لحقوق الإنسان، يحث تجري مداهمات ومحاكمات فورية وتنفيذ أحكام إعدام وتعليق جثث الضحايا في أعمدة الكهرباء، وأعمال تشابه ما تقوم به القاعدة والجماعات المسلحة غرب البلاد".

الوطن العربي 24/3/2006

قلنا: على أهل السنة أن يضعوا أيديهم على قلوبهم من هذا السلاح، طالما أن الاحتلال الأمريكي لم يعد يشكل خطراً على الصدر وتياره.

فرحة لم تتم !

قالوا : " مساعدات إيران لحكومة حماس مرتبطة بموافقة مجلس الشورى الإيراني " .

وكالات الأنباء

4/4/2006

قلنا : هكذا هو الدعم الإيراني: تصريحات نارية تستقطب عواطف مساكين السنة ، ومن ثم تصبح حبراً على ورق !!

ثواب سماع الأغاني !!

قالوا : " فتاة أردنية جامعية متأثرة جداً بسامي يوسف تقول : كنت أسمع آيات من القرآن الكريم وأنا متوجهة إلى الجامعة كل صباح ، الآن أسمع أغاني سامي يوسف الإسلامية ، ألست أحصل على نفس الثواب ؟؟؟

الرأي 26/4/2006

قلنا : هل يعيد التاريخ نفسه باستبدال القرآن الكريم " بالسماع الصوفي " ؟

جولة الصحافة

صفقة رأس الزرقاوي

جهاد سالم الوطن العربي 7/4/2006

لم يكن الإعلان عن موافقة الإيرانيين والأميركيين على فتح مفاوضات مباشرة بينهما في بغداد مفاجأة لأي من الخبراء المطلعين على ألغاز هذه العلاقة الغامضة بين واشنطن وطهران وما تشهده الكواليس الاستخبارية والدبلوماسية، ولم تفاجأ هذه المصادر بالمعلومات عن وصول وفد إيراني رفيع إلى بغداد يترأسه رئيس مجلس الوصاية على النظام أحمد جنتي يرافقه دبلوماسيون وضباط في مخابرات الحرس، ولا بوصول طائرة أميركية خاصة إلى مطار بغداد حاملة وفد مجلس الأمن القومي والـ "سي آي إيه" والخارجية للانضمام إلى السفير خليل زاد والتفاوض مع الإيرانيين.

وفي معلومات "الوطن العربي" أن هذه الأوساط كانت قادرة مسبقاً على تقديم لائحة مفصلة وشبه كاملة "بالأعداء المتفاوضين". فالواقع أن المفاوضات بين واشنطن وطهران لم تتوقف منذ سنوات وتنقلت خلالها بين أكثر من عاصمة أوروبية، لكن الجديد في "مفاوضات بغداد" أنها

ليست سرية واللافت أن الطرفين حرصا على إطلاقه علناً، وذلك ليس فقط لإظهار حاجة كل من واشنطن وطهران لمساعدة الآخر للتوصل إلى تسوية عراقية باتت ملحة جداً لدرء خطر الحرب الأهلية المذهبية وانعكاساتها، بل أيضاً لحرص الإدارة الأميركية وحكم الملالي ـ اللذين يعيش كل منهما صراع أجنحة وتيارات ـ على عدم تفجير فضيحة تذكر بفضيحة "إيران ـ غيت" في الثمانينيات!

وتؤكد معلومات "الوطن العربي" أن العاصمة النمساوية كانت تشهد منذ الصيف الماضي سلسلة لقاءات أميركية ـ إيرانية شارك فيها عدد من مسؤولي البلدين الذين انتقلوا إلى بغداد للاستئناف المعلن ـ وليس العلني ـ لمفاوضات فيينا السرية.

وثمة تقارير تشير إلى أن روزنامة مفاوضات بغداد قد وضعت على ضوء ما تم التوصل إليه في فيينا، بحيث إن كل أوراق واشنطن وطهران باتت مكشوفة للطرفين، بحيث بات واضحاً أن كل "الأزمة النووية" والتهديدات المتبادلة التي ترافقها تربط مصيرها بمصير الصفقة الأميركية ـ الإيرانية المطلوبة في العراق، وهي ـ كما لخصها خبير استراتيجي أميركي ـ تنطلق أولاً من الصراع الأميركي ـ الإيراني على النفوذ في العراق الذي جرى تصعيده باستخدام "الورقة النووية" رغم معرفة واشنطن بأن طهران قادرة في كل الأحوال على العمل على إنتاج القنبلة النووية سراً وإدراك طهران في المقابل بأن واشنطن لن تقبل بذلك وهي قادرة ساعة تشاء على شن حرب ضد إيران.

وفي معلومات المصادر المطلعة على تاريخ المفاوضات السرية بين واشنطن وطهران أن لعبة الأوراق المكشوفة إضافة إلى الحرب المكشوفة في العراق ـ ولو بالوكالة ـ أسهمت في تسهيل إعداد خريطة التفاوض على دور وموقع كل من إيران وأميركا في العراق، وعلى الحد الأدنى الذي يطالب به كل فريق، وفي هذا الإطار تشير هذه المصادر إلى أن إيران أعدت خطة تفاوض انطلقت تجاربها السابقة ـ وفي شكل خاص ـ من تجربة مفاوضات جنيف التي جرت في صيف العام 2003 وشارك فيها خليل زاد.

وكان قد سبق للسفير الأميركي في العراق أن أجرى مفاوضات مع الإيرانيين حول أفغانستان، كانت إيجابية جداً، وما زالت واشنطن تدعو لتكرارها في العراق بعد فشل مفاوضات جنيف. وفشل مفاوضات جنيف كان بسبب "القاعدة والزرقاوي" أكثر ما كان يتعلق بالتردد الأميركي في الاعتراف بـ "حقوق" إيران في العراق ودورها في أمن الخليج أو تعليق العقوبات الأميركية أو الموافقة على انضمام طهران إلى منظمة التجارة الدولية.

وتكشف التقارير أن الإيرانيين فوتوا يومها فرصة فتح صفحة جديدة مع الأميركيين بسبب رفضهم حسم شرط أميركي مسبق انطلق من شعار "الحرب ضد الإرهاب" وهو تسليم رموز "القاعدة" الذين لجأوا إلى إيران. وبرر الإيرانيون معارضتهم هذه بالدعوة إلى مقايضة رموز "القاعدة" بقادة حركة مجاهدي خلق، وفوجئ الإيرانيون بالرفض الأميركي

رغم تقديم تنازلات مهمة على هذا الصعيد خصوصا لجهة موافقتهم على الابتعاد عن حماس والجهاد الفلسطينيتين وعلى إقناع حزب الله بالتحول إلى حزب سياسي.

وتؤكد مصادر "الوطن العربي" أن القيادة الإيرانية التي بدأت تشعر بمخاطر وانعكاسات الصراع مع أميركا في العراق أعدت خطة مفاوضاتها الجديدة على ضوء قراءتها لأسباب فشل مفاوضات جنيف وإدراكها لسلم أولويات الأميركيين، واتخذت قرار فتح باب المفاوضات بعرض مفاجئ لقناعتها بحساسية واشنطن تجاه ما تعتبره "الإرهاب في العراق".

رأس الزرقاوي

وتكشف مصادر أميركية مطلعة على الأجواء التحضيرية للمفاوضات العلنية وعلى استعدادات الطرفين للتنازلات المتبادلة حرصاً على كل منهما على حماية مصالحه وتحقيق أهدافه أو بالأحرى بعض أهدافه ـ سواء المعلنة أو غير المعلنة ـ أن "الصاعق" الذي سيفجر الباب المسدود بين واشنطن وطهران هو رأس الزرقاوي.

وفي معلومات هذه المصادر أن الزرقاوي هو الورقة الرئيسية التي تراهن إيران على استخدامها لتقديم خدمة ثمينة لا يحلم بها الأميركيون وتكون في الوقت ذاته ورقة غير قيمة بالنسبة لإيران التي تحتفظ بين أوراقها المصنفة إرهابية بأوراق كثيرة سيسمح التنازل عن ورقة الزرقاوي بالاحتفاظ بها.

ويبني الإيرانيون رهانهم هذا على معرفتهم المسبقة بالهاجس الذي يشكله الزرقاوي بالنسبة للأميركيين في العراق وخصوصاً معرفتهم بحجم الثمن الذي تبدو واشنطن مستعدة لدفعه مقابل رأس الزرقاوي.

وهذا الثمن يتجاوز بالطبع مكافأة الخمسة وعشرين مليون دولار التي وضعها الأميركيون ثمناً لرأس "الإرهابي الأول في العراق".

وفي معلومات الإيرانيين أن القوات الأميركية سبق أن صرفت مئات ملايين الدولارات في مطاردتها للزرقاوي، وهي تعتبر أن المليار دولار يومياً التي تصرفها في احتلالها للعراق تذهب هدراً منذ أكثر من ثلاث سنوات بسبب عجزها عن وقف المقاومة ووضع حد للعمليات المسلحة التي بات أبو مصعب الزرقاوي رمزاً لها في العراق.

لكن ما يعرفه الإيرانيون أكثر أن الأميركيين سبق أن عرضوا إغراءات سياسية كبيرة للأطراف السُنية لدفعها ليس فقط للتخلي عن المقاومة المسلحة، بل خصوصاً لإعلان الحرب على "القاعدة" والزرقاوي.

ووصلت المفاوضات الأميركية مع أطراف المقاومة السُنية إلى حد أن بعض هذه الأطراف تجرأت على طلب مقايضة رأس الزرقاوي برأس صدام حسين، وذلك لمعرفتها بمدى استعداد الأميركيين للتنازل مقابل وقف العمليات العسكرية.

وحتى في حال عدم وصول الصفقة الأميركية مع العشائر والمقاومة السُنية إلى حد ربط مصير صدام حسين بمصير الزرقاوي إلا أن الواضح أن الأميركيين قدموا تنازلات للسُنة في هذا المجال شملت إطلاق سراح

مجموعات من رموز النظام السابق المعتقلين "وثمة مجموعة جديدة تنتظر إفراجات مقبلة" وتحسين تمثيل السنُة في الحكم العراقي الجديد، ومساعدات مالية واقتصادية ووعوداً بتعديل الدستور.. وكل ذلك لم يكن فقط ـ حسب العارفين ـ مقابل دخول السنة في العملية السياسية، بل كانت خلفيته مساعدة الأميركيين على فرض الأمن والاستقرار في العراق وفي مقدمتها المساعدة على مطاردة جماعة الزرقاوي ووضع حد لعمليات المقاومة وخصوصاً عمليات عناصر "القاعدة".

وتؤكد المصادر الغربية أن إيران لعبت دوراً كبيراً في دعم العمليات العسكرية ضد الأميركيين على أيدي الجماعات المسلحة السنية بالتزامن مع دعوتها لحلفائها الشيعة لمهادنة قوات الاحتلال.

وفي البداية كان الهدف الإيراني واضحاً من دعم تسلل "القاعدة" إلى العراق بالتعاون مع الحليف السوري، وهو منع الأميركيين من إنجاز سيطرتهم على العراق وتوريطهم في المستنقع العراقي في شكل يجعلهم عاجزين عسكرياً عن التفكير في إكمال مخطط تغيير الأنظمة بالانطلاق من العراق إلى سورية وإيران، كما يحول دون تكريس خطتهم للبقاء في هذا البلد وإقامة نظام موالٍ لهم وقواعد عسكرية دائمة.

وتشير التقارير إلى أن الحرب الأميركية ـ الإيرانية على النفوذ والسيطرة في العراق قد حولت الأميركيين في مرحلة أولى إلى "رهائن" للنظام الإيراني بسبب رهانهم الكامل على الأكراد والشيعة وتهميشهم للسنة.

وقد قاد هذا الواقع، الأميركيين إلى تغيير المعادلة وموازين القوى من خلال الرهان على استقطاب السنة والابتعاد عن الشيعة، وإلى إثبات قدرتهم على التكيف والمناورة.

وفي رأي العديد من الخبراء أن ملالي طهران قد اكتشفوا أنهم ارتكبوا خطأً تكتيكيا تحول إلى خطأ استراتيجي في مشروعهم العراقي، وذلك بمبالغتهم في رفع مستوى الحرب ضد الأميركيين ومستوى عدم الاستقرار في العراق عبر دعمهم للجماعات المسلحة الشيعية المرتبطة بهم وجماعات "القاعدة"ـ وبعض أطراف المقاومة السنية، وهو دعم فاق "الحد المقبول" أميركياً ودفع بالأميركيين إلى اعتماد "الخيار السني" في انعطافة فاجأت شيعة العراق والإيرانيين و"خربطت" حساباتهم.

ويشير بعض الخبراء إلى أن الوحشية والدموية التي تميزت بها أعمال الزرقاوي وجماعته ضد الشيعة تجاوزت بدورها الخط الأحمر، وهي إذا كانت استهدفت في البداية دفع الشيعة إلى طلب حماية طهران ومساعدتها والرهان عليها إلا أنها انتهت إلى التهديد بحرب سنية ـ شيعية، تبين فجأة لملالي طهران أن نارها تهدد بالانتقال إلى داخل إيران وتهديد تركيبة النظام الإيراني المؤلفة من عدة مذاهب وإثنيات والمرشحة لعدوى الحرب العراقية.

هذه المفاجآت غير المحسوبة أقنعت الإيرانيين بأن أفضل وسيلة لقطع الطريق على "خسارة العراق" والأمل مجدداً باستعادة النفوذ والهيمنة وتكريس الحكم للغالبية الشيعية تمر بإفشال الصفقة السنية ـ

الأميركية والعودة إلى "الصفقة" غير المعلنة التي تهدف لسيطرة الشيعة وإيران على العراق. وذلك يمر أولاً بنزع الورقة الأخطر للمقاومة من أيدي السُنة عبر تخفيف خطورة هذه المقاومة على المشروع الأميركي وإعادتها إلى الحد الأدنى الذي يسمح بإبعاد الأميركيين عن السُنة.

دعم سوري

وتكشف بعض التقارير أن إيران قامت لهذه الغاية بممارسة سلطتها لدى الحليف السوري بدعوة دمشق إلى ضبط الحدود وتخفيف حركة التسلل وتهريب السلاح.

وفي معلومات هذه الأوساط أن الشهادة التي قدمها مؤخراً قائد الأركان الأميركي جون أبي زيد أمام إحدى لجان الكونغرس حول دور سورية في تخفيف حركة التسلل عبر الحدود لم تكن تعكس في الواقع تجاوباً سوريا مع الضغوط الأميركية بل مع ضغوط الحليف الإيراني في إطار خطته تخفيف الضغط عن الأميركيين لإفشال تعاونهم مع السنُة... أما الورقة الأهم فهي ـ حسب المصادر المطلعة ـ العرض الإيراني بالتخلص من أبو مصعب الزرقاوي وتقديم رأسه على طبق للأميركيين كعربون حُسن نية في المفاوضات الجديدة.

وفي المعلومات أن هذا العرض الإيراني معد ليسحب ورقة مهمة من المفاوضات الأخرى الجارية بين الأميركيين والمقاومة السنية حول رأس الزرقاوي، وليكشف في الوقت ذاته أن قدرة إيران على أذى الأميركيين في العراق تتجاوز علاقاتها مع الشيعة وأن حجم اختراقاتها الأمنية للساحة العراقية يفوق ما هو متداول عن دعم منظمة بدر أو جيش المهدي ليكرّس مصداقية التقارير عن حجم اختراق المخابرات الإيرانية للمقاومة السنية وفي شكل خاص لفصائل "القاعدة في بلاد الرافدين".

الزرقاوي أداة إيرانية!

والواقع أن المعلومات عن دور إيران في دعم وتمويل خلايا الزرقاوي، بل في إرساله إلى العراق، كانت تشكل منذ سنوات لغزاً محيراً، لكنها تحولت في التقارير الأخيرة للأجهزة الاستخبارية إلى قناعة تجعل من الزرقاوي صنيعة إيرانية وأداة لتنفيذ سياسة طهران ونموذجاً لاختراق مخابراتها لتنظيم القاعدة...

ومهما تعددت الروايات عن علاقة الزرقاوي بطهران، إلا أن التقارير الاستخبارية تتقاطع عند التأكيد على حجم المعطيات التي تربط بين الزرقاوي وإيران، إلى حد اعتبار وجوده في العراق بمهمة إيرانية ونتيجة لتحالف بين القاعدة وطهران.

وتؤكد التقارير أن أبو مصعب الزرقاوي كان من أبرز رموز "القاعدة" الذين اختاروا اللجوء إلى إيران بعد الضربة الأميركية لأفغانستان في أواخر 2001 بدون أن يتوقف في باكستان. وقيل إن وجود الزرقاوي في مدينة هيرات القريبة من إيران في تلك الفترة كان من الإشارات الأولية لعلاقاته الإيرانية. لكن إقامة الزرقاوي في إيران وتردده على معسكرات تابعة لقوات القدس في الحرس الثوري زادت من هذه الشكوك التي

تكرست أكثر بصداقته مع سيف العدل ـ المستقر في إيران حتى الآن ـ حيث قيل إن صديق الظواهري هذا لعب دوراً في التخطيط لمشاريع الزرقاوي "المقبلة" وخصوصاً في إقامة علاقة وطيدة بينه وبين الجنرال قاسم سليماني قائد "قوات القدس".

وفي العام 2002 انتقل الزرقاوي إلى كردستان العراق للانضمام إلى أنصار الإسلام، في معسكراتهم القريبة من الحدود الإيرانية. وانطلق يومها في مشروع بناء "القاعدة" في العراق والتحضير للجهاد الذي بدأ إثر الغزو الأميركي في 2003.

لكن زعيم "التوحيد والجهاد" ظل يتنقل بين المدن العراقية وسورية ولبنان في المرحلة الأولى، حيث يقال إنه استقر لفترة خلال العام 2002 في مخيم عين الحلوة. ومنذ انطلاقته في الجهاد واستيعابه للمجاهدين الأجانب قبل إعلان ولائه للقاعدة وتبني اسم "قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين" كان الزرقاوي يحصل في شكل دائم على دعم مالي ولوجستي وذخائر وأسلحة من المخابرات الإيرانية. بل يقال إن عناصره ينتقلون دورياً إلى إيران للراحة وتلقي العلاج والأوامر، وأنه يزور طهران في شكل دوري خصوصاً في مراحل المعارك العنيفة التي يتعرض لها المجاهدون، ومنها معركة الفلوجة، إذ قيل إنه كان خلالها في طهران.

وتلتقي التقارير على اتهام المخابرات الإيرانية وعملائها في الخارج بدعم الزرقاوي في بناء شبكة أوروبية واسعة وخلايا امتدت من إسبانيا وإيطاليا وفرنسا وألمانيا وبلجيكا وحتى بريطانيا، حيث يقال إن علاقته بالفلسطيني "أبو قتادة" لعبت دوراً في تقريبه من قيادات "القاعدة".

وفي أية حال تولدت قناعة في أوساط الأجهزة الاستخبارية المتخصصة في مكافحة الإرهاب وفي رصد خلايا القاعدة وخصوصاً شبكات تجنيد المجاهدين إلى العراق بأن الرجل الذي تحول إلى أخطر إرهابي في العالم وبات ـ بعد الجهاد في العراق وعملياته الدموية ـ يُعرف باسم خليفة ابن لادن، يملك وجوها عديدة بعدد جوازات السفر التسعة التي تنقل بها ولم يكن بينها اسمه الحقيقي (أحمد فضيل الخلايلة) وتميزت بجوازات إيرانية باسم إبراهيم قاسمي رضا أو عبد الرحمن حسن وفرتها له "قوات القدس" في الحرس الثوري..

والواقع أن التقارير الاستخبارية عن علاقة الزرقاوي بإيران سبقت تلك التي ركزت على علاقته بالبعث العراقي ومخابراته لدرجة أن إثارة وزير الخارجية الأميركي السابق كولن باول لاسم الزرقاوي وعلاقته بصدام حسين أمام الأمم المتحدة في إطار التحضير لضرب العراق دفعت ببعض الخبراء الأمنيين إلى التساؤل عن سبب تجاهل علاقة الزرقاوي الإيرانية.

ففي تلك المرحلة كانت المخابرات الألمانية قد أعدت تقريراً مفصلاً عن إقامة الزرقاوي في إيران ونشاطاته بين زاهدان وأصفهان وطهران برعاية الحرس الثوري، كاشفة عناوين إقامته كاملة وأرقام هواتفه وفاكساته التي كانت تتلقى اتصالات شبكاته الأوروبية وخصوصاً شبكته الألمانية. واللافت أن هذه التقارير كانت تجمع على مشاعر العداء التي

كان الزرقاوي يصرح بها علنًا تجاه الشيعة وهي اتهامات كان الجنرال سليماني يدافع عنها بقوله: "المهم أن عمليات الزرقاوي تخدم المصالح الإيرانية".

لكن يبدو أن عمليات الزرقاوي لم تعد تخدم المصالح الإيرانية، بل إنها لم تعد تخدم استراتيجية قادة "القاعدة". وفيما وجدت إيران أن الزرقاوي بات يهدد بإشعال حرب مذهبية تخرج عن السيطرة وتهدد الاستقرار في نظام الملالي التقت مع "القاعدة" في أن عمليات الزرقاوي التي باتت تستهدف المسلمين المدنيين تشوه صورة الجهاد و "القاعدة" والمشروع الإسلامي الإيراني الذي يحتاج في مرحلة المواجهة مع الغرب إلى تضامن كل الطوائف والمذاهب الإسلامية.

وهكذا حكم الزرقاوي على نفسه بدون أن يدري، وتحول إلى ورقة محروقة عرضة للمفاوضات، بات رأسه مطلوباً ليس فقط من الأميركيين بل من الأطراف السنية ومن قبل قيادة "القاعدة" وأخيراً من قبل إيران، بحيث اندلع نوع من السباق على "اصطياده" والحصول على "المكافأة الأميركية" ليس المالية بل التي تتعلق "بمن يحكم العراق"!

من يصطاده أولاً؟!

هل تنجح إيران في تحقيق إنجاز صفقة مع الأميركيين حول دورها وموقعها ومصالحها وطموحاتها في العراق بتسليم رأس الزرقاوي الذي عجزت المقاومة السنية عن اصطياده!!

التقارير الاستخبارية المتداولة تؤكد أن حظوظ طهران وإمكانياتها في بيع الزرقاوي أوفر بكثير من حظوظ وإمكانيات الأطراف السنية. وعلى الرغم من تركيز الزرقاوي لنشاطه في المثلث السني، فثمة إجماع على أن علاقة طهران به وحجم اختراق المخابرات الإيرانية للساحة العراقية وعلاقاتها مع السوريين تجعل من الأسهل لها نصب الفخ لزعيم القاعدة في العراق. ولعل العامل الأهم هو أن الحسابات والرهانات الإيرانية الجديدة تسمح بالتخلي نهائياً عن ورقة الزرقاوي بدون أية محاذير أو انعكاسات سلبية وهو ما لم تستطع المقاومة السنية بلوغه.

فإيران لم تنظر يوماً إلى الزرقاوي وجماعته كمجموعة مسلحة تستخدمها لتحرير العراق من الاحتلال بل كأداة للضغط على الأميركيين وتسهيل تنفيذ طموحاتها.

وفي المعادلة الحالية تبدو هذه الأداة وقد انتهت صلاحيتها وبات من المطلوب التخلي عنها وبيعها بثمن غال وبدون أية تكلفة. ويشير الخبراء الأمنيون في هذا المجال إلى أن إقدام إيران على تسليم رأس الزرقاوي لا يعني عملياً تخليها عن دعم "القاعدة"، بل يكشف فقط أن طهران لم تعد في وارد لعب ورقة الزرقاوي كخليفة لابن لادن، خصوصاً وأنها تؤوي في أراضيها قيادات بارزة من "القاعدة" تستطيع الرهان عليها، كما أنها ترتبط بعلاقات وثيقة مع حركات مسلحة متشددة ومتعددة على مستوى العالم الإسلامي. أما في العراق فيعرف الإيرانيون أن رهانهم الحقيقي والأخير هو على الجماعات المسلحة الشيعية مثل منظمة بدر وجيش المهدي.

المصادر المطلعة على خفايا المفاوضات الأميركية ـ الإيرانية تؤكد أن عرض "تسليم الزرقاوي" قد طُرح في شكل غير مباشر أثناء مفاوضات فيينا قبل أشهر. ولا تستبعد أن يكون قد أسهم في "إغراء" الأميركيين للقبول في الدخول في مفاوضات مباشرة وعلنية مع الإيرانيين.. ويبدو أن الأميركيين تحسبوا لتكرار فشل مفاوضات جنيف بعودة طهران إلى إثارة مسألة "مجاهدي خلق" فقاموا في تلك الفترة بإخراج مسعود رجوي ومجموعة من قياداته من معسكر "أشرف"ـ ومن العراق.

واللافت أن الأسابيع الأخيرة شهدت عملية اختفاء أبو مصعب الزرقاوي عن الساحة العراقية بما فيها ساحة العمليات وساحة مواقع الإنترنت، وبدأت تتسرب معلومات متضاربة عنه بين قائل إن زعيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين قد أُخرج بانقلاب عبر مجلس شورى جديد أشرف عليه أيمن الظواهري وسيف العدل، ومعلومات تشير إلى أن الزرقاوي كُلف من قبل الظواهري بفتح ساحات جهاد أخرى في اتجاه إسرائيل... وآخر هذه التقارير يشير إلى أن المخابرات الإيرانية قد استدعت الزرقاوي للراحة وإعادة تقويم العمل الجهادي وهي مازالت تستضيفه في "إقامة جبرية" في انتظار الصفقة على رأسه.

واللافت أن بعض المواقع الجهادية على الإنترنت بدأت تسوق لنهاية الزرقاوي عبر التأكيد أن أمير القاعدة في العراق بات يعتبر أنه أدى قسطه الجهادي وهو يستعد للخروج من الباب الواسع بعملية جهادية انتحارية ضخمة جداً!!..

في أي حال تبدو ثمة قناعة في أوساط الجهاديين أن مرحلة الزرقاوي قد انتهت، وتقابلها قناعة لدى الخبراء السياسيين الأمنيين بأن رأس الزرقاوي دخل سوق المساومات والمفاوضات.. وفيها يبدو واضحاً أن نهاية الزرقاوي لن تضع حداً للمقاومة والعمليات المسلحة في العراق، ويبقى السؤال عما إذا كان تسليم الزرقاوي يؤدي حكماً إلى فتح صفحة جديدة بين طهران وواشنطن وإلى "الصفقة التاريخية" التي تطمح إليها إيران في العراق.

والعارفون بحجم الطموحات الإيرانية ومثلها الأميركية وتضاربها وحجم المسائل العالقة بين البلدين والحسابات السرية لكل منهما يتوقعون مرحلة طويلة من الشد والجذب والمناورات والتصعيد الكلامي والعسكري تبقي العراق والمنطقة والعالم برميل بارود معداً للانفجار بين شهر وآخر!

طهران على مفترق طريقين

نادر كريمي جوني / شرق (الشرق) 19/2/2006

مختارات إيرانية العدد ـ68 ـ 3/2006

بقدر ما كان فوز حركة المقاومة الإسلامية (حماس) في الانتخابات التشريعية الفلسطينية التي أجريت في 25 يناير الماضي، مدعاة للترحيب من جانب مناصري جماعات المقاومة الفلسطينية، بقدر ما كان ذلك أمراً

مقلقاً وغير متوقع بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، وإسرائيل، الدول الأوروبية. وفي إطار عملية مواجهة هذا التطور النوعي لم يشاهد أو يلاحظ أي تحركات أو خطوات فعلية سوى تصريحات لفظية وكلامية صدرت عن بعض المسئولين الأمريكيين والإسرائيليين، ومن هنا كان "الانتظار والترقب" هو الخيار الأساسي خاصة من جانب المعارضين للجماعات الجهادية، وذلك بحجة معرفة ومرافقة سلوك حماس عندما تتولى السلطة، فضلاً عن إقرار التحرك الجاد نحو التصدي لزيادة السلطة السياسية لهذه الجماعة الجهادية المهمة في الأراضي المحتلة.

المؤكد أنه لا يتساوى ولا يستوي أصدقاء "حماس" الإقليميين، والذين هم خارج المنطقة فيما يخص ترحيبهم وسعادتهم بالانتصار بينهم جميعاً يتمحور في أنهم جميعاً أعلنوا ترحيبهم بانتصار حماس من جهة، وإدراك الجماعات الجهادية الفلسطينية للطريق المؤدي للمناصب الخاصة بالسلطة السياسية من جهة أخرى.

لو أننا وضعنا في اعتبارنا أن خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحركة حماس أعلن تقديره لأطراف ثلاثة، هي : إيران، سوريا، وحزب الله اللبناني، يمكننا القول بأن ذلك كان تقديراً لعمليات الدعم المعنوي والسياسي من جانب المسئولين الإيرانيين للانتفاضة، وكذلك للجماعات الجهادية الفلسطينية، وهو ما كان له دور ملموس في انتصار حماس لدرجة أننا وجدنا رئيس المكتب السياسي يتحدث في أول حديث له بعد انتصار حماس، عن التزامه بضرورة تقديم الشكر إلى حكومة الجمهورية الإسلامية الإيرانية، والتعهد بالوقوف إلى جانبها في حالة تعرضها لأي هجوم.

لكن أمام هذا كله يتبقى أمامنا السؤال التالي:

إلى أي مدى أو إلى متى سيستمر هذا التأييد؟، خاصة إيران التي لا ترتبط حتى الآن على أي مستوى بأي قدر من الاتصالات مع المسئولين الإسرائيليين من جهة، واستمرارها في الامتناع عن إقامة علاقات مباشرة مع مسئولي السلطة الفلسطينية من جانب آخر؟

السؤال الآخر والمهم جداً هو كالتالي: ماذا بعد انتصار حماس وتشكيلها الحكومة الجديدة، هل سينتهي الأمر بإيران للاعتراف رسمياً بحكومة السلطة الفلسطينية أم لا؟

من جهة أخرى، أصبحت جماعة جهادية فلسطينية، كثيرة ما كانت تحظى بدفاع من إيران بشأن حقها في تولي السلطة في الأراضي المحتلة، أصبحت بالفعل قابضة على السلطة السياسية ـ العسكرية في الأراضي المحتلة. فهل يمكن أن يصبح هذا التحول ـ الذي يلقي ترحيباً من إيران ـ سبباً لإقامة علاقات رسمية بين حكومة حماس والجمهورية الإسلامية الإيرانية؟

في الأيام التي تلت انتصار حماس في الانتخابات البرلمانية تبذل جهود واسعة من جانب زعماء حماس من أجل تشكيل ائتلاف وطني بمشاركة سائر الجماعات الجهادية ـ السياسية الفلسطينية الأخرى، وهو الأمر الذي أكد عليه المسئولون والزعماء السياسيون الإيرانيون، خاصة

الذين يرون أن انتصار حماس يصب في صالح استمرار انتصار الرؤى والأفكار التي تطرحها الجمهورية الإسلامية الإيرانية بشأن المنطقة، والتي ساهمت في تشكيل محور استراتيجي حليف للمفكرين الإيرانيين سواء في أفغانستان أو في العراق والآن في فلسطين المحتلة.

في جميع المباحثات وأحياناً كثيرة في معظم الخطب السياسية، يوصى الإيرانيون بضرورة تعميق العلاقات وكل اوجه التعاون بين طهران والحكومة الفلسطينية الجديدة، كذلك لابد للجمهورية الإسلامية من تقييم مثل هذه النتائج بشكل شامل وصحيح.

لكن المؤكد هنا أن عملية الاعتراف الرسمي بالحكومة الفلسطينية ـ بغض النظر عن الجماعة الحاكمة أو الرؤى التي تحكم الجماعة الحاكمة ـ لا يعد أمراً يسيراً أو سهلاً، مرجع ذلك أن إيران لم تعترف رسمياً بالهيكل أو البناء، أي النظام السياسي القائم حالياً في الأراضي المحتلة والذي تأسس وفقاً لاتفاق أوسلو، ووای ريفير، بل إنها تعتبر أن تلك الاتفاقيات ظالمة.

السؤال الأجدر هنا مفاده: في إطار مثل هذه الظروف، كيف يمكن أن نتوقع أن يتم تأييد الحكومة التي تكون قد تأسست في ظل هذا المناخ؟ وكيف يمكن أن يتم تأييد جناح ما يصل إلى السلطة وفقاً لنفس هذا الأساس أيضا؟

المؤكد أن الجماعات التي تبدو ظاهرياً قريبة من إيران أكثر من غيرها من الجماعات الأخرى هي جماعة الجهاد الإسلامي، وهي ترفض، بل رفضت مثل هذه الانتخابات التشريعية التي جرت انطلاقاً من كونها قائمة استناداً إلى اتفاقيات ظالمة ومجحفة.

وعلى الرغم من أن جماعة الجهاد الإسلامي لم تصدر أي توصية لأتباعها لمقاطعة التصويت من عدمه إلا أنها ـ أي الجهاد الإسلامي ـ قد أعلنت مراراً وتكراراً أنها لن تعترف رسمياً بالانتخابات البرلمانية التي ستقام في الأراضي المحتلة، وأنها لن تقدم أي مرشح، وبالإضافة إلى هذا، فهي كانت توصي زعماء حماس بأن تصرف النظر عن تقديم أي مرشح يحرِّم تعاون الجهاد الإسلامي مع حكومة الحكم الذاتي. مع هذا كله فإن الشيء الذي يسعد الإيرانيين الآن هو أن حماس قد أعلنت مباشرة بعد حصولها على السلطة أنها لن تعترف رسمياً باتفاق أوسلو وأنها لا تعتبر نفسها ملتزمة به أو ملتزمة بالتمسك به.

اليوم طهران وغدا بقية العالم

شارلز كراوثامر - مجلة التايم

أننا بتنا نقف الآن على أعتاب فجر مرحلة جديدة سِمتها نجوم الايدولوجيات الدينية المتعصبة، والتي لا تلقي بالاً إلى الحسابات العادية من التعقل والحفاظ على الذات. وهي تسيطر على مقاليد الحكم في الدولة وسوف تتمكن عما قريب من امتلاك القدرة النووية.

اننا نجد صعوبة في فهم عقلية حكام إيران الجدد. ومرة اخرى، نجد أنفسنا عاجزين عن فهم عقلية أولئك الرجال الذين ضربوا مركز التجارة

العالمي بالطائرات، كما لا نفهم لغة الغوغاء في بعض العواصم ممن يصيحون "الموت لأمريكا و الدنمارك"! ويعتنقون فكرة الشهادة المنطوية على المجد والرومانسية.
إن هذا الحب المتأصل لإراقة الدماء والموت والتضحية بالذات باسم الله ليس بالأمر الجديد، فقد كانت تنتشر في أوروبا في العصور الوسطى أعداد هائلة من الطوائف المسيحية المؤمنة بالألفية السعيدة. ولكنهم لم يمتلكوا أبداً، وحتى هذه اللحظة، تلك الوسيلة الكفيلة بتحقيق غاياتهم الرؤيوية.
ولعل هذا ما يجعل من وقوف إيران على أعتاب امتلاك الأسلحة النووية يمثل لحظة تاريخية مشهودة. ولا يتعلق الأمر بحديث الرئيس الإيراني عن الهولوكوست، بل يتعلق أكثر بإيمان الرئيس وحماسه لفكرة عودة ظهور الإمام الثاني عشر التي تطابق فكرة عودة المسيح عند المسيحيين. وقد نقل عن احمدي نجاد قوله في الاجتماعات الرسمية بأن نهاية التاريخ قد باتت على بعد سنتين أو ثلاث فقط. وقد اخبر احد المقربين بأنه شعر بهالة تحيط به بينما كان يتحدث على المنصة أمام الجمعية العمومية في أيلول (سبتمبر) الماضي، وقال "لم يرف جفن في عيون قادة العالم خلال تلك الدقائق السبع والعشرين أو الثماني والعشرين دقيقة كما لو أن يدا كانت تمسكهم وتفتح أعينهم" وهم يتلقون رسالته. انه يؤمن بأن علة وجود الثورة الإسلامية هي تعبيد الطريق الأخيرة للخلاص، والذي يسبقه، حسب منظوره الإيماني باليوم الآخر، حدوث الجيشان والفوضى. فأية طريقة إذن أفضل لإشعال فتيل تلك البركة الخالدة من اللهب النووي؟ اعتماداً على المعتقدات الخاصة، فإن الرئيس احمدي نجاد إما أن يكون شخصا باطنياً أو مشوشاً. (نقلاً عن جريدة الغد) .

قراءة خليجية للطموح النووي الإيراني

عبدالله خليفة الشايجي الحياة - 22/04/2006

في سبتمبر (أيلول) الماضي سطرت في «الحياة» مقالة حول الطموح والتحدي النووي الإيراني بعنوان «إيران وسياسة حافة الهاوية: بين التهديد الغربي والعجز العربي». مع بداية المواجهة بين إيران والغرب. وعددت الأوراق العشر التي تستقوي بها إيران وأقواها وأهمها العراق الذي تمسك زمام الأمور فيه وانتهاء بانقسام المجتمع الدولي وأمور مرتبطة بالطاقة وأسعار النفط وازدواجية المعايير في التعامل مع الطاقة النووية ودور روسيا والصين وانقسامات في الموقف الأميركي حول كيفية التعامل مع إيران. وخلصت الى أن جميع تلك الأوراق التي تستقوي بها إيران تلعب لمصلحتها في التحكم بسير الأمور. وأنه لا يبدو أن هناك قدرة لدى الغرب الممثل بالترويكا الأوروبية وخلفها واشنطن على ثني حكومة الملالي في طهران عن الاستمرار في السعي لتحقيق الطموح الإيراني لامتلاك الطاقة النووية لأغراض سلمية كما تدعي طهران. وللتسيد والتحكم وفرض أجندتها على المنطقة وتقوية أوراقها التفاوضية في منازلة حافة الهاوية مع أميركا والغرب من ورائها.

اليوم في ربيع 2006، وبعد 7 أشهر من ذلك التقويم الذي أثبتت الأيام صحة استنتاجاته، ما الذي تغير؟ ما هي المتغيرات والثوابت؟

الذي تغير هو زيادة العرب عجزاً وتشتتاً، مقابل زيادة الأوراق الإيرانية قوة وتصميم إيران أكثر على المضي قدماً في برنامجها النووي، مع تحكم الجناح المحافظ في مؤسسة الحكم الإيراني وتصعيد للخطاب المتطرف من القيادة الإيرانية واستعداء العالم عبر تصريحات نارية عن «الدولة العظمى» بعد تخصيب غرامات عدة من اليورانيوم، وعن افول أميركا وشطب إسرائيل أو نقلها الى أوروبا. واستعراض عضلات كبير في مياه الخليج عبر مناورات «الرسول الأعظم» في ترهيب واضح لدول الخليج الصغيرة، حيث لم تنجح إيران منذ قيام الثورة قبل أكثر من ربع قرن في خطوات بناء الثقة وطمأنة تلك الدول الى نيات إيران التي تبطن عكس ما تظهر. ولن يفهم أحد أو يستطيع سبر غور مكنونات إيران من دون فهم «التشيع» كمفهوم وتاريخ وتقليد. وتهدد إيران اليوم بعد أن تمكنت من تخصيب بضعة غرامات من اليورانيوم، وبعد تشغيل 164 جهاز طرد مركزي، من أن تدخل النادي النووي بكل فخر وبالتفاف من كل أطياف الشعب الإيراني! ولكن ما هي الأهداف والتداعيات والنتائج؟

الأهداف باتت واضحة، وتسعى إيران لأن تكون الدولة الناطقة والمدافعة والمتحدثة باسم المسلمين قاطبة سنّة وشيعة، وتسعى لتقوية أوراقها التي تحدثنا عنها آنفاً. وتسعى لتحسين موقعها التفاوضي مع أميركا والغرب وتلوح بالعصا قبل الجزرة في عقابها لهم إذا ما قرروا الانتقام من إيران باغلاق مضيق هرمز وشل اقتصاديات الغرب وارتفاع سعر برميل النفط الى مستويات قياسية قد تلامس 100 دولار للبرميل.

تريد إيران من أميركا أن تأخذها على محمل الجد. وأن تتفاوض معها على أساس الند للند. تبدو إيران اليوم مثل الجنرال الذي يخوض حرباً ويسعى الى كسب المزيد من الأراضي والغنائم قبل وقف اطلاق النار حتى يقايض ويفاوض عليها في صفقة كبرى «Grand Bargain» تساعده في تقوية موقفه وأوراقه التفاوضية. وأبرزها بقاء نظام الملالي من دون تغيير فيما يعرف بـ «Regime Change» أي بقاء النظام الحاكم. واعطاء إيران يداً في العراق عبر مقايضة كبيرة يتم خلالها تأجيل البرنامج النووي الإيراني لسنوات عدة عبر الدخول مرة أخرى في حال تفاوض مع الترويكا الأوروبية والوكالة الدولية للطاقة الذرية بما يحفظ ماء وجه القيادة الإيرانية أمام شعبها، بأنها حققت المطلوب وخصبت اليورانيوم، وإذا ما قررت إيران وقف الأنشطة النووية، فإن ذلك لن يضرها، بل سيحقق مكاسب لها. وهكذا لا تبدو إيران قد فقدت هيبتها والتقدير من شعبها، بل قايضت العصا بالجزرة لمزيد من المكاسب. إن عقلية البازار و «المكاسر» التي تتقنها إيران تبدو واضحة في التعاطي الإيراني مع الملف النووي.

تحولت إيران منذ الصيف الماضي الى مركز العالم عبر مواقف وتصريحات نارية متشددة حول سياسة المواجهة والتحدي عبر الملف

النووي. حول «الهلال الشيعي» الذي تحدث عنه الملك عبدالله الثاني ملك الأردن قبل اكثر من عام؟ ثم زادت الأمور تعقيداً تصريحات الرئيس المصري حسني مبارك مطلع هذا الشهر عن التشكيك بولاء الشيعة العرب لدولهم وولائهم لإيران، مما أحدث زوبعة وعاصفة كبيرة اضطرته للتوضيح لأكثر من مرة. وآخر توضيحاته هو أن ما كان يقصده «كان الولاء الديني وليس السياسي لإيران». وطبعاً تبقى الأصابع والدور الإيراني الأبرز هو في الشأن العراقي الدامي.

إن السيناريوهات التي تم وضعها عبر التسريبات والتصريحات سواء في «النيويوركر» عن ضرب 400 هدف داخل إيران، وصولاً الى استخدام قنابل نووية تكتيكية بتدمير التحصينات في مفاعل ناتانز بقنابل «بي61-11»، ورد إيراني انتقامي يستهدف القواعد العسكرية والمنشآت الحيوية الأميركية والخليجية والعراقية يهدد بتحويل المنطقة بأسرها الى منطقة يستخدم بها ليس السلاح التقليدي ولكن حتى النووي، وباشعاعات نووية تدمر البشر والحجر والثروات المائية، وحتى مياه الخليج الذي نعيش جميعاً في المنطقة من تحليته للبقاء والحياة، مما يعني أن سيناريو يوم القيامة هذا يهدد المنطقة بأسرها ولأجيال مقبلة.

القلق الخليجي لدى الدول والشعوب العربية في الطرف العربي من الخليج الملتهب هو قلق حقيقي ومبرر، يتمثل بحال من الوجوم وعدم الثقة وتراجع في التعاملات في أسواق الأسهم وانخفاضات هي الأكثر منذ أشهر، ولا تنفع المطالب الإيرانية بتوقيع اتفاقات أمنية والدخول في ترتيبات مشتركة في طمأنة الشعوب القلقة، بل تنظر الى تلك المطالب على أنها ساذجة ومرفوضة، لأنها تقوم على مفهومين ومبدأين خاطئين: الأول، هو عدم وجود ثقة، وهي المكون الاساسي لأي اتفاق واتحاد مشترك، والثقة معدومة بسبب الإرث التاريخي الإيراني الذي سعى للهيمنة والسيطرة منذ أيام الشاه ودوره كشرطي الخليج، واستمرار النظام الثوري الإسلامي بالتهديد بتصدير الثورة والشغب في مواسم الحج، والاعتداء على ناقلات النفط الكويتية والسعودية، وطبعاً المحك الحقيقي للعلاقة الخليجية - الإيرانية، هو الموقف غير المبرر لثلاثة عقود، وهو رفض إيران التفاوض حول الجزر الإماراتية المحتلة، أو الذهاب لمحكمة العدل الدولية لحل الخلاف المزمن ليس مع الإمارات فحسب، ولكن حتى تبني الثقة المفقودة مع دول مجلس التعاون الخليجي أيضاً.

والمفهوم الثاني الذي يعيق أي ترتيبات أمنية مشتركة بين الدول العربية في الخليج وإيران، هو أن الشراكة التي تسعى إليها إيران إنما هي شراكة غير ندية وغير متكافئة، بل هي شراكة مبنية على قوة طاغية لطرف هو إيران على حساب طرف أضعف بكثير هو دول مجلس التعاون الصغيرة الضعيفة، بسبب الإمكانات والحجم والديموغرافية والامتداد والإرث التاريخي والخلافات العميقة منذ حتى قبل حكم الشاه.

فالبيئة الخليجية غير مهيأة في الوقت الراهن لتلك الترتيبات الحالمة، والقلق الخليجي المبرر يكمن في نيات إيران وسعيها نحو الهيمنة كأقوى

دولة اقليمية في المنطقة. وأدبيات العلاقات الدولية تخبرنا بأن الدولة الكبرى في أي اقليم تسعى على الدوام للهيمنة والسيطرة، وإيران لا تشذ عن تلك القاعدة.

عندما ننتقد كمثقفين خليجيين المساعي الإيرانية للهيمنة والبرنامج النووي الإيراني، فإن ذلك ليس تكراراً وصدى للمواقف الأميركية بقدر الخوف والقلق المحق الذي نستشعره كوننا نعيش في اقليم مضطرب، تزيده المواقف والتصريحات والتسريبات المخيفة احتقاناً وسخونة. فعلى الاخوة العرب في بقية الأقاليم أن يتفهموا الشعور بالقلق الحقيقي الذي يعترينا، خصوصاً أن مفاعل بوشهر المطل على الخليج العربي لا يبعد عن عواصم دول مجلس التعاون المطلة على الخليج أكثر من 150 كلم، مما يجعل تلك العواصم العربية أقرب الى خطر التسرب النووي من العاصمة طهران، وأي خلل تقني في المفاعل الإيراني مثلما حدث في تشرنوبيل قبل عشرين عاماً حيث لا يزال حتى اليوم يولد أطفال مشوهون بسبب الاشعاعات أو بسبب زلزال مدمر سيحول المنطقة بأسرها الى الدمار. كل هذا لا يطمئن شعوب وأنظمة المنطقة على رغم التطمينات الإيرانية المكررة بأن القدرات الإيرانية هي للمسلمين، وعن الاستعداد لتوقيع اتفاقات أمنية لا تسمن ولا تغني من جوع.

تنزلق المنطقة أكثر وأكثر باتجاه التصعيد وعدم الاستقرار. إيران دولة مهمة وأساسية في المنطقة، ولكن تصرفاتها ومواقف قادتها وتحديها للاصطفاف الدولي بقيادة واشنطن يضعها مع المنطقة على صفيح ساخن.

هناك ثلاثة خيارات تتفاعل وتتداخل في ما بينها، لا يزال الجميع يتحدث عن الخيار الديبلوماسي مع ابقاء كل الخيارات على الطاولة بما فيها الخيار العسكري. وهناك سيناريوهات تعدها واشنطن لما يعرف بـ «What if diplomacy fails» ماذا لو فشلت الديبلوماسية؟ تسعى أميركا وبشكل مغاير لحرب العراق الى انشاء تحالف دولي قوي يضم الدول الرئيسية في أوروبا وتحضر عبر تقرير الوكالة الدولية للطاقة الذرية الذي يجب أن يصدر نهاية الشهر الجاري لتشكيل جبهة غربية متراصة ضد إيران. ويجب أن نذكر أن من يقود التفاوض مع إيران كان الترويكا الأوروبية، بريطانيا وفرنسا والمانيا، وهذه الدول مع واشنطن وروسيا والصين انتقدت التخصيب الإيراني ووصفته بسلوك الطريق الخطأ. وستكون تلك الدول النواة لتشكيل جبهة صلبة ضد إيران تدفع باتجاه فرض عقوبات من تجميد ودائع وفرض قيود على الديبلوماسية وصولاً الى اصدار قرار من مجلس الأمن بناءً على الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة والذي يسمح باستخدام كل الوسائل المتاحة، بما فيها تشريع استخدام القوة.

هذا يعني أن الدول الرئيسية في النظام العالمي تقف جميعها ضد إيران وبدعم، وحتى، تحريض من إسرائيل. إسرائيل وإيران العدوان اللدودان اللذان يكرهان بعضهما بعضاً لم يجدا حرجاً وبراغماتية واضحة تقدم المصالح على المبادئ، وعندما وجدا مصلحتهما في التعاون لم يمانعا في عقد صفقة سرية بمباركة أميركا ودعمها للحصول على أسلحة أميركية

من إسرائيل فيما عرف بـ «إيران كونتراغيت» ابان الحرب العراقية - الإيرانية، فهل ستكرر ذلك حول الملف النووي؟ وضد من سيستخدم ذلك السلاح إذا قضت البراغماتية ثانية عدم استخدامه ضد إسرائيل؟ وصلنا جميعاً الى مفترق الطرق. المطلوب موقف عربي - خليجي موحد، لرفع رؤوسنا المدفونة في الرمل حيث بقي الموقف العربي منقسماً والبعض يتعاطف مع إيران نكاية بأميركا ومع حق إيران في امتلاك سلاح نووي لتعادل إسرائيل. اذكّر هؤلاء بأن السلاح النووي الإيراني لن يكون موجهاً ضد إسرائيل بقدر ما سيكون ورقة قوة هي الأقوى في جولات التفاوض والورقة الأهم للهيمنة والفخر واشباع العقدة الفوقية الفارسية بوجه الضعف والتشرذم والتشتت العربي المؤلم، الذي قد يستفيق يوماً على إيران نووية، فيبدأ سباق تسلح نووي متأخر لأغراض سلمية أيضاً للتوازن والمفاخرة أيضاً.

دول مجلس التعاون الخليجي في القمة التشاورية في السادس من ايار (مايو) المقبل مطالبة بصوغ موقف واضح بعيداً عن الميوعة والعموميات، وأن تسمي الأمور بأسمائها وتتطرق لمخاطر البرنامج النووي الإيراني، وللجلوس مع إيران ومناقشة كل النقاط العالقة ومصادر القلق والتوتر ومناقشتها بروح أخوية ليطمئن كل طرف الطرف الآخر.

وأما إذا افلتت الأمور من عقالها بعد الانتخابات الأميركية نهاية العام الجاري، فعلينا جميعاً في دول مجلس التعاون الخليجي أن يكون موقفنا حيادياً وننأى بأنفسنا عن أن نكون طرفاً في صراع الفيلة، وأن نعبر عن ذلك بوضوح لأميركا وإيران معاً، وأن لا تكون دولنا قواعد لانطلاق الحرب على إيران أو أهدافاً للرد والانتقام الإيراني. لا شك أنها سيناريوهات مقلقة للغاية، وعلى الجميع العمل على عدم حدوثها وعلى رأسهم واشنطن وطهران.

استاذ العلوم السياسية - جامعة الكويت.

العرب والمشروع النووي الإيراني

ياسر الزعاترة - السبيل 18/4/2006 باختصار .

من المؤكد أن أحداً في المحيط العربي أو الإقليمي لا يبدو مقتنعاً بحكاية الاستخدام السلمي للطاقة النووية التي يتحدث عنها المسؤولون الإيرانيون؛ أحياناً بصيغة الفتاوى، وأخرى بصيغة التطمينات السياسية، والسبب بسيط بالطبع، خلاصته أن إيران ليست فقيرة في مجال الطاقة حتى تذهب بجهودها وأموالها نحو مصدر ذي كلفة عالية وليس مجدياً من الناحية الاقتصادية.

في المقابل يبدو الخطاب الرسمي العربي حائراً في سياق تحديد موقف من البرنامج النووي الإيراني، ليس فقط لعجزه عن تبني موقف جماعي

من أي من القضايا السياسية المطروحة على أجندة المنطقة، بل أيضا لحرجه من استهداف ذلك البرنامج سياسيا في ظل الترسانة النووية الإسرائيلية التي يقول ظاهر الموقف أنها المحرك الأساسي لإنشائه، وبالطبع في ظل تحقيق نوع من التوازن العسكري في المنطقة.

لكن الموقف يزداد تعقيدا عندما يتذكر المحيط العربي أن أهداف البرنامج الإيراني تتعدى مواجهة القوة الإسرائيلية نحو توسيع إطار القوة على نحو يجعل من إيران لاعباً إقليميا كبيراً إن لم يكن الأكبر في المنطقة، وهي التي تتناقض مع الوضع العربي، ليس فقط على مسمى الخليج بين فارسي وعربي، بل أيضاً على ملفات داخلية شائكة تتعلق بأقليات شيعية في الخليج ترى طهران أنها مهمشة ومهضومة الحقوق.

في ضوء ذلك تختلف المقاربات العربية حول أفضل السبل في التعامل مع الملف النووي الإيراني، وبالضرورة حول الموقف الأمريكي منه، وبالطبع بين من يؤيد التوجه الأمريكي، أكان ظاهراً أم باطنا، وبين من يميل إلى الاكتفاء بالسكوت والمراقبة، وبين من يرى حق الإيرانيين في تطوير برنامجهم الذي يشكل خطرا على الدولة العبرية وليس على المحيط العربي. وفي العموم فقد وقف الوضع العربي الرسمي عند حدود موقف لا يتعداه يقول بضرورة جعل «منطقة الشرق الأوسط منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل»؟

كل ذلك بدا واضحا في القمة الخليجية الأخيرة التي لم تخرج بموقف مناهض للبرنامج النووي الإيراني، واكتفت بالحديث عن المشكلة البيئية التي يطرحها على دول الخليج. ولكن هل ثمة خطورة تذكر بالنسبة لذلك البرنامج على العرب والخليجيين على وجه التحديد؟

ليس ثمة إجابة واضحة ومحسومة على هذا السؤال، لاسيما وهي إجابة تعتمد على الموقف الأساسي من تصاعد القوة الإيرانية في المنطقة، وهي قوة تخيف الخليجيين، وبخاصة الدول التي تشعر بثقل الملف الشيعي الداخلي، كما هو حال البحرين والسعودية والكويت، فضلا عن الإمارات التي لها مشكلتها الحدودية مع إيران.

في أي حال، فإن الموقف مما يجري سيعتمد بالنسبة للجميع على مصير المطاردة الأمريكية الإيرانية بخصوص البرنامج النووي، وهي مطاردة تجري لحساب الأجندة الصهيونية التي حكمت واشنطن على نحو سافر خلال عهد جورج بوش الابن.

ربما بدا الوضع العربي مطمئنا إلى أن نتائج المطاردة الأمريكية ستفضي إلى شطب البرنامج النووي الإيراني ولو بالقوة العسكرية، ما يعني أن الموقف العربي لن يكون ذا قيمة في النزاع، والنتيجة هي انتفاء الحاجة إلى تبني موقف عدائي منه ما دام الموقف الأمريكي والدولي على هذه الحال.

والواقع أن هذه الرؤية لها سند كبير من المنطق والحنكة السياسية حتى لو مال التقدير الأصلي إلى القول بخطورة امتلاك إيران للسلاح النووي.

ولكن ماذا لو نجا الإيرانيون بسلاحهم النووي؟

من الواضح أن احتمالاً كهذا لا يبدو كبيرا وإن بقي واردا، وإذا وقع فله حيثياته المختلفة، ذلك أن مسار التراجع الإيراني في اللحظة الأخيرة سيبقى قائما ولا تنفيه التصريحات المتشددة. ما يعزز هذا التقدير هو الدهاء الإيراني التقليدي، وقدرة القيادة على «تجرع السم» في اللحظة المناسبة، إضافة أن الداخل الإيراني ليس منسجماً في تقديره لوسائل التعاطي مع الضغط الدولي.

في حال انتهت المعركة الإقليمية الكبيرة إلى بقاء السلاح النووي في يد إيران، فسيعني ذلك أن فوضى امتلاك هذا النوع من السلاح ستعم المنطقة، ما سيفقده أهميته مع الوقت، لاسيما في ضوء قدرة الدول العربية، لاسيما الخليجية على شرائه، أكان من روسيا مباشرة أم عن طريق الباكستانيين الذين يدركون أن للسعودية دينا عندهم وهي التي دعمت برنامجهم النووي منذ بدايته.

عمر أكثر الأسماء المطلوبة للقتل في العراق!!

مفكرة الإسلام - 19/4/2006

ارتفع عدد العراقيين السنة الذين قتلوا على أيدي المليشيات الشيعية ممن يحملون اسم عمر إلى 122 شخصًا بعد مقتل طالب في كلية الصيدلة اسمه 'عمر عبد العزيز' على أيدي مليشيات شيعية بعد اختطافه من أمام باب كلية الصيدلة والواقعة في حي اليرموك حيث وجد قتيلاً بعد تعذيبه في إحدى مكبات النفايات.
ونقل مراسلنا في بغداد عن الطبيب عبد الصمد حميد من دائرة الطب العدلي في بغداد قوله: إن عدد السنة الذين قتلوا منذ أحداث سامراء وحتى الأسبوع الماضي ممن يحملون اسم عمر بلغ حتى الأسبوع الماضي 122 شخصًا.
وأضاف أن ما نشره الإعلام الغربي قبل أيام من أن أربعة عشر شخصًا أسماؤهم عمر قتلوا هو كلام صحيح، لكن الذي لا يعرفه الناس أن الأربعة عشر هؤلاء هم وجبة واحدة فقط تم قتلهم في وقت واحد!!
هذا وتمكن مراسل مفكرة الإسلام في العاصمة بغداد من الحصول على الشهداء السنة الذين قتلوا خلال شهر آذار فقط من هذا العام وفي بغداد لوحدها وممن يحملون اسم عمر،وهم كل من: (أوردت المفكرة أسمائهم رحمهم الله ، الراصد) .
هذا وقد ذكر المصدر لمراسلنا أن الأسماء أعلاه قتلت بعضها بصورة جماعية والبعض الآخر بصورة انفرادية وذلك بعد اختطافهم من مدارسهم أو كلياتهم أو أماكن عملهم والتلذذ بتعذيبهم قبل قتلهم ورميهم في مناطق

تجميع النفايات أو الساحات العامة أو حتى في الشوارع.
وفي سؤال للمتخصص الأردني في الشئون الشيعية الأستاذ أسامة شحادة عن حقيقة مواقف الشيعة الصفويين الحاقدة على عمر بن الخطاب قال: إن ما يشهده العراق هذه الأيام من موجة قتل بشعة طالت المئات ليس على الهوية فقط بل على الاسم 'عمر' لا يمكن للمتابع إدراك حقيقة هذا الجريمة النتنة ولا توقيتها بمعزل عن الفكر والعقيدة الشيعية المحركة لمثل هذه المجموعات الشيعية المتطرفة والوحشية، وذلك أن الفكر الشيعي يحتفل في تاريخ 9 ربيع الأول 'بعيد بابا شجاع' وهو أبو لؤلؤة المجوسي قاتل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، وهو الشهر الذي تجري فيه حاليًا عمليات القتل الجماعية والوحشية لمن يحملون اسم 'عمر' .
فقد روى العالم الشيعي نعمة الله الجزائري في كتابه 'الأنوار النعمانية ' 1/108-111 عن ثواب يوم مقتل عمر بن الخطاب فقال: عن حذيفة قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع ولديه الحسن والحسين [عليهم السلام] يأكلون والرسول صلى الله عليه وآله وسلم يبتسم في وجوههما ويقول: هنيئًا لكما بركة هذا اليوم وسعادته فإنه اليوم الذي يقبض الله فيه عدوه وعدو جدكما ويستجيب دعاء أمكما، كلا فإنه اليوم الذي يفقد فرعون أهل بيتي وهامانهم وظالمهم وغاصب حقهم، كلا فإنه اليوم الذي يفرح الله فيه قلبكما وقلب أمكما.
وقد ذكر الأستاذ فهمي هويدي في كتابه 'إيران من الداخل' ص 313: في شهر يونيو 1985 تلقى أحد رجال الإمام ـ يعنى الخميني ـ مكالمة هاتفية بعد منتصف الليل من مجهول رفض أن يذكر اسمه ولكنه اكتفى بإبلاغه الرسالة التالية: لقد نجحنا في عقد مجلس 'لعن عمر' في مكان ما قرب طهران وفرغنا منه قبل لحظات وسوف ننتظر اليوم الذي يعود فيه احتفالنا 'بقتل عمر' .
وللشيعة أدعية مشهورة تحتوي تكفير ولعن ابن الخطاب كدعاء صنمي قريش الذي وقع عليه الخميني ودعاء زيارة عاشوراء والجامعة.
وفوق هذا أنشأ الشيعة موقعًا على الإنترنت خاصًا بتكفير وسب ولعن عمر بن الخطاب، أما 'بابا شجاع' فقد صنعوا له مقامًا في إيران، يزورونه ويحتفلون به كل عام !!
وقد ألف الشيخ محمد مال الله ـ رحمه الله - كتابًا في الموضوع اسمه 'يوم الغفران احتفال الرافضة بمقتل عمر بن الخطاب'.

وهذا الخبر وغيره كثير أبلغ رد على دعاة التقريب وأنصاره من سذج أهل السنة الذين يظنون أن هذه الطائفية هي ميراث تاريخي قد اندثر ولم يعد له وجود إلا في بطون بعض الكتب الصفراء، ثم هو رسالة إلى علماء السنة في جميع أنحاء المعمورة بخطورة السكوت على تلك الجرائم والمذابح لأهل السنة في العراق.
لمن أراد التوسع http://www.fnoor.com/books/book29.htm .

أسرار مهمة عن تفجير المقامات في سامراء

أكدت مصادر إيرانية معارضة أنها تمتلك معلومات وأدلة هامة حـول عملية تفجير مرقدي الإمامين علي الهادي والحسن العسـكري في مدينة سـامراء في 22 فبراير "شباط" الماضي.

وأفادت هذه المصادر أن العملاء الذين نفذوا هـذه الجريمة المشـينة كـانوا قد أجروا عملية استطلاع للمرقـدين قبل فـترة وجـيزة من التنفيذ اعتمـادا على أجهزة الاستخبارات الإيرانية القوية وحصلوا على المعلومـات المطلوبة للتفخيخ وكمية المـواد التفجيرية المطلوبة القـادرة على إحـداث الـدمار نظـراً لمقاومة المواد التي استخدمت في بناء القبة والمئذنتين.

وأوضـحت المعلومـات أن هـذه الإمكانية بالحصـول على المعلومـات عن المبنى تتوافر بشكل خاص لدى قسم في قـوات القـدس الإيرانية الـذي يتواجد وينشط بشـكل مباشر في المـدن والعتبـات المقدسة منذ عـامين تحت غطـاء تـرميم وصـيانة الأمـاكن المقدسة باسم "لجنة الكـوثر لإعـادة إعمـار العتبـات العراقية وإسـنادها" وبقيـادة عميد الحـرس "حـاج منصـور حقيقت بـور" وبهـذه الطريقة تـوافرت جميع المعلومـات الضـرورية للمجـرمين. ويشـار إلى أن مؤسسة الكوثر تم إنشاؤها غداة سـقوط الحكومة العراقية السـابقة كمؤسسة غـير حكومية (NGO)ـ من قبل قـوات القـدس لتشـكل غطـاء لنشـاطاتها في العراق.

وقد وفر عملاء قوات القدس أفضل غطاء ومناخ لنشاطاتهم الاسـتخباراتية والإرهابية في العـراق وذلك تحت غطـاء (حملة إعمـار وتـرميم الأمـاكن الدينية ونقل الزوار) ونظرا لأهمية دور هذه المؤسسة في العراق بالنسـبة لإيـران فقد عين قاسم سليماني قائد قوات القدس العميد حقيقت بور القيادي في الحرس لرئاسة هذه المؤسسة حيث كان منصور حقيقت بور يعمل قائدا لفريق إرهـابي تـابع لقـوات القـدس قوامه 5000 عنصر ينشط في تركيا وكـانت جميع النشاطات الإرهابية لقوات القدس في تركيا تـدار تحت إمرته منذ العـام 1993 وحتى العـام 2001. وظل على ارتبـاط وصـلة مباشـرة مع قائد قـوات القـدس قاسم سليماني ينفذ جميع مهامه تحت إشراف الأخير.

وبينت المعلومـات أن عناصر قـوات القـدس زاروا مرقـدي الإمـامين علي الهـادي والحسن العسـكري أكـثر من مـرة خلال العـام 2005 بذريعة تنفيذ مشاريع إنشائية ويتوافر لديهم استطلاع كامل عن هذه الأهداف ويدعي النظـام أن تنفيذ هـذه المشـاريع يشـمل بنـاء السـاحة، وسـحب الميـاه السـطحية من أطـراف المرقـدين وتـرميم كل من دار الضـيافة ودار الشـفاء وطلاء القبة والمئذنتين ومشـروع تطـوير السـرداب وبنـاء ضـريح له وتحـديث رخـام أرضـية المرقدين.

الجوانب الخفية لزيارة مقتدى الصدر(لإيران)

كريم ارغنده بور

مختارات إيرانية العدد 68 ـ مارس 2006

حظيت الزيارة الأخيرة التي قام به الزعيم الشيعي الشاب مقتدى الصدر إلى إيران باهتمام إيراني متباين، ففي حين أبدت الصحف المحسوبة على التيار الإصلاحي اهتماما ملحوظا بالزيارة، فضلت وسائل الإعلام التابعة لتيار اليمين ونواب المجلس، الصمت حيال هذه الزيارة، ويرى المراقبون للشأن العراقي في مقتدى الصدر شابا راديكاليا يمثل أحد أكبر التحديات التي يواجهها المحتلون للعراق. ومع الأخذ في الاعتبار قاعدته العريضة في منطقة النجف، وكذلك العقبات القائمة أمام استقرار النظام وتأسيس حكومة وطنية في العراق، فإن أي نوع من الدعم لمقتدى الصدر يمثل في الواقع نوعا من التأييد للراديكالية التي ستؤدي إلى نتائج ستؤثر على مستقبل العراق.

المنتقدون لدعم مقتدى الصدر يشيرون إلى أزمة الملف النووي الإيراني من طرف خفي. ومن ناحية أخرى، يرون أن هذا الدعم إذا كان يعني الابتعاد عن الجماعات التي يرون أن الأغلبية الحالية في البرلمان العراقي والحكومة العراقية القادمة مثل حزب الدعوة والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية وجماعات الأكراد، فإن هذا التوجه يُعد إجراءً غير مبرر.

ومن ناحية أخرى، فإن مقتدى الصدر الذي كانت مواقفه في السنوات التالية لاحتلال العراق يعتريها الكثير من التباين بين التشدد والتهاون، ومعظم مواقفه لم تكن نابعة من عقيدة راسخة، وخاصة فيما يتعلق بموقفه من المرجعية ومن بقية الجماعات الأخرى وعلى رأسها الطوائف الشيعية، وموقفه من النزاعات الإقليمية، وطريقة الخروج منها، وصولاً إلى موقفه من إيران، لم يكن لديه موقف ثابت من شيء سوى مناهضة الاحتلال. لقد كان يتصور في البداية أن وجوده كقوة مسلحة يمكن أن يكون ذا أثر على ميادين القتال في العراق، لكنه أدرك فيما بعد أنه سيقاتل بمفرده، وأنه لن يحصل على أي مساعدة من بقية الجماعات، بل إن تعداد معارضيه صار في تزايد مستمر، فأعلن أن رأي المرجعية أعلى من القانون والاتفاقات السياسية، ولكنه وقبل غيره فعل أشياء تخالف أوامر المرجعية.

إن الأوضاع في العراق تؤكد صحة المقولة القائلة بأن "الوجود في بيئة سياسية مغلقة تحكمها قواعد صارمة يجعل القوى الأحادية التي لا تحظى بقدر كبير من التحالفات مع غيرها من القوى الأخرى، أكثر عزلة وغير قادرة على لعب الدور المناسب في هذه الساحة".

في الوقت نفسه، يجب القول بأن مجريات الأمور في السنة الأخيرة في العراق تشير إلى أن مواقف مقتدى الصدر صارت أكثر مرونة مما كانت عليه في الماضي، وصار هو نفسه أكثر توافقاً مع الواقع في العراق. لقد انتهج مقتدى الصدر في الانتخابات العراقية الأخيرة نهجا أكثر اعتدالاً مما كان في السابق، وهو يسعى حاليا إلى أن يحصل على نصيبه في توازنات الحكومة القادمة.

ثمة دلائل عدة تشير إلى أن مقتدى الصدر قد أدرك أن دوره المؤثر في مستقبل العراق يجب أن يكون من خلال الطرق السياسية وليس من

خلال المعارك المسلحة، وهو الأمر الذي يجب أن ترحب به إيران. وكاتب هذه السطور لا يسعى إلى نفي مخاوف المنتقدين لزيارة مقتدى الصدر إلى إيران وإنما يطرح بعض النقاط التي تم إغفالها تحت وطأة النقد الذي أعتيد توجيهه لموقف الحكومة الإيرانية الحالية، ولعل تلك النقاط تساعد على تحليل أكثر عمقاً للتطورات الجارية:

1ـ إن زيارة مقتدى الصدر لم تكن للجمهورية الإسلامية الإيرانية وحدها، فهو قبل مقدمه إلى إيران شارك في مراسم تأبين أمير الكويت، وأجرى مباحثات مع كبار المسئولين الكويتيين على هامش زيارته. والتصريح الذي أدلى به مقتدى الصدر في طهران بأنه في حالة الهجوم الأجنبي على إيران فسوف يدافع عنها، هو التصريح نفسه الذي أدلى به في الكويت، حيث ذكر أنه سيدافع عن أي جار له في حالة تعرضه لهجوم.

وبعد زيارته لإيران التقى بكبار المسئولين السعوديين، كما وردت أخبار أن لديه برامج أخرى لزيارة عدد من الدول الإسلامية بالمنطقة. ولو أن زيارة مقتدى الصدر وجولاته كانت لإيران فقط في هذه المرحلة لكانت المخاوف المطروحة حالياً على قدر كبير من الصحة، ولكن طالما أن هذه الزيارات قد امتدت إلى عدد آخر من الدول، ومن بينها دول حليفة للولايات المتحدة وغير شيعية، فإن الأمر يجب أن يفسر على نحو آخر، حيث يُعبر عن قرار مُتخذ على نطاق أوسع من حدود الدولة الواحدة.

2ـ على عكس الادعاءات التي راجت في الفترة الأخيرة والقائلة بأن زيارة مقتدى الصدر لإيران قد أحدثت ردود فعل دولية متشددة ضد إيران، يجب القول إن الواقع لا يؤيد مثل هذه الادعاءات. وما من شك في أن أخبار هذه الزيارة قد تم تتبعها على نحو موسع بسبب الحساسية العالمية تجاه قضية العراق، ولكن الأمر يختلف عن معنى رد الفعل السلبي الدولي.

ولعل هذه النقطة يمكن أن تشير إلى تساؤلات أكثر قيمة، وهي هل كانت زيارة مقتدى الصدر والمباحثات التي عقدها مع كبار مسئولي الجمهورية الإسلامية في إيران محاولة لتهدئة الأوضاع المتوترة في العراق وكبح جماح النزاع فيه، وخطوة نحو خلق الاستقرار وتمكين حكومة عراقية قوية في المستقبل، ما من شك في أنه إذا حدث اتفاق حول هذه الأمور فسوف يكون في صالح الجميع.

3ـ إن المصالح القومية مبدأ أساسي في وضع السياسات الخارجية لجميع الدول، ولا توجد أساليب محددة للحفاظ على هذه المصالح، خاصة في العصر الحالي، حيث تستباح جميع الأساليب والوسائل التي كانت غير معروفة في الماضي شريطة الحفاظ على المصالح القومية.

وإذا كان التباحث مع الأعداء من أجل الوصول إلى حل لإنهاء النزاع أمر مقبول في السياسات الدولية فإن التباحث مع أي فرد أو جماعة تستطيع خلق ثبات في مستقبل العراق لا يُعد أمراً غير منطقي فحسب، وإنما يصب كذلك في صلب المصالح القومية لجميع جيران العراق، وإذا كانت زيارة مقتدى الصدر تمثل خطوة في هذا الإطار فإنها تستحق الدفاع عنها وليس معارضتها.

مقتدى الصدر: لم أعد أفهم الشيعة!

د. هاشم حسن باختصار: الوطن العربي ـ 14/4/2006

مع تصاعد الصراعات السياسية بين الأطراف العراقية الإسلامية والعلمانية، ترددت بعض الاتهامات عن تصرفات جيش المهدي الذي يشرف عليه الزعيم الشيعي الشاب مقتدى الصدر، لاسيما أن أغلب عناصره من الطبقات المسحوقة في المجتمع العراقي وتتخوف العديد من الطبقات الاجتماعية والسياسية من صعودها.

وقد وصلت للصدر ملاحظات كثيرة عن سلوك المحسوبين على مكاتبه وجيشه فاستغل أحد اللقاءات الخاصة في بيته بمدينة النجف الأشرف ليعبر صراحة عن هواجسه وانطباعاته وامتعاضه بشأن ما يجري في الساحة العراقية.

ولأهمية هذا الحديث الذي يسلط الضوء على تصرفات المحسوبين على رجال الدين تنشر "الوطن العربي" النص الحرفي لهذا الحديث المهم الذي يطوي بين سطوره إشارات بليغة عن الوضع في العراق.

بداية قال السيد مقتدى الصدر: إن الدور الأساسي للعلماء الناطقين في الحوزة العلمية هو رضا الله سبحانه وتعالى أولا ورسوله وآل بيته ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ فإذا كنا سائرين على خطهم ونهجهم يجب أن يكون طريقنا نفس طريقهم وألا نتعدى حدود الله لا من قريب ولا من بعيد وأن تكون نية أعمالنا لله خالصة لا للدنيا ولا لزخرفها وشركها وحبالها، فلعلك تعمل في مكان صالح ونيتك غير صالحة فبئس العمل ولا ثواب عليه، ولعلك تعمل في مكان طالح ونيتك صافية كعلي بن يقطين (ابن يقطين كان وزيرا في بلاط الخليفة العباسي هارون الرشيد لكنه كان في السر يتعاطف مع ذرية الإمام علي بن أبي طالب خاصة موسى بن جعفر الذي تعرض لاضطهاد الرشيد).

علي بن يقطين (علي هذا وزير شيعي خائن للخليفة السني ، انظر بحث ولاء الشيعة لمن . الراصد)

وأضاف: قد تحصل بعض الثوابات إن صح التعبير وتحتمل فيها أشياء سلبية وإيجابية ولكن هذا ليس معناه أن تكون كعلي بن يقطين وهذا استدراك فليس من المعقول أن يكون كل جيش المهدي شرطة أو جيشا... لا.. هذا ليس شرطا لأن ابن يقطين كان واحدا من بين آلاف الشيعة وهذا لا يعني أن يتحول الآلاف من الشيعة إلى علي بن يقطين.

فالصحيح أن الذي كان فيها يصبح علي بن يقطين ونرجو ألا يفسر الكلام بتفسير غيره. وللأسف هنالك قيادات كبيرة لها حجمها تصغر من نفسها، المهم أن تكون نية العمل في مسيرتنا خالصة لله تعالى، فإذا كانت هكذا فبإمكانك أن تقدم شيئا معينا ذا فائدة للأمة...

هناك الكثير من الحوادث تحدث للأسف ويشيب لها شعر الرأس.. فالحوزة عندما لا يكون لديها مال ولا تستطيع أن تسدد لك راتبا فهل تقف

معها أو ضدها أو تتعطل عن العمل؟! فبعضهم إذا لم تضعه مديرا لمكتب الشهيد الصدر فإنه يقرر عدم دخول المكتب، وآخر إذا لم تنسبه إماما للجمعة فلن يحضر صلاة الجمعة.. وإذا لم تعطه راتبا فلن يتواصل معك، وكأن عمل الحوزة وظيفة حكومية.

هذا الكلام أقصد به الجميع رغم وجود عمل صالح وجاد... وبينهم من هو محسوب على مكتبي فهنالك بعض عناصر الحماية تأخر صرف رواتبهم، ولكننا للأسف ضبطنا بحوزتهم مجموعة من الأدوية أخذوها من مذاخر جيش المهدي بدون علمنا، وحين واجهناهم بالأمر قالوا إن ذلك بدلا من مرتباتنا التي لم تصرف، إن هذا تصرف خاطئ، فنحن لا نريد أن نشيع أساليب الحواسم! التي جرت بتبرير مجهول المالك (الصدر يشير بذلك إلى عمليات السلب التي أعقبت الحرب الأخيرة على العراق والتي أطلق عليها صدام حسين معركة الحواسم)..

ولعله من الغريب أن تكون مخلصا وتدافع بدمك وأنت لا تلتزم بدينك، عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم منه الله.. لقد جاهدت بالأصغر وعليك أن تجاهد الجهاد الأكبر كلنا ابتدأنا على هذا المنهج، اسع للجهاد الأكبر دون تطرف أو دعوات غير معقولة أو مقبولة تحت تسميات التكاليف وغيرها، وعلينا أن نقتدي برسولنا وآل بيته، ولي بعد ولي، وصالح بعد آخر، ومرجع بعد مرجع، هم رسموا لنا طريقا واضحا، فهل نضرب بكل هؤلاء عرض الحائط ونتأسى بالدنيويين؟!

واعلموا أن التيار العلماني قوي جداً وبإمكانه أن يجرفكم دون علمكم فتصبحون علمانيين وأنتم غافلون.. والبعض يدعي أن الظروف المعاشية تحسنت بعد سقوط الهدام (صدام) ويفترض أن تتحسن ظروفنا نحن أيضا، فيطالب بأن يستبدل سيارته القديمة بأخرى حديثة... ـ أنا لا أعرف الماركات الجديدة المستوردة ـ بدعوى التلاؤم مع المجتمع ولكن إذا كنت تتلاءم مع حالة المجتمع في الصعود.. فلماذا لم تتلاءم معه في مرحلة التسافل المادي؟ فالعدالة أن تتكامل مع المجتمع في الحالتين التسافل والتكامل المادي.

وداعاً للزهد

وأضاف: لقد أصبح من العجيب أن ترى أصحاب العمائم يأكلون الخبز اليابس والماء الحار كما كانوا سابقاً زاهدين، هذه الظواهر انعدمت، وأصبحت الحوزة العلمية في النجف الأشرف للأسف خاوية، وأصبح حرم أمير المؤمنين على بن أبي طالب فارغا ومهجورا، وهذا حرام ولا يجوز أن نترك الحوزة ونسعى لأمور دنيوية بتبرير تكاثر الأعداء.. وهذا ليس عذرا لأننا بالإمكان أن نكون أكثر تأثيرا.. ولا نتأخر عن أداء واجب مقدس مثل أعمال الحوزة.

وسأل أحدهم السيد مقتدى.. وماذا نفعل؟.. وأجاب: مرة أخرى نؤكد على مسألة التعمق بالعلوم.. فلا يمكن أن نطالب بالوصول لعضوية مكتب الشهيد الصدر ونحن مازلنا في مراحل الدراسة الأولية لم ننه دروس السطوح، فهذا أمر صعب وغير جائز.. لأن هذه المكانة تجعلك وجها لوجه أمام الجمهور وعليك أن ترد على أسئلتهم في الدين والسياسة والاقتصاد

والشؤون الأخرى.. وإذا كنت لا تعلم فهذا إحراج لك وإساءة لسمعة مكاتبنا..

الدخول إلى الحوزة أو المكاتب يتم بالتكامل العلمي، فهذا ضروري، والعلم والتعلم والزهد واجب وفرض، فدينك يقول لك تعمق في الدرس ولا تذهب لتجلس على كرسي دوار في مكتب الشهيد الصدر وتضيع وقتك في مكالمات بموبايل حديث على مدى 24 ساعة.. إنما الواجب أن تهدي مجتمعك وتبدأ بهداية نفسك وتثقيفها.

وللأسف انعدمت الثقة بين أفراد المجتمع فلا أحد يثق بالآخر، وليس هنالك من يسمع كلام الآخر فمهما أمرته بالمعروف، فلن يسمعك في هذا الظرف أحد، والسبب لأنك لم تقوم نفسك ويعرف المجتمع هذه الحقيقة.. فصلاح المجتمع يبدأ بصلاح أنفسنا.. نحن بحاجة لنواة صالحة وللأسف لم تتوافر بعد..

إياكم والسياسية

وماذا عن السياسة؟

لا نريد أن نتدخل بالسياسة، ونحول مكاتبنا إلى مكاتب سياسية ومنذ هذه اللحظة نحرم عليكم التعاطي مع السياسة ويترك هذا الأمر لنا وللأسف فإن كثرة التصريحات من هذا الطرف وذاك جعلتنا (ملطشة) أمام الآخرين، وهذا خطأ فادح، فالسياسة محرمة عليكم ولا يجوز التدخل بها ويجب أن تكون مكاتبكم عقائدية وأخلاقية وإصلاحية، وبدون ذلك فإن إغلاقها أفضل لكي نستريح!

الأمر الأكثر أهمية هو نبذ الطائفية بكل أشكالها وعدم الاقتراب منها، بالفعل أو اللسان أو أية حركة ولا بالسلاح ولا بالكتاب أو المقال ولا حتى بكلمة واحدة.. وعلينا في خطابنا أن نميز ونفرق ما بين النواصب وأهل السنة ولا نلصق التهم بالسنة..

وعلينا أن ندرك أن التكفيريين لهم وجود بين الطرفين السنة والشيعة أيضا، وإذا كنت تعتقد أن الشيعة أغلبية والسنة أقلية فإن هذا لا يعطيك الحق شرعا وقانونا وأخلاقا أن تتجاوز عليهم.. فلو هذا يصح لقبلنا تصرفات النظام السابق ولم نعترض عليها..

الأكثرية التي تدعي الحق وتعتقد أنها الفرق الناجية المطلوب منها أن تحترم الأقليات وتهدي الجميع بالطرق الصحيحة.. وليس أن تنفر الناس بسبب اللسان والقلب المليء بـ "الوساخة"! وساخة الدنيا التي انغمسنا بها كلنا بدون استثناء إلا المعصومين..

وأكرر ألف مرة عدم استخدام تسمية (مقتدائي) لأنها خطأ بل كفر.. وعليك أن تبصق بوجه من يرددها والصحيح (صدري) لأنه اسم التيار فلا يجوز ذكر الفرع وترك المؤسس.

سبحان الله، لم أعد أفهم الشيعة فإن ديدنهم غريب، اتبعوا محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) وحين استشهد نسوه فذكروا علي بن أبي طالب وعندما ذهب ذكروا الحسين... وحين استشهد ذكروا الإمام المهدي.. وعندما جاء محمد باقر الصدر المرجع الناطق ذكروه وأحبوه

وبعد أن استشهد تمسكوا بمحمد صادق الصدر وعندما راح الصدر تركوه وأمسكوا بمقتدى وهذا غير صحيح، إنما المطلوب أن نمشي على خطا هؤلاء جميعا خطوة خطوة، واحدة تكمل الأخرى، فنحن سقاة لتلك البذرة خاصة آل الصدر، إننا لا نعمر وبمجرد أن تبذر البذرة نذهب، فحين يظهر أي مصلح يتكالبون عليه ويخفونهم بكل الطرق، وإذا كنت غير محب لمقتدى الصدر فلا يجوز لك أن تشوه سمعة محمد الصدر أو الحوزة.

واختتم الصدر كلامه بقوله: متبعو مذهب أهل البيت أصبحوا الآن في الخارج خونة وعملاء، أما النواصب فأصبحوا مجاهدين ـ سبحان الله ـ .. يا أخي أرفض الباطل بكل ما أوتيت من قوة لكن ليس بالسلاح.. لا أريد أن تنصبوا سيطرات، وتحملوا السلاح وتأخذوا رهائن، هذا أسلوب قذر، أسلوب مستهجن، فمن يفعلها من جيش المهدي قبحه الله وهو ليس من جيش المهدي، وإذا كانت الحكومة عاجزة عن ردعه أو الأميركان فنحن لا نخاف ونعرف كيف نردعهم بقوة ولكننا ما زلنا ندعو للعودة إلى أصول الدعوة فالأئمة لم يستطيعوا هداية أحد لولا أسلوبهم الكريم، القرآن يقول (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك).

لا تضع المجتمع بين المطرقة والسندان، لا تضعه بين خيارين حرجين وتجبره على اتباع منهجك، بل عليك أن تضعه بين خيارين صحيحين فأيهما اختار نجا، ولا تفسد وكن صالحا حتى تصلح، ولا تستنكف عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والذي يستنكف عن سمع المعروف هم كالأنعام بل هم أضل سبيلا.. وهذا الكلام على نفسي أولا ومن ثم لكم، كلنا خطاءون وأحسننا التوابون.. والحمد لله رب العالمين.

(نأمل أن يكون مقتدي قد تغير وهذا " التسامح مع السنة حقيقة لا تقية و لغايات النشر الإعلامي . الراصد) .

عقدة الحكومة العراقية!

صالح القلاب – الرأي 4/4/2006

الجانب الأساسي بالنسبة لعقدة تشكيل الحكومة العراقية التي كان يجب تشكيلها منذ أربعة شهور، أي بعد الانتخابات البرلمانية الأخيرة مباشرة، سببه المأزق المتفاقم داخل القوى السياسية الشيعية المحسوبة على إيران نفسها وهي: «المجلس الأعلى للثورة الإسلامية» بقيادة عبد العزيز الحكيم و«جيش المهدي» بقيادة مقتدى الصدر وحزب الدعوة برئاسة الدكتور إبراهيم الجعفري الذي يرفض التنحي ويصر على أنه الأحق من غيره في تبوء منصب رئيس الوزراء.
إن هذه القوى الثلاث، وجميعها مقربة من إيران بنفس المسافة، تتصارع ليس على تشكيل الحكومة الجديدة وإنما في حقيقة الأمر على الزعامة

المذهبية وأيضا السياسية لشيعة العراق وهذه مسألة وفقا للتقاليد الشيعية في غاية الأهمية ولقد بقيت عامل تقارب وتباعد داخل هذه الطائفة الكريمة على مدى تاريخ طويل يبدأ باستشهاد خليفة المسلمين الرابع الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وبقي مستمرا حتى الآن. على مدى المسيرة احتدمت صراعات دامية وظهرت فرق كثيرة ادعت كل منها أحقية الإمامة لإمامها من بينها الفرقة الإسماعيلية التي أقام عبد الله المهدي، بعد انتقاله من بلدة السلمية في سوريا إلى تونس دولة لها هي الدولة الفاطمية المعروفة التي انتقل مركزها إلى مصر وأصبحت عاصمتها قاهرة المعز لدين الله الفاطمي.

الآن لا يحتدم الصراع على الإمامة، فهذه مسألة غدت محسومة بالنسبة للمذهب الجعفري الإثني عشري، وإنما على المرجعية وهذا يشمل العراق وإيران ولبنان وحيث لهذه الطائفة الكريمة تواجد كبير إن في المنطقة العربية وإن خارجها.. ففي إيران كان هناك صراع على المرجعية، التي هي مركز ثقل ديني واقتصادي وبالتالي سياسي، حتى في حياة الإمام الخميني رضي الله عنه وفي العراق فإن قتل السيد عبد المجيد الخوئي بصورة في غاية البشاعة وداخل الصحن الحيدري في النجف الأشرف في الأيام الأولى من الغزو الأميركي كان تجسيدا دمويا لهذا الصراع.

لقد بقي السيد مقتدى الصدر، قبل الغزو وبعده والى الآن، يعتبر أن عائلته هي الأحق بالمرجعية وبزعامة الطائفة الشيعية في العراق ولذلك وبعد تراجع تأثير عائلة الخوئي بعد مقتل السيد عبد المجيد الخوئي فإن صراع الصدريين بالنسبة لهذا الأمر غدا مع عائلة الحكيم التي انتقلت زعامتها من السيد محمد باقر الحكيم بعد قتله ، بطريقة لا يزال يلفها الغموض، إلى السيد عبد العزيز الحكيم الذي هو الآن رئيس المجلس الأعلى للثورة الإيرانية والقائد الفعلي لقوات بدر التي تعتبر كفة الميزان الأخرى مقابل جيش المهدي.

وهكذا ولأنه شعر بأن ترشيح عادل عبد المهدي، الذي هو عضو قيادي في المجلس الأعلى للثورة الأسلامية، سيخل بموازين قوى زعامة الطائفة الشيعية في العراق فقد ألقى مقتدى الصدر بثقله إلى جانب الدكتور إبراهيم الجعفري وضمن له بفرق صوت واحد أن يكون مرشح «الائتلاف» الشيعي وهذا بالطبع لم يرض عبد العزيز الحكيم فدخلت عملية تشكيل الحكومة الجديدة في هذه الدوامة التي ازدادت تعقيدا بدخول عوامل أخرى كثيرة عليها من بينها العامل الكردي والعامل السني وعامل التيارات العروبية العلمانية الملتفة حول الدكتور إياد علاوي.

الجعفري قطعة صغيرة في لعبة الصراع الكبيرة على الزعامة الشيعية

عدنان حسين - الشرق الأوسط

كان وجه إبراهيم الجعفري ضاجّا بعلامات الشعور بالهزيمة، أكثر من وجه عادل عبد المهدي، مع أن الأول هو الذي «فاز» على الثاني في المنافسة الشرسة داخل «الائتلاف العراقي الموحد»، للترشح إلى منصب رئيس الوزراء في الحكومة العراقية الجديدة.
وعندما تقدم عبد المهدي إلى الجعفري لتهنئته بـ«الفوز» ـ وهذا كان يُنقل إلينا على الهواء مباشرة من بغداد ـ قال له الجعفري «يجدر بك أن تعزيني في هذا الموقف وهذا الامتحان». ولما سأله احد الصحافيين عن سبب علامات الحزن البادية على وجهه بدلا من علامات الفرح والسرور، ردّ الجعفري قائلا «ابتسامتي ستكون اعرض لو كنت أعفيت من عظم المسؤولية التي اختارني الشعب أن أتولاها أمام الله».لا أظن أن ذلك كان صحيحا، فالجعفري كان يدرك انه في ذلك اليوم، الثاني عشر من شباط (فبراير) الماضي، بدأت معركته الحقيقية من اجل الاحتفاظ بمنصبه ولم تنته، حيث فاز الجعفري بتأييد 64 عضوا من نواب «الائتلاف» الشيعي، مقابل 63 لعبد المهدي. والجعفري كان يدرك أكثر من غيره أن معارضيه داخل «الائتلاف» ليسوا فقط قوة تصويتية معتبرة (50% تقريبا) ـ ستضاف إليها قوة معارضة الكتل الأخرى ـ وإنما هم أيضا قوة نوعية، تضم «المجلس الأعلى للثورة الإسلامية»، الأكثر نفوذا بين الأحزاب الشيعية التي عارضت نظام صدام حسين، وحزب الفضيلة الصاعد والقسم الأكبر من كتلة المستقلين، فيما اعتمد فوزه على القوة التصويتية لأتباع مقتدى الصدر، وهي قوة غير مضمونة على الدوام، بل هي رجحته لغاية أخرى.أكثر من هذا أن الجعفري كان يعلم علم اليقين أن الانشقاق الكبير داخل «البيت الشيعي»، الذي أحدثه إصراره على ترشيح نفسه سيسعّر الصراع الناشب بين آل الحكيم وآل الصدر على السلطة والنفوذ داخل الطائفة الشيعية في العراق.
على مرّ القرون كان الصراع على زعامة الشيعة في العراق قائما وله امتدادات إلى إيران والخليج وجنوب لبنان. وفي القرن الماضي بعدما تمتع الشيعة والمؤسسات الدينية بقدر كبير من الحرية، اثر قيام الدولة العراقية الحديثة (المملكة الهاشمية) ـ بالمقارنة بالقمع والعسف الذي عانوا منه منذ عهد الأمويين حتى انهيار الدولة العثمانية ـ انفتحت آفاق أرحب أمام هذا الصراع في ظل اتساع حجم الموارد المالية للعتبات الشيعية المقدسة وللعائلات التي تديرها وللحوزات الدينية في النجف وكربلاء والكاظمية. وفي كثير من الأحيان انطوى هذا الصراع على إراقة الدماء والغدر والتآمر والخيانة.
ظلت الأحزاب والمؤسسات والهيئات الشيعية تنتظر انهيار نظام صدام لتنطلق في سباق محموم نحو تكريس ما كان كل منها يحلم به، وهو زعامة الطائفة بكل ما تعنيه من فرض السلطة السياسية والنفوذ المالي والاجتماعي. وعشية الانهيار، كانت ساحة هذه الزعامة في النجف خالية.. آل الحكيم وآل الخوئي في الخارج، وآل الصدر من دون شخصية كارزمية. وفي لحظة سقوط الصنم في ساحة الفردوس ببغداد اندفع آل الصدر إلى شوارع النجف ليمسكوا بصولجان الزعامة قبل عودة آل الحكيم من إيران، وفي طريق اندفاعهم اكتشفوا إن عبد المجيد الخوئي قد عاد منذ

أيام الى المدينة من لندن، فنُحر بالقامات وسُحل في الحال داخل الحضرة الحيدرية وفي شوارع مدينته الأثيرة، مع أن عبد المجيد ـ وهذا ما كنت شخصيا أعرفه عنه ويعرفه كل معارفه ـ لم يكن يرغب في أي دور سياسي أو حتى ديني، وقد اعرض عن كثير من العروض «المغرية» وكان اكثر ما يحلم به ـ قبل ان يجد نفسه مضطرا لخلافة شقيقه المغدور في عهد صدام، محمد تقي، في إدارة مؤسسة الخوئي، أن يصبح رجل أعمال.لم يزل الجعفري يبدو حزين الوجه، مثلما كان يوم فوزه في الترشيح، لأنه يدرك أكثر من غيره انه صار قطعة صغيرة في لعبة كبيرة تتجاوزه وتتجاوز المنصب الطامع فيه.. أنها لعبة الصراع على الزعامة الشيعية، التي لن ينعقد لواؤها عليه، وإنما على آل الحكيم أو على آل الصدر. وهذا سرّ الحكاية.. حكاية الأزمة السياسية الراهنة في العراق.

شيعة العراق ما بين النفوذ الإيراني والتأثير الخليجي

أشرف محمد كشك

مختارات إيرانية باختصار وتصرف يسير (العدد 68) ـ مارس 2006

يمتلك الشيعة مجموعة من الآليات التي تمكنهم من التأثير في المعادلة العراقية، وتنبع هذه الآليات من نسبتهم العددية بين السكان العراقيين، ويتمركزون بالأساس في الجنوب، كما يوجدون أيضاً في الوسط، وعقب الغزو الأمريكي للعراق استطاع الشيعة التغلغل في مؤسسات الدولة العراقية مما أثار الدول المجاورة، خاصة الدول الخليجية الست لعدة اعتبارات:

أولها: تحتوي تلك الدول على نسب متفاوتة من الشيعة ، وبالتالي أثيرت المخاوف لدى تلك الدول، انطلاقاً من معاناتها من المد الشيعي في أعقاب الثورة الإيرانية عام 1979، وهو الأمر الذي عبر عنه بوضوح وزير الخارجية السعودي سعود الفيصل، حيث حذر من تزايد "النفوذ الشيعي الإيراني في العراق".

وثانيها: تعد الدول الخليجية الست أكثر تأثراً بما يحدث في العراق، حيث ظل العراق لعقود أحد مصادر التهديد الرئيسية.

وثالثها: ما يحدث في العراق سيكون له تأثير بالغ على المنطقة ككل التي تعاني من خلل أمني واضح.. وتستهدف تلك الرؤية بحث الصعود الشيعي في العراق من حيث النفوذ الإيراني والأثر الخليجي.

أولاً ـ الواقع الراهن للشيعة في العراق وآليات تأثيرهم:

1ـ الواقع الراهن للشيعة في العراق:

الشيعة يتمركزون بالأساس في جنوب ووسط العراق، وقد كانت تلك القوة العددية سبباً رئيسياً في اعتماد الولايات المتحدة عليهم بعد غزو

العراق، وهو ما تلاقى مع الرغبة الشيعية ذاتها، حيث رأى الشيعة أنه ينبغي أن تكون لهم الأولوية في إدارة العراق بعد حرمان وتهميش لعقود طويلة، ومن ثم فقد بدا تأثيرهم ووجودهم واضحاً سواء في مجلس الحكم الانتقالي، حيث حصلوا على 13 مقعداً بنسبة 56 % كما نالوا 13 حقيبة في تركيبة الحكومة العراقية المؤقتة في مقابل 10 حقائب مناصفة بين السنة والأكراد، واثنتين مناصفة بين التركمان والمسيحيين.

وقد لوحظ تأثير الشيعة الواضح في العراق من خلال اعتراضهم على كيفية اختيار الحكومة واللجنة الدستورية والمجلس التشريعي الانتقالي، فضلاً عن فوز قائمة الائتلاف العراقي الموحد (الشيعية) بأغلبية مقاعد الجمعية الوطنية المؤقتة خلال الانتخابات التي أجريت في يناير 2005، إضافة إلى ارتفاع نسبة مشاركة الشيعة في الاستفتاء على الدستور، سواء في محافظات الجنوب التي تقطن بها أغلبية شيعية أو في الوسط، حيث تعدت نسبة الموافقة في الكثير من الأحايين نسبة الـ 90%، بالإضافة إلى ترشيح الكتلة الشيعية إبراهيم الجعفري رئيساً للوزراء في تشكيل الحكومة الجديدة خلال شهر فبراير الماضي.

وتتمثل القوى الشيعية الرئيسية في العراق فيما يلي:

1ـ الحوزة العلمية: وقد تأسست في النجف الأشرف وكربلاء وسامراء في القرن الخامس الهجري، ويقودها حالياً آية الله على السيستاني ويستمد مكانته من أمور ثلاثة، **أولها**: مكانة مدينة النجف الأشرف، **وثانيها**: تعداد شيعة العراق ، **ثالثها**: أموال الخمس التي تعطي للمراجع الدينية استقلالاً اقتصادياً عن الدولة.

2ـ المجلس الأعلى للثورة الإسلامية: وقد تأسس في إيران في عام 1980 وترأسه محمد باقر الحكيم قبل اغتياله في 29 أغسطس 2003، وهو ليس حركة سياسية بقدر ما هو تجمع نخبوي دون برنامج سياسي واضح.

3ـ الأحزاب والحركات المنظمة: ويأتي في مقدمتها حزب الدعوة الإسلامية ومنظمة العمل الإسلامية وهي جماعات ليس لها جماهيرية وبها انشقاقات داخلية عدة.

4ـ تيار الصدر: ويقوده مقتدى الصدر بعد مقتل الصدر الأب عام 1999، وقد نجح هذا التيار في إنشاء ميليشيات خاصة به، وله خلافات عدة مع تيار السيستاني وتيار الحكيم، ويلاحظ أن تلك التيارات ليست جبهة واحدة.

2ـ آليات تأثير شيعية العراق:

تعد دول مجلس التعاون الخليجي أكثر الدول تأثراً بالعامل الشيعي في العراق، خاصة أن تلك الدول تضم مجموعات شيعية مختلفة، وقد بدأ التشيع في الظهور في تلك الدول في ظل سياسة شاه إيران رضا بهلوي المركزية التي تسببت في تهجير عرب إيران إلى مناطق واسعة بالبصرة والكويت والسعودية والبحرين.

ولعل مصدر تأثير شيعة العراق في نظرائهم بدول الخليج هو أن الأخيرة خالية من أي مرجع شيعي. ورجال الدين الكبار من الشيعة هم في الأصل "وكلاء" للمراجع المقيمين في النجف أو قم أو بيروت، وبالتالي فإن وجود دولة يهيمن عليها الشيعة أو دولة شيعية في جنوب العراق قد يجعل الشيعة في الدول الخليجية الست منجذبين إليها، ومن ثم فإن أي فتوى تصدرها الحوزة العلمية المقبلة ستكون دستوراً وقانوناً على سائر شيعة المنظمة، وسوف تستطيع تحريك الملايين من الشيعة بكل سهولة، لاسيما وأن الحوزة في هذه الحالة سوف تعتبر مرجعاً دينياً وربما سياسياً لشيعة الخليج.

ويتطلب هذا الأمر التعرف على التنافس التقليدي بين مدينتي "النجف العراقية" و "قم الإيرانية"، حيث ظل هذا التنافس لعقود طويلة في دائرة التنافس على المرجعية الشيعية، فقبل عام 1979 كانت مدينة النجف التي تبعد عن بغداد نحو مائة وستين كيلو متراً تمثل المرجعية الشيعية، إلا أنه بعد انتصار الثورة الإسلامية في طهران عام 1979 تزامنت معها إجراءات تعسفية مارستها الحكومة العراقية في بغداد ضد النجف وعلمائها بلغت ذروتها باغتيال محمد باقر الصدر، وبالتالي بدأت مدينة قم الإيرانية تأخذ الدور الريادي للمرجعية، وذلك حتى سقوط النظام في العراق عقب الغزو الأمريكي في مارس 2003، مما أدى إلى إثارة قضية إمكانية انتقال المرجعية لمدينة النجف الأشرف مرة أخرى.. ويرتبط شيعة الخليج بالمراجع الشيعية من خلال تقديم أموال الخمس وهي "واجبات مالية دينية" وتقدر بمئات الملايين من الجنيهات.

وهنا تجدر الإشارة إلى الدور الإيراني المهم في صعود الشيعة في العراق، حيث يشير أحد استطلاعات الرأي التي أجريت في العراق في شهر مايو عام 2005 حول دور إيران في نشوب حرب أهلية في العراق. فقد رأى 50.9% من المستطلعة آراؤهم أن إيران هي الدولة المجاورة التي يمكن أن تؤجج حرباً أهلية في العراق، تليها سوريا بنسبة 17% وتركيا بنسبة 13.2%، بالإضافة إلى ما كشفته تقارير استخباراتية بريطانية من تدفق أطنان الأسلحة إلى سكان المنطقة الشيعية الأوسع في جنوب العراق في سعيها لقيام إقليم شيعي شبه مستقل يمتد من الحدود الجنوبية الأقصى مع الكويت حتى مناطق الكثافة الشيعية داخل العاصمة بغداد، ويدعم ما سبق تأكيد الشيخ ضياء الشكرجي العضو القيادي البارز في حزب الدعوة الإسلامية بالعراق بالقول أن "إيران هي الخطر الأول علينا".

ثانياً ـ واقع الشيعة في دول مجلس التعاون الخليجي:

لا توجد إحصائيات رسمية خليجية حول عدد الشيعة في دول مجلس التعاون الخليجي، وتشير التقديرات عموماً إلى أن الشيعة يمثلون أغلبية السكان في مملكة البحرين، حيث تتراوح نسبتهم ما بين 65 ـ 70% (هذه مبالغة كبيرة ، راجع مقال حجم شيعة العراق والخليج ولبنان في هذا العدد ، الراصد) ، وفي المملكة السعودية يمثلون ما بين 15ـ 25%،

ويمثل الشيعة ما بين 15ـ 20% من السكان في الكويت، وفي الإمارات يمثلون ما بين 5ـ 10%، بينما يأتي أقل الشيعة عدداً في سلطنة عمان فيتراوحون بين 3ـ 7%، وفي دولة قطر لا توجد أرقام محددة لعدد الشيعة.

ومما لا شك فيه أن التركيبة السياسية الجديدة في حكومة العراق عكست صعود التيار الشيعي، في مقابل تهميش وإقصاء السنة، وقد تعزز دور الشيعة مع تزايد النفوذ الإيراني داخل العراق، وما تردد بشأن انفصال الشيعة في جنوب العراق وتكوين دولة سيكون ولاؤها الأول لإيران، الأمر الذي أدى إلى تزايد المطالب الشيعية في دول الخليج، خاصة في دولتي الكويت والسعودية.

1ـ مطالب الشيعة في الكويت:

على الرغم من أن الكويت تشهد حالة من الانفتاح السياسي، إلا أن أحداث غزو العراق كان لها تأثير على تزايد المطالب الشيعية، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

ـ تأكيد بعض الناشطين على أن تغير الظروف الإقليمية ينبغي أن يصاحبه التفات أكثر لحقوق الشيعة، ومن ذلك ما صرح به الناشط السياسي الشيعي **علي المتروك** بالقول: "لقد حصلت تغييرات إقليمية ودولية يجب أخذها في الحسبان والأمر أصبح مستحقاً (...) أرجو أن يكون هناك التفات أكثر للحقوق السياسية للشيعة في الكويت"، وأضاف: "هذه ليست مطالب طائفية، بل وطنية ومن خلال الدستور"، وتعكس تلك التصريحات مدى شعور هذه الطائفة بالتمييز وتتنوع مطالب هؤلاء ويمكن حصرها فيما يلي:

أ ـ المطالب السياسية: يطالب الشيعة في الكويت بزيادة عدد الوزراء الشيعة في مجلس الوزراء، وفي هذا الصدد قال السيد **محمد باقر المهري** أمين عام تجمع علماء الشيعة في الكويت "الحكومة لا تفرق بين السنة والشيعة لكننا نريد أن يزيد عدد الشيعة في المناصب السياسية بما فيها الوزراء، وأن يكون ذلك مبنياً على الكفاءة لا الطائفية"، وبلغ الأمر إلى إصدار مكتب السيد المهري بياناً "يحذر فيه الحكومة من تجاهل وإبعاد الشيعة عن المناصب السياسية والمؤسسات الدستورية، وتضمن البيان الحديث عن شرخ في الوحدة الوطنية إذا لم تعين الحكومة وزيراً شيعياً أو تستخدم صلاحيتها في تعيين نائب بالمجلس البلدي من الشيعة".

ب ـ المطالب الدينية: لم تقتصر المطالب الشيعية في الكويت على المطالب السياسية، بل ظهرت مطالبات أخرى مثل إقامة أمانة جعفرية وتوظيف الشيعة في بعض المؤسسات مثل بيت الزكاة والأمانة العامة للأوقاف وبعض المؤسسات المالية، وهو ما أشار إليه النواب الشيعة الخمسة في مجلس الأمة، كما طالبوا بإعطائهم حق ترميم مساجدهم، وإنشاء حوزة علمية تدرس الفقه الجعفري، وبناء المساجد والجامعات والمدارس، وتعيين قضاه شرعيين شيعة، فضلاً عن تعيين الشيعة في النيابة.

وعلى الرغم من أن المطالب السابقة هي مطالب مشروعة وتأتي في إطار تزايد المطالب بالإصلاح عقب الغزو الأمريكي للعراق، فإن هناك مآخذين على تلك المطالب:

أولهما: تجاوز المطالب الشيعية إلى حد الهجوم على الطائفة السنية، وهو ما يكرس "للطائفية" في الدول الخليجية، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر، في الكويت، تم توزيع منشورات وشرائط كاسيت معادية للسنة، حيث قامت مكتبة شيعية خلال الثلث الأخير من عام 2003 بتوزيع شرائط كاسيت تحتوي على ترويج لأفكار شيعية متطرفة تتضمن الإساءة إلى بعض الصحف، وهو ما أثار احتجاج السنة في الكويت، فضلا عن تهديد عدد من علماء الشيعة بتحريك دعاوى قضائية ضد خطباء ودعاة السنة لقيامهم بالتعرض لآل البيت والسيدة فاطمة الزهراء، واعتبر بعض هؤلاء أن هناك من يكفر الشيعة، وأن هناك بعض الأشرطة التي تكفر عقائدهم وأفكارهم.

وثانيهما: أنه بالرغم من تأكيد الشيعة على أن مطالبهم ليس لها بعد طائفي وأنها تندرج ضمن الإطار الدستوري والقانوني، إلا أن الواقع عكس ذلك، حيث قام عدد من الشيعة الذين ينتمون إلى التحالف الإسلامي الوطني (الشيعي) بالاجتماع مع ممثل عن خامنئي ،المرشد الأعلى لإيران، في مقر السفارة الإيرانية بالكويت ثلاث مرات، وذلك لتجاوز الخسارة التي مُني بها التحالف في الانتخابات البرلمانية الكويتية والتي أسفرت عن سقوط جميع مرشحي التحالف، فضلاً عن تنسيق المواقف من أحداث العراق.

وقد اعتبرت الحكومة هذا اللقاء تدخلا في شئونها الداخلية، ومن ثم استدعت القائم بالأعمال الإيراني وأبلغته احتجاجها الرسمي على ذلك، حيث اعتبرت الخارجية الكويتية أن هذا الأمر يعد "تجاوزاً للخطوط الحمراء".

حدود استجابة الحكومة الكويتية للمطالب الشيعية:

في ظل تجربة الكويت الديمقراطية استطاع الشيعة أن يكون لهم دور في الحياة السياسية، وفي هذا الصدد يمكن الإشارة إلى ما يلي:

1ـ الشيعة ممثلون في مجلس الأمة بخمسة نواب، فضلاً عن إعلان الائتلاف الشيعي أنه سوف يخوض انتخابات عام 2007 بسبعة مرشحين بينهم سيدة.

2ـ استجابة الحكومة لطلبات الشيعة، حيث أشار وزير العدل السابق أحمد باقر في 25/10/2003 إلى موافقة الحكومة على طلب النواب الشيعة "بتشكيل محكمة تمييز لقضايا الأحوال الشخصية الجعفرية.

3ـ يستفيد الشيعة من حرية إقامة التجمعات السياسية، ومن ذلك ما حدث خلال شهر ديسمبر عام 2004، حيث تم تشكيل جبهة شيعية (سياسة اجتماعية دينية) في مواجهة التحالف الإسلامي الوطني (شيعي)، وقد ضمت الجبهة في صفوفها تجمعاً جديداً هو "تجمع العدل والسلام" يضم في غالبيته أتباع الشيرازي، إضافة إلى تجمع علماء المسلمين

الشيعة الذي يتزعمه السيد محمد باقر المهدي وجماعة الحساوية والجماعة المنتمية إلى العلامة اللبناني محمد حسين فضل الله، وبعض التجمعات والجماعات الصغيرة مثل حركة الوفاق الوطني، إضافة إلى شخصيات شيعية مستقلة.

ويلاحظ مما سبق أن الحكومة الكويتية حاولت إدماج الشيعة في نسيج المجتمع الكويتي، وتحرص دائماً على الالتقاء بقادتهم بغرض ترسيخ مبادئ الوحدة الوطنية، وهنا ينبغي التأكيد على أمر مهم، وهو أن الحكومة الكويتية في ظل تميز تجربتها السياسية لا تواجه الظواهر الطائفية بإجراءات قد تكرس لتلك الطائفية، وإنما تؤكد دائماً على أهمية المجتمع المدني ودولة القانون، بحيث تتاح الفرص للجميع وفق مبدأ تكافؤ الفرص.

وليس أدل على هذا من عدم استجابة الشيخ صباح الأحمد الصباح رئيس مجلس الوزراء الكويتي للمطالب التي نادت بتعيين وزير شيعي بدلاً من د. محمد أبو الحسن زير الإعلام الكويتي (شيعي) الذي قدم استقالته عقب تقديم استجواب له في مجلس الأمة الكويتي في عام 2004، ورأى الوزير أن التجاذب اتخذ منحنى طائفياً، وهنا يلاحظ أن العديد من الاستجوابات التي قدمت في الكويت قد اتخذت شكلا طائفياً، ومن ذلك استقالة وزير الصحة الكويتي على خلفية طلب بطرح الثقة فيه تقدم به نواب شيعة من قبيلة العوازم.

وقد كان للحكومة الكويتية موقف واضح من ظاهرة الطائفية يمكن تباينه من خلال تصريح الشيخ صباح الأحمد رئيس مجلس الوزراء ـ آنذاك ـ بالقول "الفتنة إذا ظهرت واشتعلت سوف تحرقنا كلنا وتحرق البلد"، وأضاف "لا تهاون تجاه أي محاولة للمساس بالوحدة الوطنية وزرع بذور الفتنة بين أبناء المجتمع الكويتي"، مشيراً إلى أن الحكومة "سوف تطبق القانون بشدة على كل مسيء للوحدة الوطنية".

2ـ مطالب الشيعة في المملكة العربية السعودية

بعد الغزو الأمريكي للعراق أضحت تلك القضية إحدى أهم القضايا التي تستحوذ على اهتمامات الكتاب السعوديين، ومن ذلك ما كتبه كاتب سعودي بالقول "الشيعة في معظم الأوطان يعيشون كمواطنين من الدرجة الثانية أو الثالثة"، وأضاف "أن هذا فضلاً عن كونه يتناقض مع فكر الدول فإنه يهيئ الأرضيات لوجود الثغرات التي يلج منها أعداء الأمة".

وواقع الأمر أن تلك الآراء وغيرها لم تكن سوى جزءًا من مطالبات للشيعة في المملكة العربية السعودية كنتيجة طبيعية لتداعيات احتلال العراق، ومن ذلك:

ـ عقب الإطاحة بالنظام العراقي السابق، وفي 18 إبريل عام 2003 أصدرت 13 شخصية سعودية شيعية بيانا رحبوا فيه بسقوط "الدكتاتور العراقي" وقد أعرب الشيخ حسن الصفار أحد كبار علماء الشيعة في المملكة عن أمله في أن تؤدي التغييرات في العراق إلى تحسن أوضاع الشيعة السعوديين.

ـ وفي خطوة أخرى ذات دلالة قام وفد مكون من 18 شيخاً يمثلون الشيعة في المملكة في 30 إبريل 2003 بتقديم مذكرة موقعة من نحو 450 شيعياً إلى الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك) بعنوان "شركاء في الوطن" يطالبون فيها بتحسين أوضاعهم، وأن تتاح لهم الفرص لتقلد مناصب عليا في مجلس الوزراء والسلك الدبلوماسي والأجهزة العسكرية والأمنية ورفع نسبتهم في مجلس الشورى، وتعد هذه الوثيقة تحولا نوعياً في مطالب الشيعة بالمملكة لعدة اعتبارات:

أولها: لم تقتصر على المطالب بحقوق معينة وإنما عكست التمييز ضد الشيعة، حيث طالب موقعو هذه الوثيقة "بالتوقف عن وصف مذهبهم بالكفر والشرك والضلال، والسماح بإدخال الكتب والمطبوعات الشيعية إلى البلاد.

وثانيها: عبرت هذه الوثيقة عن مختلف الأطياف الشيعية، إذ أنها لم تقتصر على رجال الدين، فقد وقع عليها علمانيون وشيعيون وشخصيات عادية، وشهدت للمرة الأولى مشاركة شيعة المدينة المنورة في العرائض.

وثالثها: عكست وجود مساندة خارجية لتلك المطالب، وفي هذا الصدد قال **عدنان الشخص** أحد أعضاء الوفد الذي التقى مع ولي العهد السعودي "إن الإخفاق في تلبية المطالب الشيعية سوف يعرض المملكة لضغوط خارجية بحجة الدفاع عن حقوق الأقليات".

ـ ومن ناحية ثالثة: وفي تعبير عن التمييز ضد الشيعة قدم أحد الأشخاص ورقة بحثية خلال اللقاء الوطني الثاني (الحوار الوطني) في المملكة الذي ناقش قضية الغلو وأسبابه بعنوان "مناهج التعليم الديني في السعودية: المسألة الشيعية"، وقد تضمنت هذه الورقة توصيفاً لعناصر العملية التعليمية في المناهج والسياسات التعليمية والمعلمين وموقفهم من الطائفة الشيعية، حيث تشير الورقة إلى أن أحد أبعاد مشكلة الشيعة في المملكة هي أنهم موصومون بالكفر وأن عليهم أن يقبلوا مناهج تعليم دينية أحادية النظرة.

وهنا يلاحظ أن المطالب الشيعية في المملكة وإن كانت أكثر حدة من مثيلتها في الكويت بيد أنها لم تتعد حدود الوطن ـ على الرغم من تصريحات البعض إمكانية المساندة الخارجية ـ فيؤكد المطالبون أن مطالبهم هي جزء من مطلب عام يهم الوطن ككل، وتندرج ضمن المطالبة بالإصلاح وليست ذات طابع فئوي أو مذهبي وهو ما عبر عنه الشيخ حسن الصفار قائلاً كل المواطنين في المملكة وفي البلاد العربية يشعرون بالحاجة إلى الإصلاحات السياسية"، مؤكداً أن المسألة لا ترتبط بالشيعة فقط.

انتهجت المملكة العربية السعودية آلية الإصلاح للاستجابة لمطالب الشيعة. ومن بين جوانب هذا الإصلاح تفعيل المشاركة الشيعية في الحياة العامة، وتدعيم مبادئ حقوق الإنسان وما يرتبط بها من حريات عامة وممارسات دينية مذهبية، وفي هذا الإطار يمكن الإشارة إلى ما يلي:

ـ في شهر يونيو عام 2003 عقدت الدورة الأولى للحوار الوطني بعنوان "الطائفية في المملكة" وشارك فيها ممثلون عن الشيعة والسنة، وقد أكد الملك عبد الله ـ ولي العهد آنذاك ـ في كلمته آنذاك على أن "اختلاف الآراء وتنوع الاتجاهات وتعدد المذاهب أمر واقعي وطبيعي من طبائع البشر"، وتعكس كلمة الملك عبد الله إدراكا لطبيعة التنوع والاختلاف وضرورة احترام هذا الاختلاف.

وعلى الرغم من أن انعقاد مثل هذا اللقاء يأتي في سياق الإصلاحات السياسية التي تزايدت وتيرتها في المملكة بعد احتلال العراق، والتي من المفترض أن تكون حوارات بين الحكومة والمجتمع السعودي، إلا أنه لوحظ أنه حوار سني ـ شيعي، مما يعكس حالة الاحتقان التي سادت عقب صعود الشيعة في العراق ورغبة الحكومة في تجاوز تلك الحالة.

ـ ومن ناحية ثانية، شارك الشيعة في الانتخابات البلدية التي أجريت من المملكة خلال عام 2005، فمن بين 12 مقعداً كانت متاحة في الإحساء والقطيف حصلوا على 11 مقعداً، وهنا يشار إلى أن السلطات السعودية كانت قد وافقت على مطالب الشيعة بإقامة مجلس بلدي منفصل لبلدية القطيف والقرى المجاورة وهو ما يعد تحولاً مهماً بالنسبة للشيعة.

ـ ومن ناحية ثالثة، تؤكد التصريحات الرسمية على المساواة بين المواطنين دون تفرقة مذهبية أو طائفية، ومن ذلك تصريحات الأمير بندر بن سلمان آل سعود مستشار العاهل السعودي الذي أكد على أن "مطالبات الشيعة هي كباقي مطالبات المواطنين السعوديين مشدداً على أنهم لن يصلوا إلى ما سماه بـ "التفرقة" أو حتى القول بأن هناك مطالبات شيعية ببقاء الشيعي مواطناً سعودياً وهذا وطنه"، وأضاف "لكل مطالبه لكن في النهاية نبقى جميعاً في دائرة الإسلام وهي الدائرة الكبيرة التي تضمنا دينياً وتحت سيادة دولة واحدة هي المملكة العربية السعودية".

ثالثاً ـ أثر الصعود الشيعي في العراق على الدول الخليجية:

على الرغم من تباين مطالب الشيعة في دول الخليج ابتداءً بالمطالب السياسة ومروراً بالمطالب الدينية وانتهاءً بالمطالب الاجتماعية، فإن هناك عاملاً مشتركاً يجمع بين تلك المطالب وهو التحرك للاستفادة من الأوضاع الجديدة التي رتبها الاحتلال الأمريكي للعراق في عام 2003 وعلى الرغم من مرور ثلاثة أعوام على هذا الاحتلال لا يزال هناك جدل حول الآثار التي يمكن أن تترتب على الصعود الشيعي في العراق على دول الخليج الست.

وفي هذا الصدد يبرز اتجاهان:

الأول: يرى أن تحركات الشيعة لن تقف عند حد المطالب، إذ أنها سوف تستمر لتهدد الوحدة الوطنية لتلك الدول حتى لو استجابت حكوماتها لمطالبهم.

أما الاتجاه **الثاني:** فيرى أن تواصل شيعة الخليج مع مناطق الوجود الشيعي لن يتعدى رابطة دينية تجمعهم مع نظرائهم في تلك المناطق بما لا يهدد الوحدة الوطنية لتلك الدول، وفيما يلي عرض للاتجاهين وتقييم كل منهما:

الاتجاه الأول ـ المطالب الشيعية تهدد الوحدة الوطنية للدول الخليجية:

يرى أنصار هذا الاتجاه أن المطالب الشيعية تهدد الوحدة الوطنية للدول الخليجية، وذلك من خلال عدة مؤشرات هي:

1ـ سعي الشيعة للاستقلال:

على الرغم من سعي شيعة الخليج لتقديم كافة أشكال الولاء والطاعة لحكام الدول التي يقطنونها، إلا أن هذا لا ينفي تطلعهم لإقامة حكم ذاتي شيعي في مناطق وجودهم كأغلبية أو قيام حكومة منفصلة شيعية على أبعد تقدير، وذلك انطلاقاً من ارتكاز توجهاتهم الدينية على مبدأ (التقية) ويعني أن اتقاء القوي ومجاراته يعد مطلباً دينياً ومبدأً أساسياً لهم، وهذا ما يؤكده رئيس تحرير إحدى الصحف الخليجية بالقول "إنه مهما تواضعت مطالب الشيعة اليوم واندمجت في إطار المطالب الوطنية العامة فلابد من الإقرار بأن شيئاً ما قد تغير بالفعل بعد كل الهزات السياسية والأمنية والثقافية التي عاشتها منطقة الخليج، وليس أقل التغييرات أن يأخذ الشيعة ثقلاً سياسياً جديداً بعد أن كانت إيران تحتضنهم عن بعد".

ومن ناحية أخرى، تزداد مخاوف الدول الخليجية بشأن ما يتردد عن تقسيم العراق في ظل وجود العديد من المؤشرات الدالة على ذلك، حيث إن الدويلات التي سوف تنشأ على أنقاض الدولة العراقية هي دولة كردية في الشمال، وسنية في الوسط، وثالثة شيعية في الجنوب، ستكون جميعها ضعيفة للغاية، وهنا تجدر الإشارة إلى أن الجنوب الشيعي يمثل مركز ثقل استراتيجياً بالنسبة لإنتاج النفط العراقي، حيث ينتج الجنوب وحقول الرميلة نصف إنتاج العراق من النفط، كما أن نمط العلاقات فيما (بين) تلك الدويلات سيكون سمته الصراع وليس التعاون، وقد تتجه إحدى هذه الدويلات إلى الاستعانة بطرف خارجي، الأمر الذي من شأنه أن يكون مقدمة لأتون حرب أهلية من شأنها أن تؤثر سلباً على مجمل النظام الإقليمي في الخليج.

وفي هذا الإطار جاءت تصريحات وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل في 1/6/ 2004، حيث قال "إن تقسيم العراق هو تهديد مباشر لأمننا وأمن دول الجوار" معتبراً أن أي نظام عرقي مبنى على أسس عرقية أو مذهبية لا يساعد على استقرار البلاد ووحدتها".

كما أن قيام دولة شيعية في الجنوب سوف يؤدي لتمدد النفوذ الإيراني في منطقة الخليج العربي بما يعنيه ذلك من تداعيات خاصة في ضوء استمرار بعض المشكلات بين إيران ودول المجلس والسعي الإيراني للهيمنة على المنطقة باعتبارها قوة إقليمية مستندة إلى برنامجها

التسليحي الكبير، وسوف تنجذب الأقليات الشيعية في الخليج لهذه الدولة الجديدة التي سوف تضم مقدسات شيعية مهمة.

وبعيداً عن هذا وذاك، يلاحظ أن ورقة الشيعة كأداة ضغط من جانب الولايات المتحدة تأتي دائماً من جانب جماعات الضغط الصهيونية التي تقدم أنصارها بمشروع قانون للكونجرس أطلق عليه "قانون محاسبة السعودية"، فضلاً عما رددته تلك الجماعات من أن المملكة تسعى لامتلاك أسلحة دمار شامل، بالإضافة إلى دأب تقارير حقوق الإنسان السنوية التي تصدرها وزارة الخارجية الأمريكية على انتقاد المملكة لممارستها التمييز، واتهامها "بالاتجار بالبشر" في إطار تعاملها مع العمالة الوافدة على أراضيها، فضلاً عما أورده تقرير وزارة الخارجية الأمريكية بشأن حقوق الإنسان في العالم لعام 2003، حيث قال "تقوم المملكة باعتقال وسجن وتعذيب علماء شيعة وعلماء دين بسبب آرائهم الدينية التي تخالف آراء الحكومة".

2ـ مطالب الشيعة تتيح التدخل في الشئون الداخلية لدول الخليج:

وهنا يكون التفرقة بين الشيعة المعتدلين والشيعة المتشددين، حيث إن وصول شيعة العراق المعتدلين الذين يؤمنون بالديمقراطية والتعددية إلى الحكم سوف يؤدي إلى تعزيز العلاقات بين الشيعة والسنة في الكويت والسعودية، أما في حالة سيطرة شيعة العراق المتشددين على السلطة فإن ذلك سوف يؤدي إلى خلق حالة من التوتر وعدم الثقة الناتجة عن التدخل في الشئون الداخلية.

ومما يؤكد صحة هذا الطرح التصريحات التي أطلقها مقتدى الصدر ضد الكويت وطالب فيها برحيل القوات الأمريكية عن أراضيها، مشيراً إلى أن "الخطر الذي يخشاه قد زال بعد سقوط صدام حسين"، وقد كان لهذه التصريحات ردود فعل كويتية رسمية حادة، والتي اعتبرت أن تصريحات الصدر تعد تدخلاً في الشئون الداخلية لدولة حرة مستقلة، وذلك من خلال تصريح وزير الخارجية الكويتي د. محمد الصباح السالم بالقول "إن بقاء أو رحيل القوات الحليفة الموجودة على أرض البلاد هو من صميم السيادة الكويتية التي لا يسمح لأحد بالتدخل فيها أو المساس بها"، وأضاف "أن الكويت دولة حرة وذات سيادة ونحن الذين نحدد من نستضيف ومن نطرد ولا أحد يعلمنا من نستضيف ومن لا نستضيف".

3ـ ظهور الطائفية في الدول الخليجية:

كان للصعود الشيعي في العراق آثار واضحة على بداية ظهور مؤشرات للطائفية في بعض الدول الخليجية ومنها دولة الكويت.. حيث ظهرت بعض الكتابات التي تناولت الوضع العراقي بالتركيز على ما يتعرض له السنة هناك على يد الشيعة، وفي هذا الصدد أشارت إحدى الصحف الإلكترونية التي تنطق بلسان إحدى الحركات الإسلامية السنية قائلة "يذبح إخواننا أهل السنة في العراق بخنجر الأحزاب الشيعة المتطرفة ويتعرضون في الجنوب لأبشع المجازر بغية إجلائهم عن أراضيهم ليتسنى للدولة الساسانية في إيران مد نفوذها، فضلاً عن قيام أحد المواطنين بطباعة مطوية والاتفاق مع بعض الصحف على توزيعها

كإعلان مدفوع الأجر خلال شهر فبراير 2005، وقد تضمنت هذه المطوية مواعظ دينية تحذر من لطم الخدود وشق الجيوب في إشارة إلى ما يقوم به الشيعة في يوم عاشوراء.

ولاشك أن ظهور الطائفية في دولة الكويت يعد تهديداً لأمنها القومي بالنظر لصغر حجم الدولة ووجود خلل في تركيبتها السكانية، نتيجة ارتفاع حجم العمالة الآسيوية وانقسام البلاد بين تيارين (إسلامي وليبرالي)، ووجود طائفتين إحداهما سنية والأخرى شيعية، ومما يؤكد هذا الأثر المباشر للطائفية أمران، **أولهما:** استقالة وزير الإعلام د.محمد أبو الحسن (شيعي) بسبب شعوره أن الاستجواب الذي كان مقدماً ضده سوف ينحرف إلى مستوى طائفي. **وثانيهما:** تحذير رئيس مجلس الوزراء الكويتي الشيخ صباح الأحمد من "مؤشرات سلبية تمس الوحدة الوطنية".

وفي المملكة العربية السعودية، وعلى الرغم من محاولات الشيعة تحقيق مكاسب في ظل التغيرات الجديدة، إلا أن الطائفية لم تتضح حتى الآن.. فقد ناقش الحوار الوطني الأول الذي انعقد في الرياض خلال شهر يوليو 2003 "قضية الغلو والتشدد"، وتم اللقاء بين رجال دين سنة وشيعة.

وتعكس التجارب التاريخية مدى تأثر شيعة الخليج بالخارج، ومن ذلك شيعة المملكة العربية السعودية في المنطقة الشرقية الذين تبرعوا بالملايين للجمهورية الإسلامية في إيران بعد انتصار الثورة عام 1979 من خلال الأخماس، وتوجد مواقف لا تحصى، حتى أن النساء قمن ببيع حليهن للتبرع للثورة وقام البعض بالاقتطاع من مصروف أطفاله اليومي لهذا الغرض.

الاتجاه الثاني ـ تواصل شيعة الخليج مع الخارج لن يتعدى الرابطة الدينية:

ويؤكد أصحاب هذا الاتجاه على أن تواصل شيعة دول مجلس التعاون الخليجي مع مناطق الوجود الشيعي، لاسيما تلك التي توجد بها العتبات المقدسة لا يعني تبعيتهم السياسية لمركز أو دولة معينة، حيث إن الأمر لا يتعدى رابطة دينية عامة تجمع الشيعة الذين قد يرغبون في زيارة عتباتهم المقدسة في العراق على سبيل المثال، وهذه مسألة شبيهة تماماً بما يحدث لدى السنة من زيارتهم للأماكن المقدسة في المملكة العربية السعودية، ويؤكدون على ذلك بعدة حجج وهي:

أولاً: التزام شيعة الخليج بانتماءاتهم الوطنية مؤكدين أنهم جزء من النسيج الوطني الخليجي، كما أنهم لا يشكلون تحدياً سياسياً، وهذا ما أشار إليه الدكتور **منصور الجمري** رئيس تحرير صحيفة الوسط البحرينية الذي أشار إلى أن "المستقبل الشيعي في المنطقة مستقبل اندماج وليس انفصال"، مؤكداً على أن "الشيعة في الخليج يحملون انتماءً قوياً لوطنهم وليست لديهم أي انتماءات سياسية خارجية أو حتى طموحات داخلية من شأنها أن تؤثر على وحدة واستقرار النظم الخليجية".

وهو المعني ذاته الذي أكده الشيخ حسن الصفار بالمملكة بالقول "المواطنون السعوديون الشيعة يصرون على أنهم جزء لا يتجزأ من هذا الوطن ويدافعون عن وحدته"، مؤكداً على أن "الشيعة لا يسعون إلى إقامة دولة خاصة بهم"، وقد ترجم الشيعة السعوديون هذا التوجه ضمن وثيقة قدموها للملك عبد الله بن عبد العزيز، حيث أكدت على أن "المواطنين الشيعة في المملكة هم جزء أصيل لا يتجزأ من كيان هذا الوطن الغالي، وهو وطنهم النهائي ولا بديل لهم عنه ولا ولاء لهم لغيره"، وهو الأمر ذاته الذي أكد عليه شيعة الكويت، حيث شدد النواب الشيعة في مجلس الأمة وعدد من الشخصيات الشيعية في لقاء مع رئيس مجلس الوزراء الكويتي الشيخ صباح الأحمد الصباح في شهر أبريل 2004 على أنهم مواطنون كويتيون قبل أن يكونوا من الطائفة الشيعية.

وفي هذا الصدد استهجن النائب الشيعي حسين القلاف مقولات مفادها "أن الشيعة سيأخذون حقوقهم من خلال ضغوط داخلية أو خارجية" مؤكداً "أن الشيعة مواطنون بالأصالة ولهم من الحقوق ما لهم وعليهم من الواجبات ما عليهم"، وهذا ما أكده أيضاً علي المتروك وهو سياسي ورجل أعمال شيعي كويتي، حيث قال "إن شيعة الخليج هم جزء أصيل من أي مجتمع خليجي وأنهم لا يستمدون العون من أي طرف خارجي سواء إيران أو غيرها للمطالبة بحقوقهم"، وأوضح "نحن ننطلق في الحصول على حقوقنا من الدستور الذي لا يميز بين المواطنين".

ثانياً: تؤكد السوابق التاريخية أن الشيعة في الخليج لم يكونوا يوماً ما ضد الوحدة الوطنية.. فمن ناحية الأصول التاريخية ينحدر شيعة الخليج عموماً من قبائل عربية أصيلة مثل قبائل ربيعة وقبائل حرب وجهينة وبني يام، بالإضافة إلى قبائل عامر وتميم، وبالتالي فإن جذورهم تضرب في الأعماق العربية وظلوا باقين من الخليج دون محاولة التوجه للخارج، فضلاً عن الدور الذي لعبه شيعة المملكة العربية السعودية في فتح منطقة الإحساء عام 1913، حيث أيد الشيعة الملك عبد العزيز آل سعود ومكنوه من دخول المنطقة دون حرب، وقام الملك المؤسس بترك الشيعة أهل المنطقة لإدارة شئونهم عبر مؤسساتهم الدينية ومحاكمهم الشرعية، بالإضافة إلى أن شيعة المملكة لم يتأثروا بدعوات الثورة الإيرانية، وبالتالي فقد أخفقت كل محاولات اختراق دول الخليج العربية الست وزعزعت وحدتها الوطنية.

ومن ناحية أخرى عندما غزا العراق دولة الكويت شارك الشيعة في مقاومتها ، وهذا ما أوضحه السيد محمد باقر المهري في بيان أصدره في شهر ديسمبر عام 2003، حيث قال "العدو البعثي حينما هاجم بلدنا لم نسمع بأن هناك فرقاً بين السنة والشيعة، بل كان المقياس هو الروح الوطنية، فمن كان مدافعاً عن الكويت ومقاوماً للاحتلال العراقي البغيض كان مصيره القتل أو الأسر شيعياً كان أم سنياً".

ثالثا: لا يعدو الشيعة سوى تعبير كمي حيث إنهم ـ شأنهم شأن الطوائف الموجودة في العالم العربي غير موحدين سياسياً وفكرياً فهم منتمون لمدارس فقهية وسياسية وانتماءات متباينة، وبالتالي يصعب التقاؤهم على برنامج أو هدف سياسي معين، وقد أشار أحد المؤلفات إلى

أن فرق الشيعة ثلاثون والبعض الآخر يرى أنهم يزيدون عن هذا العدد قليلاً، أبرزهم الكيسانية والناووسية والإسماعيلية والقطيمية والواقفية والزيدية والإثنا عشرية.

رابعاً: الفتاوى التي صدرت وتؤكد على الوحدة الوطنية وما لها من تأثير على الشيعة في الخليج، ومن ذلك فتوى المرجع الشيعي العلامة السيد محمد حسين فضل الله "بتحريم إثارة أي حديث مذهبي لاسيما بين السنة والشيعة في الكويت"، قائلاً "إننا نقول لكل إخواننا في الكويت لا تطالبوا بحقوق الشيعة"، ولابد "من أن تكون هناك أسرة كويتية واحدة".

حوار ساخن مع شيعى مصرى

د خالد منتصر - موقع ايلاف 15/4/2006

بعد تصريحات الرئيس مبارك لقناة العربية عن عمالة الشيعة العراقيين لإيران والضجة التي أحدثتها تلك التصريحات كان لابد أن أتعرف على موقف الشيعة المصريين من هذه التصريحات، وأحاول فك شفرة هذا الفكر لأننا مازلنا نتعامل معه بطريقة التجاهل التي تنتفى مع أبسط المبادئ الإنسانية التي تؤكد على أنك لابد أن تعرف وتستمع قبل أن تناقش وتدين، ولذلك قررت أن أتنحى جانباً وأطرق باب شيعي مصري مثقف أعتبره المتحدث الإعلامي الرسمي النشط للشيعة في مصر، وهو د.أحمد راسم النفيس المفكر الشيعي والأستاذ بطب المنصورة والذي مهما اختلفت معه لابد أن تعجب بصلابته في الدفاع عن موقفه في مجتمع ومناخ يقترب من تكفيرهم .

وبدأت بالسؤال الملح وهو ما موقف الشيعة المصريين من السلطة التي تتعامل بأنهم معهم كملف أمنى ويتهمون على الدوام بأنهم ذيل إيراني وبوق فارسي؟

ج:لنبدأ أولا بتصريحات مبارك عن الشيعة وهي تصريحات تأتي في نفس السياق القديم للحرب العراقية الإيرانية والدور الذي لعبه العرب في وأد انتفاضة الشعب العراقي عام 1991 وإبادة مئات الألوف من الشيعة ممن يرقدون الآن في المقابر الجماعية الصدامية.

(النظام العربي) يراهن على جر العراق لحرب أهلية تنتهي بطائفة عراقية وترويكا ثلاثية سنية شيعية كردية تحكم العراق كما هو الحال في لبنان وهو هدف (الحرب الأهلية) يبدو بعيد المنال بسبب ما أبداه الشيعة العراقيون من ضبط هائل للنفس في مواجهة جرائم الإبادة الجماعية التي يتعرضون لها وتدمير أقدس مقدساتهم وهي مراقد أئمة أهل البيت عليهم السلام وقتل قادتهم السياسيين مثل السيد محمد باقر الحكيم وعز الدين ياسين وهو الموقف الذي كان يتعين مقابلته بالتقدير والعرفان بدلا من السب والشتم واتهامات التخوين والعمالة.

ودعني أقول لك في النهاية أن (النظام العربي) سيخسر كل رهاناته!!، والاعتراف بالشيعة أمر واقع وحقيقة قائمة ودعك من تلك الشتائم الزعبوطية التي يطلقها البعض بين الفينة والأخرى وسأخبرك بحقيقة يعرفها الكثيرون وهي أن دار الإفتاء المصرية ترجع إلى مذهب أهل البيت في الكثير من الفتاوى بل إن ابن تيميه نفسه رجع إليه في فتاواه المتعلقة

بالطلاق.
س: صرح د.زغلول النجار بأن الإعتراف بالشيعة والبهائية هو بذرة فتنة طائفية فى مصر؟ مارأيك؟
ج:أما عن زغلول النجار فهو مجرد معلق على تلك الشرائح الملونة وليس له لا في العير ولا في النفير ولا في الفقه ولا غيره وهو كالنائحة المستأجرة ذات الدموع البلاستيكية إياها ومن حقه أن يغضب لغضب من يدفع له وجعل منه نجماً من نجوم الفراغ العربي المظلم.
أما عن البهائية فلا علاقة لنا بها من قريب ولا من بعيد ولا داعي لخلط الملفين.

س: مالذى أدى بك إلى هجر الجماعة الإسلامية والإخوان إلى الشيعة بعد تخرجك فى كلية طب المنصورة؟
ج: الجماعة الإسلامية لم أكن يوماً ما فيها، أما جماعة الإخوان فهي تدعي مجموعة من الادعاءات لا يمكنها إقامة أي دليل على صحتها سواء في قراءة التاريخ أو الفهم الشامل للإسلام أو أنها نواة أمة لا إله إلا الله أو وجوب السمع والطاعة لقائد الجماعة (إمام الأمة المزعوم) وكلها ادعاءات لا تقوم على دليل ولا برهان ومن ثم فقد فارقتهم عام 1985 بعد تخرجي بثمان سنوات وقبل أن أقتنع بصحة منهج أهل البيت بفترة.

س:الشيعة فى فكر العامة هم زواج المتعة وتفضيل الإمام علي على سيدنا محمد، وميراث البنت المساوي للولد والتطبير وضرب الصدور والجرح العمدي حتى النزف فى احتفالاتهم ....الخ هل هذه المظاهر هو ما يجعل الفكر الشيعي مطارد في مصر بحجة أنه إنكار للسنة؟
ج:دعني أقول لك أنني لم ألتحق يوما ما بحوزة دينية شيعية وإنما كونت ثقافتي من القراءة الحرة التي بدأت أولا بحفظ القرآن ثم القراءة والاطلاع في الكتب التقليدية مثل زاد المعاد لابن القيم وفقه السنة وغيرها وعندما تعرفت على مذهب أهل البيت لم يكن هذا خارج مصر ولا من خلال مقابلة أحد من الشيعة من أي بلد كان بل من خلال بعض الكتب التي تصادرها الرقابة المصرية واكتشفت أن الشيعة يبنون مذهبهم على تفاسير القرآن السنية وأحاديث كثيرة موجودة في كتب أهل السنة ولا زالت هذه الكتب تشكل مكوناً رئيساً من مكونات مكتبتي قابل للإضافة لا للنقصان، ومن هنا فقد كونت تصوري عن التشيع بصورة حرة ثم تبين بعد هذا أن ما أكتبه وما أطرحه مطابق لما هو موجود في هذه المعاهد العلمية وبالتالي فالتصور الشيعي موجود في قلب هذه الكتب التي يقال أننا نكرهها ولا نعترف بها بالكلية, والتشيع لأهل البيت ليس كهنوتا ولا أسراراً لا يعرفها أو ينالها إلا كهنة المعبد!!، وليس في التشيع كهنوت ولا أسرار ولا ماء مقدس هناك كتاب الله العزيز وسنة رسول الله ومدرسة أهل البيت التي تدعو للاجتهاد وإعمال العقل وكل ما ذكرته من مسائل فقهية خلافية بين الشيعة وغيرهم دليلها عند الشيعة هو الأقوى وهو مأخوذ من كتاب الله ومن سنة نبيه، والتشيع يقوم على منهجية فهم القرآن والسنة النبوية من خلال أئمة أهل البيت وهم أبناء الرسول وأئمة الأمة الذين شهد لهم المخالفون قبل شيعتهم وهو منهج قائم على التواصل الرأسي

المباشر مع رسول الله ومن ثم مع الله بدلا من ذلك التواصل الأفقي والانتقاء العشوائي للفقهاء والمحدثين الذي اعتمده الآخرون، أما عن أكذوبة تفضيل علي على رسول الله فهي كغيرها من الأكاذيب التي اعتاد البعض على ترويجها طلبا للرزق وقد انتهيت أخيرا من كتاب (النبوة في نهج البلاغة- محمد كما رآه علي) وهو كتاب يثبت أن التصور الأمثل للنبوة لا يمكن أخذه من غير الإمام علي.
أما عن كلمة الرافضة فهي سب وشتم وسوء أدب قائم على أكذوبة تاريخية والقوم لا يقرءون من التاريخ إلا ما يوافق أهواءهم (راجع كتابنا الشيعة والثورة) فذرهم وما يفترون!!.

س: هل هناك مستقبل للشيعة فى مصر؟ وهل التجربة الفاطمية كانت ناجحة؟ وما سر هجومك على صلاح الدين الأيوبي و القرضاوي في كتابين منفصلين؟
ج:عن التجربة الفاطمية فيمكنك أن تقرأ تاريخهم لتعرف أي جرم ارتكبه يوسف بن أيوب عندما قام بتدمير كل منجزاتهم مثل دار الحكمة ومكتبة القصر ودار العلم والصناعات التي أسسها الفاطميون ثم تتساءل: هل كانت هذه المنجزات ملكا للفاطميين وحدهم أم ملكا لكل المسلمين؟؟ وإذا كان صلاح الدين أو غيره مخالفا للفاطميين فلماذا قام بتدمير أعظم مكتبات العالم التي احتوت على مليوني كتاب؟؟!!، أما عن صلاح الدين والكتابة عنه فهي ضرورة لكي يعرف الناس سبب تخلفنا الحضاري بدلا من الصراخ الغوغائي والادعاء بأن الغرب وحده هو المسئول عن كل مصائبنا، أريد أن أعرف رأيك في رجل قام بتدمير أهرامات الجيزة 18 هرما باستثناء الأهرامات الثلاث التي عجز هو وابنه المختل عن هدمها؟!، وبالمناسبة لم يجرؤ أحد على الرد على هذه الواقعة، أما عن القرضاوي فقد قمت بالرد على كتابه (تاريخنا المفترى عليه) الذي يدافع فيه عن معاوية بن أبي سفيان ويزعم أنه كان من أعظم حكام العالم وأقربهم للعدل والحكمة وهو المنهج التلفيقي الذي دمر عقل الأمة ولا بد من محاولة وقفه حتى ولو كان بأيدينا العارية.

س: أحترم فيك إصرارك على معتقداتك برغم أنك تسبح ضد التيار ولكن هل لم تتردد بعد اعتناقك للفكر الشيعي وفضلت العودة إلى المذهب السني الذي يوصف بأن أصحابه ومعتنقيه هم الفرقة الناجية؟
ج: أود أن أقول لك أنني أراجع نفسي يوميا لأحافظ على لياقتي الفكرية وفي كل يوم أكتشف المزيد من المعلومات التي تؤكد صحة قراري ولي سؤالان:
الأول: لو كان منهج أهل البيت ضعيفا أو متهافتا فكيف استطعنا إثباته من كتب القوم ولماذا لجئوا إلى تحريف وحذف ما لا يخدم قضيتهم والدليل على ذلك أن أحد المواقع الوهابية الرسمية أزال صفحات كاملة من تفسير ابن كثير لأنها لا تخدم قضيتهم.
الثاني: أن واقع المسلمين الذي اكتوى الجميع بناره شاهد على هذا التخبط والانهيار الأخلاقي ودعني أسألك سؤالا, ماذا لو قررت العودة لما تسميه مذهب أهل السنة هل أعود للاعتقاد الأشعري أم الاعتقاد الوهابي

وكلاهما ينكر على الآخر أنه من أهل السنة وكلاهما يرمي الآخر بأبشع الاتهامات!!!، هل هناك عاقل يترك اليقين ليسبح في بحار التيه حتى ولو كان مملوءا بالسباحين الماهرين؟!، أما حكاية الفرقة الوحيدة الناجية فهي أسطورة قائمة على رواية موضوعة وأنا أعتقد بقوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره).

س:ما الذي يقدمه الشيعة وفكرهم للمواطن العادي بمعنى كيف سيحول الفكر الشيعي من وجهة نظرك حياة المواطن البسيط المصري الغلبان؟
ج:يكفي أن يقدم التشيع للمسلمين مدرسة أهل البيت في الأخلاق والعبادة ولا أدري كيف يمكن لمسلم يدعي العلم والفقه أن يعرض عن دراسة نهج البلاغة فهو معين الحكمة والأخلاق ومدرسة السياسة وعلم الاجتماع التي سطا عليها ابن خلدون ونسبها لنفسه، يكفيك فخرا حب أهل البيت وأن من أحب قوما حشر معهم، ويكفي الإنسان الغلبان أن لن يبقى ضحية لتجار الدين الذين أفتوا له أخير بجواز أكل الجبن الدانماركي في حين أن أقصى ما يحلم به أن يأكل المش بدوده.

الصوفيون في السودان يدخلون دائرة البروتستانتية الإسلامية

حسام تمام صحيفة القاهرة العدد 310 ـ 21/3/2006

لم يعد التخفف من الدنيا والاستعداد ـ فقط ـ للآخرة هدف الزاوية الصوفية، كما لم يعد الزهد في متاعها والرضا بالقليل منه طريق النجاة، ولم يعد مطلوبا من المريد أن يخلع الدنيا مع حذائه عند باب الزاوية ويقبل مشاركة الفقراء شظف العيش في أرض الخمول بعيدا عن الأضواء والشهرة، بل صارت الزاوية تدعو مريديها إلى الدخول في سباق الحياة ومنافسة أهلها في اقتسام حظوظ الدنيا!

لم تعد زوايا الصوفية هي المكان النائي البعيد الذي يشبه كثيرا أديرة الرهبان، أو قبلة المنصرفين عن الحياة الهاربين منها بحثا عن النجاة، بل أصبحت كما في زاوية الشيخ الأمين جزءا من الأحياء الراقية، ما تكاد تقترب حتى تفاجئك طوابير لأفخم السيارات تشغل الشارع المؤدي إليها والشوارع الجانبية منه، بل وستجد صعوبة في الوصول إليها بالسيارة بسبب الزحام الشديد الذي يؤدي إلى أزمة مرورية في كل درس أو حضرة.

هناك تحول كبير في المنظومة الصوفية فلم تعد تقوم على الزهد في الدنيا والإعراض عنها والتخفف من أثقاله، والاقتصار من حلالها على ما لا بد منه، بل صارت تدعو صراحة إلى الأخذ بأسباب الدنيا والإقبال عليها والتحقق فيها بشرط اجتناب الحرام فقط!.. إنها نقلة كبيرة تشابه ما جرى من تحولات في ظاهرة التدين الجديد، حيث الرغبة في التصالح

مع الغنى والثروة والتحقق في الحياة فيما سميته بالبروتستانتية الإسلامية.

أكبر قلاع التصوف

شهدت السنوات الماضية بزوغ وانتشار ظاهرة الدعاة الجدد، بدأت في مصر ومنها انتشرت في بلاد عربية وإسلامية أخرى، وجذبت اهتمام الكثير من الباحثين والمهتمين، وقد كانت وجهة نظر البعض أن القول بتعميم الظاهرة وقابليتها للانتشار في كل مكان ربما يكون تعميما يفتقد الدقة، وكان من الصعب ـ مثلا ـ الحديث عن إمكانية أن يظهر تيار الدعاة الجدد ويعرف طريقه في بلد كالسودان، فهي تخضع لحكم جبهة الإنقاذ الإسلامية التي كانت أول حركة إسلامية تصل للسلطة في العالم العربي تعلن إقامة الدولة الإسلامية لتطبيق ما أسمته بـ "المشروع الحضاري الإسلامي"، كما أنها أكبر قلاع التصوف في العالم العربي التي تسيطر عليها الطرقية بما لا يدع لداعية مستقل عنها سبيلا إلى الناس.

وأذكر أنني في زيارة للشيخ **حسن الترابي** في منزله وجدت وفودا من الطرق الصوفية تزوره والرجل يجلس معها ويحدثها بنفس طريقتها وحين انصرفت ردد معها الأذكار الصوفية وحياها بطريقتهم.. ساعتها سألته مستغربا موقفه المتشبه بالطريقة وهو أشهر زعماء الإسلام السياسي فقال: من يتجاوز الصوفية في السودان فليبحث عن بلد آخر إذ لن يكون له مستقبل فيها!

وكان رأيي أن ظاهرة التدين الجديد التي انتشرت في كثير من البلاد العربية ربما لن تشهد امتدادا لها في السودان، غير أنني حين زرتها وبحثت عن ظاهرة الدعاة الجدد وجدتها ولكن متدثرة بالعباءة الصوفية في أبهى صورها.

شيخ مودرن

أول ما نزلت السودان سألت عن الشيوخ الشباب ممن لهم حضور في أوساط الشباب وتأثير، فأجمع الأصدقاء على أنه الشيخ **الأمين عمر الأمين** شيخ الزاوية المكاشفية القادرية في أم درمان.. لخص لي البعض ظاهرة الشيخ الأمين بقوله "شيخ مودرن.. كلامه جيكسي (أي مثل كلام الشباب الخنافس الروش) ومحايته بيبسي (والمحايا هي الماء المبارك الذي يوزعه الشيخ الصوفي على مريديه)!!

وفي يوم جمعة ذهبنا ـ ومجموعة من الأصدقاء السودانيين ـ إلى زاوية الشيخ في أم درمان لحضور حضرته ودرسه الأسبوعي الذي يجمع مريديه وجمهوره... فكانت أغرب حضرة لشيخ صوفي يمكن أن تراها، فهي الصوفية الجديدة في أحدث وأغرب طبعاتها.

حين تزور هذه الزاوية لا بد وأن تراجع الصورة التقليدية عن زوايا الصوفية فهي ليست ـ كما استقر في وعينا ـ المكان النائي البعيد الذي يشبه كثيرا أديرة الرهبان، أو المكان الذي يأوي إليه الفقراء المعوزون أو قبلة المنصرفين عن الحياة الهاربين منها بحث عن النجاة، بل هناك صورة مختلفة تماما إلى النقيض.

فهي في حي من الأحياء الراقية، ملحقة بفيلا واسعة لشيخها الأمين، وتطل على ساحة كبيرة، وما تكاد تقترب حتى تفاجئك طوابير كبيرة لأفخم السيارات تشغل الشارع المؤدي إليها والشوارع الجانبية منه، بل وستجد صعوبة في الوصول إليها بالسيارة بسبب الزحام الشديد الذي يؤدي ـ كما قيل لي ـ إلى أزمة مرورية في كل درس أو حضرة.

وتزداد الدهشة مع تصفح جمهور الحضور فالغالبية العظمى من الشباب الذين تطل من وجوههم إمارات اليسر والنعيم والانتماء لعائلات وطبقات اجتماعية جد ميسورة ومميزة... تعرفت على بعضهم: مهندسون وأطباء ومحامون ورجال أعمال، أحدهم يعمل مهندسا في الحاسب الآلي، وهو الذي تولى تعريفي بالزاوية والحضور الذين كانوا قد انتهوا لتوهم من حضرة في الساحة وافترشوا الحصير ـ حصير مميز غير الذي عرفت به زوايا الصوفية ـ انتظارا لصلاة المغرب.

الجميع يرتدون الزي الأخضر، وهو زي اقترحه الشيخ الأمين لأتباعه، لكنه ليس الأخضر الباهت الذي عرفت به الصوفية.. بل هو أخضر فخم وبراق وموشى بلون أحمر.

من بعيد كنت قد لمحت الشيخ الأمين يحدث مريديه ويقوي همتهم ويدعوهم إلى عدم الاهتمام بالنقد الذي يوجه لهم وله، فقد كان هناك الكثير من الشيوخ التقليديين من يكثرون من نقده، كما علمت، ويؤكد لهم أن نقده وسبابه دليل على أنهم على الصواب وأنهم يسيرون في الطريق الصحيح!

بيزنس مان

الشيخ الأمين هو نموذج جديد تماما على الطرق الصوفية، فهو شاب لم يكن قد جاوز الثامنة والعشرين حين تم تشييخه عام 1992 في الطريقة المكاشفية على يد الشيخ عبد الله بن الشيخ يوسف قرشي المكاشفي المعروف بـ (ود العجوز)، وكان غريبا وقتها أن يخصه الشيخ بهذه المكانة في طرق عرفت باحترام وتقديم الكبار والأخذ عنهم، وقد بدأ دعوته معتمدا على أصدقائه الذين اختار منهم خليفته (الأول: مرتضى البنا، والثاني أيمن عمر).

الشيخ الأمين لم يتحصل على دراسة دينية منظمة بل هو من خريجي التعليم المدني، فقد جاز المرحلتين؛ المتوسطة والثانوية من مدرسة أم درمان الأهلية، ثم سافر للدراسة بالسعودية فالتحق بجامعة الملك عبد العزيز ولم يدرس العلوم الشرعية وإنما درس إدارة الأعمال وحصل فيها على شهادة البكالوريوس!

عمل الشيخ الأمين في البيزنس، وهو يدير استثمارات خاصة في مدينة دبي، وهو إضافة إلى ذلك صاحب ومدير توكيل إحدى شركات التكييف العالمية بالخرطوم، فهو ـ بلغة العصر ـ بيزنس مان.

اصطحبني بعض مريديه إلى بيته للقائه بعد الدرس فإذا به فيلا واسعة كبيرة أشبه بقصر، جلست في صالة استقبال الضيوف فرأيت على

إحدى الحوائط صورة كبيرة له بحجمه الشخصي يرتدي فيها العباءة الخضراء وخلفيته السماء يبدو فيها وكأنه أشبه بملاك يحلق في السماء..

والشيخ الأمين بالمواصفات السودانية والأفريقية رجل وسيم فهو طويل وعريض قوي البنية في وجهة قوة وجرأة تشبه ملامحه ـ إلى حد كبير ـ الزعيم الأميركي الأسود مالكوم إكس أو الحاج مالك شباز بعد إسلامه!

فرح أسطوري

بعد الحضرة الصوفية التي تبدأ العصر وتنتهي مع أذان المغرب، وهي أشبه بالذكر المعروف عند الطرق، يجلس الحضور في مربع يكمل ضلعه الرابع الشيخ الأمين ومن يستضيفهم من شيوخ الزاوية الكبار، وفي خلف الشيخ تجلس غير بعيد عنه النساء والفتيات في صحبة زوجته على الكراسي ـ وليس الأرض كالرجال والشباب، وكل الجمهور أو جلهم من الشباب تقريبا، وزوجته سيدة في منتصف العمر، حسنة المظهر أنيقة الملبس تحيط بها مريدات الشيخ كما الأميرة أو الملكة غير المتوجة، ويحرصن على التبرك بها.

حكى لي صديق عن الفرح الأسطوري الذي أقامه الشيخ الأمين لعرسه، ونوعية الحضور والتساهل في الأزياء وأجواء الرفاهية والبذخ التي صاحبته على غير المعتاد عند المتصوفة... وهو في دروسه ـ وفي الدرس الذي حضرته ـ يؤكد على ذلك، ويتساءل مستنكرا اتهامات معارضيه: وما المانع؟ ولماذا لابد أن يكون المسلم هو يتحدث دائما عن أعدائه وخصومه الذين يغارون منه ويحسدونه.. ويقول متهكما: إن أفضل الدعاء "اللهم زد حسادي"!.. لأن كثرة الحاسدين دليل النجاح!..

هو نفسه يمتلك أكثر من سيارة على أحدث موديل وربما لا توجد منها إلا عدد قليل في السودان كله.. وحين يتحرك ففي موكب تسبقه وتليه سيارات مرافقيه في طقوس تشبه مواكب الأمراء والملوك!

التباسط والشبابية

للشيخ الأمين طريقة جديدة في الدرس الصوفي وفي العلاقة بين الشيخ والمريد التي يخلق فيها حالة من التواصل بينه وبين جمهوره وليست بطريقة التوجيه المباشر من الشيخ إلى المريد، فهو يدير الدرس بطريقة تقوم على المشيخية التي تغلفها وتكسوها روح الأخوة والتباسط والشبابية التي تفرضها شخصية الشيخ وأعمار المريدين... يتحدث الشيخ الأمين باللغة السودانية الدارجة التي تمتلئ بالأمثال العامية والقصص المحلية، وهو ما يقربه كثيرا من أوساط الشباب ولكنه يعوق انتشاره خارج السودان حيث تبدو اللغة والاقتباسات غريبة على غير السودانيين خاصة وأن الفضاء الإعلامي العربي لم يعتد اللهجة السودانية ولم يألفها من قبل سواء في الدراما أو الدروس الدينية، وإن كان لا يمنع ذلك من انتشارها في أوساط الجاليات السودانية ـ وهي كثيرة ـ بالمهجر، وقد أعطى الكلمة لأحد مريديه الذي افتتح زاوية للطريقة المكاشفية القادرية بالولايات المتحدة، كما نوه إلى زاوية أخرى بأمستردام.

وبسهولة يمكن ملاحظة مساحة التجديد التي يقوم بها الشيخ الأمين في العلاقة مع شيوخ الطرق من ناحية ومع المريدين من ناحية، فهو يتقرب من مريديه ويخالطهم كأنه واحد منهم ولكنه يحتفظ في الوقت نفسه بمسافة معهم تفرض عليهم كل طقوس الاحترام والتبجيل المعروفة عند المتصوفة مثل تقبيل اليد والمبالغة في الإجلال والتوقير.. وهي العلاقة نفسها التي يقيمها مع شيوخ الطرق: الوقوف في منزلة بين المنزلتين؛ بين تأكيد الارتباط بهم والاستقلال عنهم في الوقت نفسه!

فهو الذي يدعو شيوخ الطرق للحضرة والدرس، وهو الذي يقدمهم في درسه.. يجلسون معا على الأرض لكنه يتقدمهم بدون أن تكون التقدمة ظاهرة، ثم هو الذي يتفاعل مع الجمهور يوجههم ويختار منهم من يتحدث ويسأل، وهو الذي يوزع على المشايخ تساؤلاتهم ليجيبوا عنها، ورغم هالة التقدير التي يحيطهم بها والثناء الذي لا يكف عن توجيهه لهم والإجلال من شأنهم وتوقيرهم إلا أن الحاضر لن يتعب كثيرا في تتبع كيف يرسخ لسلطته الروحية هو.. فهو ـ في النهاية ـ الممسك بزمام الحضرة والمسير لها.

كان الدرس في أوجه حين قدم وفد من كبار شيوخ الزاوية المكاشفية القادرية يمرون لتفقد الزاوية ومتابعتها فأوقف الأمين الدرس وقام ومعه الحضور تقديرا مذكرا بقول النبي صلى الله عليه وسلم: "قوموا لسيدكم".. ثم قام بتقديم طقوس الاحترام والتبجيل للمشايخ وأشاد بهم وأكد على ربط نفسه بهم.. وربما نجح في تأكيد تبعيته لمشايخ الطريقة غير أن الواقع يؤكد أن كل هؤلاء الشباب إنما جاءوا له وليس لهؤلاء المشايخ وأن ارتباطهم الحقيقي به هو وليس بمؤسسة الطريقة التي يجتهد في أن يؤكد انتسابه لها وارتباط أسبابه بشيوخها، رغم أنه تجاوزها بالفعل!

الشيخ الأمين صار مركز الزاوية ليس في الخطاب وإدارة العلاقات فقط بل وفي القيام على أمور الزاوية وهو أمر يتجاوز مجرد الوعظ والإرشاد فالزاوية ـ بتعبير أهلها ـ "مكان لا تطفأ له نارٌ، ولا يتكأ له قدر"، فهو الذي يدر أمر النفقة على الزاوية، ومن أهم نفقات الزاوية نفقة الطعام والشراب الذي لا يتوقف طوال اليوم يقوم عليها مقدم يعينه الشيخ الأمين.

زاوية على الإنترنت

للشيخ الأمين موقع على الإنترنت يحمل اسمه وعليه بيانات عنه وعن الزاوية ومنتدى لمريديه، لكنه قليل الظهور في التلفزيون والفضائيات رغم صلاته الوثيقة بالشيخ صالح كامل صاحب قناة "اقرأ" الذي كثيرا ما يجمعه ونظراءه من الدعاة الجدد ـ ومعظمهم أصدقاؤه ـ مثل الحبيب الجفري وعمرو خالد... وهم جميعا من نفس العمر تقريبا.

الشيخ الأمين يقدر "الدعاة الشباب" ويرى أنه يسير في الطريق نفسه وهو ـ مثلا ـ يبدى إعجابه بعمرو خالد كثيرا ولكن يراه يقف عند حد إعلان الدعوة والتبشير بها واستنفار الناس لها أما هو ـ الأمين ـ فيجمع

الناس ويربيهم ليخوض بهم المعركة.. فعمرو يحشد بينما هو يجند ويتابع ويربي.

قد يبدو ظاهريا أن المضمون الذي يقدمه الشيخ الأمين في دروسه هو مجرد دعوة الناس إلى التعلق بأهداب الدين والتزام التصوف طريقا إلى الله، وربما لا يثير أي خلاف، على الأقل مع شيوخ الطريقة، لكنه ـ في بنيته العميقة ـ يجسد تحولا كبيرا في المنظومة الصوفية، إذ لم تعد ـ لدى هذا النموذج ـ تقوم على الزهد في الدنيا والإعراض عنها والتخفف من أثقالها، والاقتصار من حلالها على ما لابد منه، بل صارت تدعو صراحة إلى الأخذ بأسباب الدنيا والإقبال عليها والتحقق فيها بشرط اجتناب الحرام فقط!..

إنها نقلة كبيرة في الخطاب الدعوي تشابه ما جرى من تحولات في ظاهرة التدين الجديد، حيث الرغبة في التصالح مع الغنى والثروة والتحقق في الحياة فيما سميته بالبروتستانتية الإسلامية!

لم يعد التخفف من الدنيا والاستعداد ـ فقط ـ للآخرة هدف الزاوية، كما لم يعد الزهد في متاعها والرضا بالقليل منه طريق النجاة، ولم يعد مطلوبا من المريد أن يخلع الدنيا مع حذائه عند باب الزاوية ويقبل مشاركة الفقراء وأتباع أهل الصفة أو التصوف شظف العيش في أرض الخمول بعيدا عن الأضواء والشهرة بل صارت الزاوية تدعو مريديها إلى الدخول في سباق الحياة ومنافسة أهلها في اقتسام حظوظ الدنيا، فيما مضى كانت تحفظ مريديها: "من نازعك في دينك فنازعه، ومن نازعك في دنياك فألقها إليه في نحره"، أما الآن فتقول له نازعه في كليهما وخذ حظك وافرا من الدنيا ولكن بشرط المنافسة الشريفة الملتزمة بأحكام الدين وأخلاقه.

كانت الزاوية آخر ملاذ الذين أتعبتهم الدنيا وطحن عظامهم منافساتها التي لا تهدأ فجاء الشيخ الأمين ودعاة التصوف الجديد ليعيدوا أبناء الزوايا إلى الدنيا ثانية ويعقدوا معها المصالحة.. وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن ألا تلاقيا!

الاحتفال بالمولد النبوي

محمد الأرناؤوط - الغد – 8/4/2006

صدر مؤخراً في دمشق التاريخ المفقود لابن أحمد الدمشقي البصروي، الذي هو ما بين اليوميات والحوليات والذي يغطي السنوات الأخيرة للحكم المملوكي في بلاد الشام(871-904هـ/ 1466-1499م)، وعرف هذا المؤلف للبصروي(842-905هـ/1438 -1500م) وأشير إليه في التواريخ المعاصرة واللاحقة، نظراً لأهميته ومكانة صاحبه الذي كان من علماء

دمشق في ذلك الوقت. وفي الواقع أن "تاريخ البصروي" - كما سماه المحقق أكرم العلبي- يمثل مصدراً مهماً للتعرف على الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية لبلاد الشام في السنوات الأخيرة للدولة المملوكية، أو عشية الفتح العثماني لبلاد الشام. ومن هنا تكمن أهميته في اطلاعنا على ما كان موجوداً واستمر بعد ذلك خلال الحكم العثماني أو ما كان قائماً وانتهى.

ومن الأمور التي كانت موجودة واستمرت بل تطورت أكثر خلال الحكم العثماني الاحتفال بالمولد النبوي سواء على المستوى الرسمي مولد السلطان أو على المستوى الشعبي.

ومع ذلك يلاحظ إذا قارنا "تاريخ البصروي" بمصدر مماثل لتلك الفترة ألا وهو"التعليق" لأحمد بن أبي طوق(834-915 هج/ 1430-1502م) الذي صدر مؤخراً أيضاً، أن البصروي لم يهتم كثيراً بتسجيل الاحتفال بالمولد النبوي في بلاد الشام. وربما يكون للموقع الذي شغله البصروي -نائب القاضي الشافعي بدمشق والمدرس بالجامع الأموي- دور في ذلك، إذ ربما كان للبصروي رأي في ذلك لم يعبر عنه بشكل مباشر وإنما بشكل غير مباشر من خلال تجاهله للاحتفال بالمولد النبوي في بلاد الشام.

ولكن إذا عدنا إلى كتاب"التعليق" لابن طوق، الذي هو أقرب إلى اليوميات التي تغطي الفترة ذاتها تقريباً (885-908 هـ / 1480-1502م)، نجد ذكراً واضحاً في عدة سنوات لهذا الاحتفال وماذا كان يقدم فيه. ومع ذلك يبقى الفارق واضحا ما بين بلاد الشام ومصر في الاهتمام بهذا الاحتفال، حيث كانت مصر تتميز باهتمام رسمي وشعبي أكبر بكثير، مع انهما ضمن دولة واحدة هي دولة المماليك.

ومع ذلك لدينا في"تاريخ البصروي" معلومة مهمة عن الاحتفال بالمولد النبوي في مصر. وفي الواقع أن ما دفع البصروي لتسجيل هذه المعلومة هو ما حدث حول الاحتفال بالمولد النبوي في القاهرة خلال ربيع الأول 902هـ/تشرين الثاني 1496م فقد ذكر البصروي أن السلطان قد احتفل بالمولد النبوي في 8 ربيع الأول، ثم"عمل في الثاني عشر مرة أخرى، ولم يحضر من جرت العادة بحضوره إلا الفقهاء والقضاة".

وأهمية هذه المعلومة تكمن في أن الاحتفال بالمولد النبوي حتى نهاية الدولة المملوكية كان يتم في يومين مختلفين -في الثامن والثاني عشر من ربيع الأول- بغض النظر عن بقية المعلومة التي تفيد بعدم حضور

"من جرت العادة بحضوره" في الاحتفال بالمولد الذي كان يقيمه السلطان المملوكي.

وفي الواقع أن هذا الاختلاف حول يوم المولد النبوي قد شغل العلماء المسلمين قبل ذلك بقرون وبعده بقرون أيضاً. فالمؤرخ ابن كثير(توفي 774هـ/1372م) في"البداية والنهاية" يستعرض الروايات العديدة عن

ولادة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وينتهي إلى أن"لا خلاف في أنه ولد في يوم الاثنين"في شهر ربيع الأول. أما عن اليوم فهناك عدة روايات استعرضها ابن كثير وهي تتراوح ما بين 3 و 8 و 12 و 17 و 18 ربيع الأول.

ومن بين هذه الروايات يركز ابن كثير على اليومين الشائعين أكثر من غيرهما، ألا وهما 8 و12 ربيع الأول. وفيما يتعلق بالأول فقد رواه الحميدي عن ابن حزم ورواه مالك وعقيل ويونس بن زيد وغيرهم عن الزهري عن ابن مطعم، ونقل ابن عبد البر عن أصحاب التاريخ أنهم صححوه أو حققوه، وقطع به الحافظ الكبير محمد بن موسى الخوارزمي ورجحه الحافظ ابن دحيه في كتابه"التنوير في مولد البشير النذير" الذي يعتبره البعض أول"مولد" بعدها أصبح يقرأ لاحقاً في الاحتفال بالمولد النبوي.

أما اليوم الآخر(12ربيع الاول) فقد نص عليه ابن اسحق في سيرته ورواه ابن ابي شيبة في مصنفه عن جابر وابن عباس بقوله:" ولد رسول الله يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الاول وفيه بعث وفيه عرج الى السماء وفيه هاجر وفيه مات".

وعلق المِرخ ابن كثير في كتابه البداية والنهاية، ج 2 ص 265 على الرأي الثاني بالقول انه:" المشهور عند الجمهور"، بينما قال عن الرأي الاول ما يلي:" والصحيح عند ابن حزم الاول انه لثمان مضين منه كما نقله عن الحميدي وهو أثبت".

وفي الواقع ان هذا الامر، كما ورد سابقا، قد شغل علماء المسلمين قبل ابن كثير وبعده بعدة قرون. وهكذا فيما يتعلق بمصر، التي كانت معنية أكثر بالاحتفال بالمولد النبوي ولا تزال الى اليوم، نجد في النصف الاول للقرن العشرين ان المؤرخ الشيخ محمد الخضري قد توقف عند هذا الامر في كتابه" نور اليقين في سيرة سيد المرسلين"(القاهرة 1920). والمهم هنا ان الخضرى يورد ان العالم المعروف محمود باشا الفلكي قد حقق ولادة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بأنها صبيحة يوم الاثنين 9 ربيع الاول الموافق 20 نيسان 571 م.

وبالعودة الى دولة المماليك تجدر الاشارة الى ان الاحتفال بالمولد النبوي كان يتعاظم في الدولة المجاورة لها –العثمانية- خلال تلك الفترة. ففي سنة 1401م كان سليمان شلبي قد أنجز عمله الشعري"وسيلة النجاة" والذي تناول فيه سيرة النبي، واشتهر لاحقا بـ" المولد " لانه أصبح ينشد في الموالد النبوية. ومع هذا" المولد " سيظهر "أدب" جديد حيث ان الكثير من الشعراء أصبحوا يتنافسون على تقليد"مولد " شلبي أو ابداع ما هو أفضل منه كي يكون هو المرغوب في الانشاد في هذه المناسبة.

ومن ناحية أخرى فقد أصبح الاجتماع لسماع" المولد" يتم في المساجد وفي البيوت على مدار العام، أي أنه لم يعد يقتصر على يوم معين، حيث

يرتبط ذلك بأكثر من مناسبة كبناء بيت، أو ولادة طفل عزيز، أو خطوبة وزواج أو شفاء من مرض.